

التاريخ والمؤرخون العرب

أسباب تخلف أمتنا

(عن كتابه من بين الناس في التاريخ)

محمد ياسين حمودة

الدكتور السيد عبد العزيز سالم



النايخ والمؤرخون العرب

تأليف
دكتور السيد عبد العزيز سالم



شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

رقم الكتاب : 1961
اسم الكتاب : التاريخ والمؤرخون العرب
المؤلف : د. السيد عبدالعزيز سالم
الموضوع : تاريخ
القياس : 24 × 17
عدد الصفحات : 311

منشورات : دار النهضة العربية
بيروت - لبنان

للزيدانية - بداية كريدية - الطابق الثاني
تلفون : 736093 / 743167 / 743166 1 961 +
فاكس : 736071 / 735295 1 961 +
ص.ب 0749 - 11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 - لبنان
بريد الكتروني : e-mail:darnahda@cyberia.net.lb

جميع حقوق الطبع محفوظة

هذا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح
بإنتاج أو نشر أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب،
بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نحس العرب علم التاريخ بجانب كبير من اهتمامهم ، يلهمهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية ، وحوادث الأزمان السابغة ، ولاهتمامهم بالأنساب ، فرووا أخباره ، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من الروايات ، وألقوا فيه ، ولم يتركوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني القديم والمعاصر لهم إلا سجلوا تاريخه ، ولذلك خلعت مصنفاتهم بجوانب متعددة من أحوالهم المعاصرة ، فلم تخل كتبهم من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مما يمكن أن يؤلف تاريخاً للمحضرة العربية في المصور الإسلامية المختلفة ، ولذلك أيضاً كان كثير من رواد علم التاريخ رواداً لعلم الجغرافية في نفس الوقت ، وكان التاريخ والجغرافية في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يسمونها « الأدب » بوجه عام ، « فمما كان من الضروري للعربي أن يعرف لغته ، نثرها ونظمها وشعرها وما وكتابها . فكذلك كان لابد أن يعرف أنساب العرب وأخبارهم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار الفتوح الإسلامية وتواريخ الخلفاء والدول وكان لازماً عليه — إكمالاً لثقافته — أن يعرف بلاد الإسلام ومذاتها والطرق إليها مع ما يفسر من أحوال أهلها وصفاتهم وعاداتهم ، ومن هنا فاته من العسير أن تفصل بين المؤرخ والجغرافي والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي (١) .

وعلى هذا النحو فإن معظم المصنفات التاريخية والجغرافية والأدبية موسوعات عربية في التاريخ والأدب والعلوم الإسلامية بوجه عام ، وتعتبر ذخيرة طيبة

(١) حين مؤسس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، من البداية إلى الحجازي ،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩

الباحث في علم التاريخ عند العرب ، ومنها يستطيع أن يستخلص ما يرغب في استخلاصه من مادة علمية في المجال الذي ينوي البحث فيه . ولا يخفى أهمية هذه الموسوعات الجامعة بالنسبة لدراسة الحضارة الإسلامية ، إذ تعين على توضيح مجريات الأحداث ، وتفهمها تفهما واعيا ، والوقوف على عوامل الضعف والقوة في الشعوب ، والتيارات المختلفة التي تؤثر في حياتها ، فإن كثيرا من الحركات السياسية والاجتماعية يستعمل على دارسي التاريخ فهمها ما لم تكن مصحوبة بدراسة العوامل الاقتصادية التي أثرت فيها وتأثرت هي بها ، فلهجات السامية من قارب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق في العصور القديمة ، وغزو الهكسوس لمصر أمور يفتقر فهمها على المؤرخ ما لم يقرنها بالعوامل الاقتصادية التي كانت تؤثر فيها ، كما أن الفتوحات الإسلامية في فارس والعراق والشام ومصر والمغرب والاندلس ، وحركة القرامطة ، وثورة الزنج ، وقيام الدولة الفاطمية في مصر . والحركة الصليبية ، والهجرات الجرمانية وغيرها من الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي والأوروبي الوسيط ، لم تكن كلها حركات سياسية أو دينية فقط ، ولكن صلتها بالأوضاع الاقتصادية كان وثيقا للغاية (١) . وكانت التجارة من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشار الرحلات في الماضي ، كما كانت العامل الرئيسي في انتشار الإسلام في أطراف الدولة الإسلامية ، في الهند والصين وبلاد ما وراء النهر ، وفي السودان الغربي ومورطانية وغانه وأواسط أفريقيا وسواحلها الشرقية .

وغلل العرب يهتمون بدراسة تاريخهم وحضارتهم ، ويسجلون الأحداث والوقائع القديمة والمعاصرة لهم ، إلى أن تعرض العالم العربي في النصف الأول

(١) سيدة اسماعيل كاشف ؛ مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة

من القرن السابع عشر الميلادى اوجة عاتية من الجلود الفكرى بعد أن نكب بالفتح العثمانى لمعظم أقطاره فى المشرق والمغرب ، وزاد الاستعمار الاوروبى للعالم العربى منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر فى هذا الركود ، كإدعم الانفصال السياسى والحضارى بين شق العالم العربى : المشرق والمغرب . ولم يبق العرب من صدمة الاستعمار الاوروبى إلا بعد أن أنقضى ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، ثم كانت الانطلاقة التحررية الاولى من عرب المشرق فى مصر والشام والعراق ، إذ أعلنوا ثورتهم على الاستعمار ، وأخذوا يحطمون تدريجيا الاصفاد التى كبلهم بها المستعمرون ، فلما تحققت آمالهم فى آخر الامر ، وظفروا بحريتهم ، أخذوا يمدون أيديهم إلى إخوانهم فى المغرب العربى ، الذين كانوا يعملون من جانبهم على التحرر من أغلال الاستعمار الفرنسى البغيض ، وساند العرب فى سائر الانقطار العربية كفاح الشعب العربى الثائر فى تونس والجزائر والمغرب ، إلى أن تها لهذا الشعب العربى المغربى أن يتال ثمرة كفاحه ، ويسترد حريته .

وبينا كان قلب العالم العربى منذ بداية القرن العشرين يحتدم بالثورات ضد المستعمرين ، ويغلى بالحركات القومية ، كانت تحتاجه ثورة أخرى شملت معظم جوانب الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية ، ذلك أن الحركة القومية العربية اقترنت بحركة لإحياء واسعة النطاق (١) ، كان من أبرز مظاهرها البحث عن الكتب التاريخية ، ودراستها ، ونشرها ، باعتبارها أداة للكشف عن ملكات العرب ، وطاقاتهم الابداعية ، ومصدرا ملهما للأبحاد والبطولات ، ثم هى بالإضافة إلى ذلك حافز لإلهاب المشاعر القومية ، ودفع الحركة القومية للشعب العربى إلى الغاية والمنتهى ، وعلى هذا النحو تزايد الاقبال على الدراسة التاريخية

(١) لراز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد الطل ، بغداد ١٩٦٣

وأدى ذلك إلى الاهتمام بالبحث في علم التاريخ عند العرب ، ودراسة مناهج البحث فيه ، وهو أمر سبقهم المستشرقون إلى تحقيقه . ولم يصب الباحثين العرب أن يأخذوا على هؤلاء المستشرقين ، فعلى الرغم من أن نقرا من المستشرقين المستقلين بالتاريخ الاسلامى قد جانبوا المنهج العلمى ، فعمدوا إلى التفضيل فى أبحاثهم لتعمية العرب عن معرفة أجداد أسلافهم ، ومنهم من كان يسعى إلى إبراز الأخطاء التى وقع فيها العرب ، ومنهم من مجد حركات الشعوبية ، وأبرز روح المقاومة التى مارسها العجم والبربر ضد العرب ، رغبة فى تفتيت وحدة الشعوب العربية ، فإنه لا ينبغي أن نجهل فضل التواليف والأبحاث القيمة التى قام بها بعض المستشرقين فى التاريخ الإسلامى وفى معاصره وفى نشأته ، ومنهم بروكلمان وهاملتون جب ، وبارتولد ، وسوقاجيه ، فقد اتسمت أبحاث هؤلاء بالزاهية العلمية والتحرر والصدق ، والاعتماد على المصادر العربية التى بذلوا فى نشرها وتحقيقها واستخدامها جهودا موفقة . ومن طلائع المستشرقين فى دراسة علم التاريخ عند العرب :

١ - وستنفك (فردناند) الذى أصدر بحثا هاماً فى مؤرخى العرب فى سنة ١٨٨٢ ، جمع فيه نحو ٥٩٠ اسما من أسماهم وضمنه مصنفاتهم (١) فى القرون العشرة الأولى بعد الهجرة .

٢ - مرجليوث : وقد نشر عددا من المحاضرات كان قد القاها فى جامعة كلكتوتا بالهند فى فبراير سنة ١٩٢٩ عن مؤرخى العرب (٢) ، تعرض فيها لدراسة المؤرخين العرب فى القرون الست الأولى للهجرة .

F. Wuestenfeld, Die Geschichtschreiber der Araber und (١) ihre Werke, Goettingen, 1882.

D. S. Margoliouth, Lectures on Arabic Historians (٢) (delivered before the University of Calcutta, February 1929) University of Calcutta, 1930.

٣ - بروكلمان : أصدر معجما لجميع مصنفات العرب في العصور الإسلامية ، وقسم هذه الدراسة القيمة إلى أقسام تتبع العصور التاريخية ، وقد أفاد بروكلمان في دراسته عن التاريخ الإسلامي وكل ما كتبه وستفله من قبل عن المؤرخين العرب ، ويتضمن كتابه مجلدان نشرهما في برلين فيما بين عامي ١٨٩٨ ، ١٩٠٢ ، ثم ذيلها بملحق من ثلاث مجلدات نشرها فيما بين عامي ١٩٢٧ ، ١٩٤٢ (١) .

٤ - هاملتون جب : نشر بحثين قيمين ، أحدهما في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٤) ، عن التاريخ عند المسلمين ، والثاني في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة « علم التاريخ » من القسم العرب ، في الملحق « Supplement » الصادر سنة ١٩٣٨ (صفحات من ٢٢٣ - ٢٤٥) مادة « Tarikh » (٢) ، كما نشر بحثا عن التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى في كتابه « دراسات في حضارة الإسلام » (٣) .

٥ - بارتولد : أصدر بحثا قويا عن تاريخ التركستان حتى الغزو المغولي ، ضمن مقدمته دراسة جديّة عن المصادر الخاصة بالتاريخ الإسلامي (٤) .

٦ - كلود كامن : قدم للدراسة الأصلية عن « سورية الشمالية في العصر

C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur, (١)

2 vols., Berlin 1898-1902 & Supplementband, 3 vols., Leiden 1937-1942.

H.A. R. Gibb : Ta'rikh, in Ency. of Islam, Supplement, (٢)
pp. 283-245, Leiden-London, 1938.

(٣) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة الكاتبة إحسان عباس ومعدنهم

ومحمود زايد ، بيروت ١٩٦٤ ص ٣-٤١ .

Barthold W.: Turkestan down to the Mongol invasion, (١)

London 1928 (Gibb Memorial Series, N.٥.5)

الصليبي ، بدراسة ممتازة عن المصادر العربية ، شملت الفصل الثاني كله من المقدمة التي أفردها لبحث المصادر (١) .

٧- سوفاجيه: نشر بحثاً متكاملاً عن «مقدمة لتاريخ المشرق الاسلامي» عرض فيها مصادر تاريخ كل قطر من أقطار المشرق الاسلامي على حدة (٢) .

٨- فرانز روزنتال : أصدر مصنفين جليلين ، أحدهما بعنوان : « علم التاريخ عند المسلمين » ، وقد تولى ترجمته الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي بجامعة بغداد (٣) ، والثاني بعنوان : « مناهج البحث العلمي عند المسلمين » (٤) ، وقد تولى ترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور أنيس فريجة ، الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت ، تحت العنوان السابق (٥) .

وهناك علماء آخرون ، كتبوا في التاريخ الإسلامي في المغرب والاندلس نذكر منهم ، ليفي بروئنسال في بحثه القيم « Les Historiens des Chorfa » (٦) ،

Claude Cahen, la Syrie du Nord à l'époque des Croisades (١)
et la Principauté franque d'Antioche, Paris, 1940, pp. 33-93.

Jean Sauvaget; Introduction à l'histoire de l'Orient (٢)
musulman, Paris, 1923.

Franz Rosenthal, a history of Muslim Historiography, (٣)
Leiden, 1952. قام بها الأستاذ ، الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ١٩٦٣ .

F. Rosenthal, the Technique and approach of Muslim (٤)
Scholarship, Rome, 1947.

(٥) روزنتال ، مناهج العلماء المسلمين ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة ، بيروت ١٩٦١ .
E. Lévi-Provençal, Les Historiens des Chorfa, Paris 1922 (٦)

وبونز بويكس الاسبانى فى كتابه الكبير « تراجم للمؤرخين والجغرافيين الابدلسيين » (١). ثم ظهرت بحوث عربية قيمة فى التاريخ والمؤرخين العرب، نخص بالذكر منها الدراسات التى قام بها الأستاذ أحمد أمين فى كتابيه ضحى الاسلام ، وظهر الاسلام (٢)، وقد عالج فيها نشأة علم التاريخ وتطوره فى العصر العباسى ، ومنها الفصل القيم الذى أضافه الأستاذ عبد الحميد العبادى لكتاب « علم التاريخ » مؤلفه هرثو ، عندما تبين له أثناء قيامه بترجمته — اختصار المؤلف لهذا الموضوع فى فصله الثانى ، فأصبح الكتاب يتضمن ثمانية فصول بدلا من سبع (٣) ، ومنها أيضا كتاب نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى (٤)، والمؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى للأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة (٥) ، وموارد تاريخ الطبى للدكتور جواد على (٦) ، ومنهج البحث التاريخى للأستاذ الدكتور حسن عثمان (٧) ، والتعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان للأستاذ عباس الزاوى (٨)، والبحث الذى نشره الأستاذ الدكتور زكى

Pons Boigues (F.): Essayo bio-bibliografico sobre los (١)
historiadores y geógrafos arábigo-espanoles, Madrid, 1898.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، جزآن ، القاهرة ١٩٣٨ .

(٣) هرثو ، علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى ، القاهرة ١٩٣٧ ،
والفصل الثالث من هذه الترجمة من تأليف الأستاذ عبد الحميد العبادى (ص ٥١ - ٦٩) .

(٤) عبد العزيز الدورى ، بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .

(٥) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ،

القاهرة ١٩٤٩ .

(٦) جواد على ، موارد تاريخ الطبى ، مجلة المجمع العلمى المراق ، بغداد ، ١٩٥٠ -

١٩٥٢ (ثلاثة أجزاء) .

(٧) حسن عثمان ، منهج البحث التاريخى ، القاهرة ١٩٤٣ .

(٨) عباس الزاوى ، التعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥٧ .

محمد حسن بعنوان : « دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى ، (١) ، وكتاب مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه للاستاذ الدكتور سيدة كاشف (٢) ، وكتاب مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، للاستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد (٣) ، ومصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم (٤) ، وكتاب استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط للدكتور على ابراهيم حسن (٥) ، وكتاب التاريخ والمؤرخين في مصر في القرن التاسع عشر للاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال (٦) ، والبحث القيم الذى لثمره الاستاذ الدكتور حسين مؤنس عن الجغرافية والجغرافيين في الاندلس (٧) ، وأخيرا البحث الذى تقدم به الدكتور عبد القادر أحمد طليبات لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة عين شمس بعنوان المؤرخ ابن الأثير (٨) .

-
- (١) ذكر محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الثانى عشر ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ .
 (٢) سيدة اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
 (٣) عبد المنعم ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٣ .
 (٤) أسد رستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت ١٩٣٩ .
 (٥) على ابراهيم حسن ، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط ، القاهرة ١٩٤٩ .

- (٦) جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، المكتبة التاريخية ، عدد ٣ القاهرة ١٩٥٨ .

Gamalel-Din el-Shayyal, a history of Egyptian historiography in the 19 th Century, Alexandria, 1962

- (٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الاندلس من البداية إلى الحاضر ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد ٧ ، ٨ ، مدريد ١٩٦٠/١٩٥٩ س ١٩٩ - ٣٥٩ .

- (٨) عبد القادر أحمد طليبات ، المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب - جامعة عين شمس في ١٩٦٧/٧/٨ .

ويتبين لنا بما ذكرناه عن كثرة البحوث والتأليف العربية في التاريخ والمؤرخين العرب أن الباحثين العرب حفوا وحذوا المستشرقين في الاهتمام بدراسة التاريخ ، فجاءت دراساتهم وقد تميزت بالدقة وتشبعت بالروح النقدية . وفاقته في هذا المجال بحوث المستشرقين .

وقد كان من مظاهر اهتمام جامعة الاسكندرية بهذه الدراسات التاريخية أن خصصت لطلاب السنتالراابعة قسم التاريخ مقررأ قوميا لم يجد أنسب من تخصيصه لدراسة التاريخ والمؤرخين العرب ، وقد رأيت أن أجمع محاضراتي في هذا الكتيب حتى يتيسر للطلاب أن يقوم بدراستها ، متراصلة فيما بينها ، بطريقة علمية مستساغة ، وقسمت هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين : الأول أفردته للكتابة التاريخية والثاني خصصته لدراسة المصادر ، واختتمت الكتاب بنصوص تاريخية وجغرافية تعين الطالب على تطبيق ما درسه في فصول الكتاب .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه ، واه أسأل التوفيق ؟

السيد عبد العزيز سالم

البسائر الأولى

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

(١) التقويم الهجري

(٢) آراء مؤرخي العرب في التأريخ :

١ - فائدة التأريخ

ب - أخطاء المؤرخين العرب في رأى ابن خلدون

ج - الشروط اللازم توفرها في الكتابة التاريخية (فى رأى ابن خلدون
والنخاوى)

الفصل الثانى

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١) أخبار العرب فى الجاهلية

(٢) كتاب السيرة والمغازى وبداية الكتاب التاريخية عند العرب

١ - مدرسة التأريخ فى المدينة

ب - مدرسة التأريخ فى العراق

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية

(١) منهج الكتابة التاريخية عند العرب

(٢) تنوع صور الكتابة التاريخية

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

(١)

التعريف المجري

أ - لفظة « تأريخ » لغة واصطلاحاً :

تاريخ كل شيء من حيث اللغة ، وفقاً لما ذكره محمد بن يحيى الصولي (ت ٥٣٦هـ) غاية ووقته الذي ينتهي إليه ، ولهذا يقال : فلان تاريخ قومه في الجود ، أى الذى انتهى إليه ذلك . وقيل إن معناه التأخير ، وقيل أيضاً إنه اثبات الشيء (١) .
« وتاريخ ، مصدر من « أرخ ، بلفظة قيس ، وهو اللفظ الشائع عند العرب ، أو « ورخ ، بلفظة تميم ، وهو لفظ لم يستخدمه كاتب قط (٢) ، ويزعم بعض المؤرخين أن لفظ « تأريخ ، مشتق من « يارخ ، العبرية بمعنى القمر أو « يرخ » بمعنى الشهر ، وعلى أساس هذا الزعم يكون معنى لفظ « تأريخ » التوقيت ، أى تحديد الشهر (٣) . ويستبعد الأستاذ روزنثال الافتراض القائل بالأصل العبرى لوجود حرف ياء في الصورة العبرية (٤) . وزعم آخرون أن لفظ « تأريخ ،

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة

١٣٤١هـ ، ص ١٧٨ ، محمود شكرى الألوسى ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج ٣

القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٢١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

(٣) بلسير ، مادة تأريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، (القسم العرب) ، مجلد ٤ ،

عدد ٨ ص ٤٧٣ .

(٤) فرانز روزنثال ، علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٢١ .

مشتق من اللفظ الأكدي «أرخو» وهو أيضا أمر بعيد الاحتمال في رأى روزنتال (١). ويذهب بعض المؤرخين إلى أن لفظ «تأريخ» تعريب لكلمة «ماه روز» الفارسية ومعناها حساب الشهور والأيام (٢)، أو التوقيت حسب القمر (٣)، وتوحي لفظة ماه روز بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمري (٤)، ويعلمون ذلك برواية جاء فيها أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لما كثرت لديه الأموال، واختلط عليه وقت توزيعها، جمع وجوه الصحابة، وسألهم عن كيفية التوصل إلى ذلك، فقال له الهرمزان ملك الأهواز، وكان قد أسر زمن فتح فارس، وحمل إلى عمر فاسلم: «إن للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة»، فعمروا لفظة ماه روز بمؤرخ، وجعلوا مصدره «التأريخ»، واستعملوه في وجوه التصريف، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك (٥).

وكلمة التأريخ من حيث الاصطلاح تعني الزمن والحقبة (٦)، ولم يظهر هذا الاصطلاح بالمعنى الذى ذكرناه لافى الأدب الجاهل، ولا فى القرآن الكريم، ولا فى الأحاديث النبوية، ولم يستخدم لأول مرة إلا منذ أن أدخل عمر بن

(١) قس المرجع.

(٢) البيهقي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشره ادوارد شاو، ليزج ١٩٢٣ ص ٢٩ — حزه الأمهاني، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، مطبعة كاوياني، برلين، ص ٨.

(٣) روزنتال، علم التأريخ، ص ٢٣.

(٤) بلشير، ملحة تأريخ ص ٤٧٤.

(٥) البيهقي، الآثار الباقية، ص ٣٠ — السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ،

نص لشمس روزنتال فى كتابه، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٥١٢.

(٦) روزنتال، ص ٢٣.

الخطاب التقويم الهجرى ، فقد ورد هذا الاصطلاح فى بردية يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هـ ، مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة فى ذلك الحين . (١)

ثم تطور مدلول الكلمة بعد ذلك إلى أن أصبحت « الكتب التاريخية » ، وأقدمها الكتب التى تتضمن مجموعات تراجم تعرض لسنوات الميلاد والوفاة لبعض الشخصيات التى عنى مؤلفو هذه الكتب بترجمتها ، وعلى هذا الأساس أصبح التاريخ عند العرب فنا يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التبيين والتوقيت بل عما كان فى العالم ، (٢) ، وموضوعه يقوم على الإنسان والزمان ، ومسائله قوامها أحوال الإنسان والزمان والمفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان فى الزمان ، (٣) . ولهذا السبب كانت كتب السيرة والمغازى والأنساب تدخل فى عداد الكتب التاريخية ، ثم تطور معنى التاريخ إلى معناه الشائع المعروف باستعمال كتب الحوليات لهذه الكلمة (٤) ، مثل تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحزرة الأصفهاني .

ومع ذلك فلفظة « تاريخ » عند العرب لم تكن تطابق كلمة « History » عند الأوروبيين . لأن القضايا الفلسفية المتصلة بفكرة التاريخ هى من تطورات الفلسفة الحديثة (٥) ، وهى تختلف كلية عن مفهوم التاريخ عند العرب .

(١) قس المرجع ، ص ٢٤ .

(٢) الكتانجى ، المختصر فى علم التاريخ ، ٢٢٧ — السخاوى الاعلان بالكـ ويخ

ص ٣٨٥

(٣) قس المصدر

(٤) روزنثال ، ص ٢٥

(٥) جوردون شايلد ، التاريخ ، ترجمة مدلل برسوم عبد الملك ، القاهرة ١٩٥٨ ،

ص ١١٥ وما يليها — هيو انكن ، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة

الدكتور محمود زايد ، بيروت ١٩٦٣ — هرنشو ، علم التاريخ ، ص ١ — ٢٢

ب - أفعال التقويم الهجري :

كانت فكرة الوقت وتحديدته في المجتمعات القبلية الجاهلية غير محدودة ومشوشة ، فكان العرب يؤرخون بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف عليه ، فأرخ العدنانيون بعام نزول اسماعيل مكة ، وعام تفرق ولد معد ، وعام رئاسة عمرو بن لحي الخزاعي الذي بدل دين ابراهيم بعبادة الأصنام ، وعام وفاة كعب بن لؤي ، وعام الغدر أو حجة الغدر (١) ، كذلك أرخوا بعام الفيل ، وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في السنة الثانية والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان ، كذلك أرخوا بعام الخنات لانهم تماوتوا فيه (٢) ، فقال النابغة الجعدي فيه :

فن يك سائلا عني فإني . . من الشبان أيام الخنات

مضت مائة لعام ولدت فيه . . وعشر بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش أيضا بوفاة هشام بن المغيرة المخزومي والد أبي جهل لإجلالهم له ، وأرخوا أيضا ببنيان الكعبة (٣) ، وكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ، وغسان بالسد (سد مأرب) ، وأهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ، ثم بغلبة الفرس . ثم أرخ العرب بالأيام المشهورة كحرب البسوس وداحس ، ويوم ذي قار ، وبحرب الفجار ، ثم أرخ العرب في خلافة عمر بالتقويم الهجري (٤) . وذكروا في ذلك

(١) وفيه وثب قوم من بني يربوع على رسل أحد ملوك حمير ، كان وجههم بكبرة إلى الكعبة ، ونهبوا متاعهم ، فبلغ خبرهم من كان قد اجتمع بالموسم من اقناء القبائل ، فوثب بعضهم على بعض . وقد حدث ذلك قبل البعث بمائتي عام على حد قول الزبير بن بكار

(٢) الصول ، أدب الكتاب ، ص ١٧٩ — البيروني ، ص ٣٤ .

(٣) حمة الاصفهانى ، تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء ، برلين ، ١٣٤٠ ، ص ٩٣-٩٦

(٤) الكاتيجي ، ص ٣٣٠-٣٣١ ، جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد

أنه قال : « ضموا للناس تاريخاً يتعاملون عليه ، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاملونه من معاملاتهم ، فقال بعض من حضر من مسلمي اليهود : لنا حساب مثله نسند إلى الاسكندر ، فإرضاء الآخرون لما فيه من الطول . وقال قوم : يكتب على تاريخ الفرس ، فقل إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا من لدن قيسامه وطرحوا ما قبله ، وانفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت مبمه فإنه يختلف فيه ، وكذا وقت ولادته ليلة وسنة ، وأما وقت وفاته فهو وإن كان معيناً ، فلا يحسن عقلاً أن يجعل الأصل لمبدأ التاريخ ، وأيضاً ، فوقت الهجرة ، ووقت استقامة مكة للاسلام وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين ، فهو مما يتبرك به ، ويعظم وقعه في النفوس ، (١) .

وهناك من يجعل أصل التاريخ الاسلامي مأخوذاً من الين (٢) استناداً إلى الرأي القائل بأن أول من أرخ التاريخ يعلى بن أمية الذي كتب إلى عمر بن الخطاب كتاباً من الين مؤرخاً ، فاستحسنه عمر ، فشرع في التاريخ (٣) ، ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب تقويماً ثابتاً يتمثل في التاريخ الهجري ، أصبح هذا التقويم عنصراً أساسياً في نشأة الفكرة التاريخية (٤) .

وذكر آخرون أن السبب الذي دفع عمر بن الخطاب إلى اتخاذ الهجرة النبوية

(١) السخاوي ، الاعلان بالتويخ ، ص ١٣ ، راجع في ذلك المعنى ايضا البيهقي ، الآثار الباقية ص ٣٠

(٢) السخاوي ، الاعلان بالتويخ ص ١٠ — روزتال ، ص ٢١

(٣) السخاوي ، المصدر نفسه ، ص ٩٠

(٤) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ١٩

أساساً للتأريخ العربى الإسلامى أن أباموسى الأشعرى كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول : « إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندرى على أيها تعمل ، (١) ، وكان عمر قد دون الدواوين ، ووضع الأخرجة ، ومن القوانين ، واحتاج إلى تاريخ ، فجمع الناس ، وعرض عليهم مشكلة اختيار حادثة معروفة تكون أساساً للتأريخ الإسلامى ، فذكر له بعضهم التأريخ بمبعث النبى ، وأشار عليه بعضهم ، ومنهم سعد بن أبى وقاص ، التأريخ بوفاته ، ورأى آخرون أن يكون ذلك بالمولد ، وأبدى البعض الآخر أن يكون مبدأ الهجرة الأساس فى ذلك ، لأن المبعث والمولد فيهما اختلاف ، فيستبعدا لذلك ، ولأن الوفاة لا يحسن أخذها أساساً للتأريخ ، فإن من يفعل ذلك لابد أن يكون عدواً يستبشر بموته ويستحب أن يكون موته عيداً (٢) ، فرجح لديهم جعله من الهجرة ، وهى حادث ثابت بمحدد التاريخ ، وأجمع المسلمون على ذلك ، فأرخوا بالهجرة ، وتم ذلك فى العام الرابع من خلافة عمر بن الخطاب ، أى فى العام السابع عشر بعد الهجرة (٣) .

وهناك من يجعل أصل التأريخ الإسلامى مأخوذاً عن الفرس اعتماداً على رواية ميمون بن مهران التى أوردها البيرونى ، وجاء فيها أن عمر بن الخطاب « لما رفع إليه صك محله فى شعبان ، فقال عمر : أى شعبان ، الذى نحن فيه أو الذى هو آت ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله وآله فاستشارهم فيما دمه من الحيرة فى أمراة الوقت ، فقالوا يجب أن نعرف الحيلة فى ذلك من رسوم الفرس ، فاستحضروا الهرمزان واستملوه ذلك ، فقال : إن لنا حساباً نسميه ماه روز أى حساب الشهور والأيام . فمرّبوا دماه وروز ، فقال « مورخ » وجعلوا مصدره التأريخ وشرح لهم

(١) الصولى أدب الكتاب ، ص ١٧٩ - الضاوى ، المصدر السابق ، ص ٥٠٩

(٢) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣

(٣) الضاوى ، الإعلان ص ٥٠٩

المرزمان كيفية استعمالهم ذلك ، وما عليه الروم من مثله . فتم اتخاذ الهجرة بعد ذلك أساسا للتاريخ الاسلامي (١) .

ويعتقد أن المسلمين أخذوا فكرة التاريخ من عرب الجنوب ، فما لا شك فيه أن عرب الجنوب اهتموا بأمر التوقيت لموامل عديدة منها الزراعة التي تخضع لتقلبات الجو وتبدل المواسم ، ومنها الأعياد والشعائر الدينية التي لها ارتباط وثيق بضبط الاوقات ، ومنها التجارة في البر والبحر (٢) . وقد ورد لفظ « ورخ » في نقوش العربية الجنوبية ، وجمعا أورخم بمعنى الشهر القمري (٣) .

وما إن اتفق المسلمون على اعتبار هجرة الرسول إلى يثرب أساسا للتقويم الاسلامي حتى اختلفوا في الشهر ، فرأى بعضهم أن يبدأوا برمضان ، ورأى آخرون وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف ، أن يبدأوا التاريخ بربح باعتبارها أول الأشهر الحرم ، ولكن عثمان وعلى اقترحا أن يكون مبدأ التاريخ الهجري في الحرم ، لأنه شهر حرام ، فأخذ عمر برأيهما لاعتبارات منها أن الحرم شهر حرام والعرب تعظمه ، ومنها أنه آخر الأشهر الحرم ومنصرف الناس من الحج (٤) ، ومنها أن يبعث العفة التي بمقتضاها اتفق الرسول مع الأوس والخزرج على الهجرة إلى يثرب حدثت في ذي الحجة ، ثم عزم الرسول على الهجرة في الحرم ، فكان أول هلال استهل بعد اليعة والعزم على الهجرة هو هلال الحرم (٥) ، وكان العرب في الجاهلية يستمرون الأهلة مواقيت لتعيين أوائل الشهور ، كذلك اعتبر الاسلام الرقبة شهادة ابتداء

(١) البيهقي ، الآثار الباقية ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السخاوي ، الاعلان ص ١٢٠

(٢) جواد علي ، ج ٨ ص ٣٤٣

(٣) قس المرجع ص ٣٦٦

(٤) المولى ، ادب الكتاب ، ص ١٨٠

(٥) السخاوي ، الاعلان بالتوخيخ ، ص ٥٠٩

الشهر الجديد (١) ، وميز العرب شهر المحرم عن غيره باعتباره أول السنة بزيادة الألف واللام .

وكان العرب يفلون الليالى على الايام فى التاريخ ، بخلاف العجم الذين كانوا ينون تاريخهم على الايام دون الليالى (٢) ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه وولده ، ولأن الالهة الليالى دون الايام وفيها دخول الشهر (٣) . وقد قدم الله تعالى فى كتابه العزيز الليالى على الايام فى قوله تعالى : وله ما سكن فى الليل والنهار ، وهو السميع العليم ، (٤) ، وقوله أيضا : وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، (٥) ، وفى قوله تعالى : وإن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ، (٦) ، وفى قوله : وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصر ، إن فى ذلك

(١) جواد على ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ . وكان العرب يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر لقربهم ، يضى الشهر الفات ، من وقت الحج ، وسرورهم بالوسم ، فلبسوا الرؤية للعلم ، فقالوا استهل وأهل ، وسموا القمر هلالا لهذا المعنى ، (راجع الصولى ، ص ١٨٢) ، وكان العرب يسمون أول ليلة من الشهر البراء ، لبراء القمر من الغمس ، كما كانوا يسمونها التحيرة لأن الهلال نحرها أى رؤى ونحرها .

(٢) عبد الحميد العبادى ، التاريخ عند العرب ، نصل . ضاف فى كتاب علم التاريخ لهرشرو ، ص ٥٢ .

(٣) الصولى ، ص ١٨٠ - الألوامى ، بلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ٢١٦ وما يليها .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ٦ آية ١٣ ،

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنعام آية ٦٠ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ٧ آية ٥٤ .

لآيات لقوم يسمعون ، (١) ، وفي قوله : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » (٢) ، وفي قوله : « وهو الذى يحى ويميت وله اختلاف الليل والنهار » (٣) ، وفي قوله : « ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » (٤) ، وفي قوله : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون » (٥) .

(١) القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية ١٠ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٢١ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة المؤمنون ، آية ٢٣ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة لقمان ، آية ٣١ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، آية ٣٧ .

(٢)

آراء مؤرخي العرب في التأريخ

١- فائدة التأريخ:

ارتبطت الكتابة التاريخية منذ بدايتها في صدر الاسلام بالعلوم الدينية ارتباطاً وثيقاً ، فكان المؤرخون الاولون يكتبون في السيرة النبوية وفي المغازي وفي نسب قريش ، وفي الطبقات وفي التراجم لرجال العلم والفقه الحديث . وما لا شك فيه أن القرآن أكد على أمثلة الشعوب الماضية لما تنطوي عليه هذه الامثلة من عبر دينية ومواضع خلقية ، كما جاء القرآن بنظرة عالية إلى التاريخ بمثلة في تتابع النبوات ، وكان لهذه النظرة أثرها العميق في اهتمام كتاب العرب بدراسة تاريخ الرسل والأنبياء ، يضاف إلى ذلك أن القرآن نص على أن سيرة الرسول مثل المسلمين يقتدون به ، وكان لهذا التأكيد أثره في عناية كتاب العرب بدراسة السيرة النبوية ودراسة حياة الرسول ، وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم المغازي ، وتعني لغوياً دراسة أعماله الحربية ولكنها تشتمل في حقيقة الامر على عصره كله (١) . ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب التأريخ المجري ، وتم العرب لإنشاء دولة إسلامية واسعة الاطراف ، وأسس ديوان الجند ، حتى زاد اهتمام المسلمين بدراسة الانساب ، ولا يخفى ما للدراسة الانساب من أهمية في خدمة التاريخ .

ولقد جمع كثير من أئمة المسلمين بين الفقه والتاريخ ، فكان الطبري وابن كثير المعشوقين بمجموع بين التفسير والتاريخ ، وكذلك كان الحافظ الذهبي مؤرخاً وفقيهاً

وحافظاً في آن واحد ، وكان محي الدين محمد الكافيجي (ت ٨٧٩) ، وشمس الدين السخاوي الحافظ المؤرخ (ت ٩٠٢) ، يجمعان بين الفقه والتاريخ . وكان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الديني ، حتى يصبح علم التاريخ على هذا النحو وسيلة لفهم الفقه والشرعية . ولقد خُص الكافيجي في رسالته ، المختصر في علم التاريخ ، جانباً كبيراً من عنايته لتوضيح مركز التاريخ في العلوم الدينية الإسلامية (١) ، ولا عجب في ذلك ، فإن الكافيجي كان عالماً دينياً قبل أن يكون مؤرخاً . كذلك أشار السخاوي في كتابه « التبر المسبوك » ، إلى أهمية التاريخ لعلم الشريعة ، فقال : « (وبعد) فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي ، وزين تقرر به العيون ، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوى ، بل وقعه من الدين عظيم ، ونفعه متين في الشرع ، شهرته غني عن مزيد البيان والتفصيل ، إذ به يظهر تزييف مدعى القا ، ويبان ما صدر منه من التحريف في الارتقا ، إذ كان اختل عقله أو اختلط ، ولم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط ، وتحفظ به الاسباب المترتب عليها صلة الرحم ، والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حسباً قرر في محله وفهم ، وكذا تعلم منه آجال الحيوف ، واختلاف التقود والاقواف ، التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو مهود ، وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والامراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم ، في حربهم وسلمهم ، وما أبقي الدهر من فضائلهم وأورذائلهم ، بعد أن أبادهم الحداث ، وأبلى جديدهم الاوان ، حيث تتبع الامور الحسنة من آثارهم ، ولا يسمع منهم فيما تفرغ عنهم المقول المستحسنة من أخبارهم ، ويعتبر بما فيه من المواظ

(١) الكافيجي ، المختصر في علم التاريخ ، راجع الباب الثاني الخامس بأصول علم التاريخ

النافعة والعلائف المفيدة، (١) .

ولقد استعرض السخاوى ما ذكره مؤرخو العرب فى العصر الاسلامى فى فائدة علم التاريخ ، وأورد فى كتابه ، الاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ، مقدمة فى فضل المشتغلين بالتاريخ ، فقال : فلما كان الاشتغال بفن التاريخ للعلماء من أجل القربات ، بل من العلوم الواجبات ، المتنوعة الاحكام الخمسة بين الاصابات وقال أيضاً : د وأما ما لعله يذكر فيه من أخبار الانبياء صلوات الله عليهم وسنتهم ، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم ، والحكماء وكلامهم ، والزهاد والنسك ومواعظهم ، عظيم الغناء ، ظاهر المنفعة ، فإى يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريره فى اعتقاداته ، وسيرته فى أمور الدين ، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوى . وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم ، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء ، وما يتصل بذلك من الاجوال التى يتكرر مثلها وأشباهاها أبداً فى العالم ، غزير النفع ، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كن عاش الدهر كله ، وجرب الامور بأسرها وبأثر تلك الاحوال بنفسه ، فيغزى عقله ، ويصير مجرباً غير غر ولا غر وإذ أنه أيضاً جم الفوائد كثير النفع لدوى الهمم العالية والقراخ الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الاخبار إلى التشبه والافتداء بأربابها ، ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر (٢) .

لحوادث التاريخ على حد قول السخاوى عبرة وموعظة ، ودرس وتجربة ،

(١) السخاوى ، كتاب النبر المسبوك لى ذيل الملوك ، بولاق ١٨٩٩ ، ص ٢

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١

توقف المدارس على عثرات الماضين وأسباب انقراض الدول والحضارات ،
وتدفع أصحاب المثل الى الاقتداء بالشخصيات البارزة ، ولقد أورد السخاوى
مقتطفات كثيرة لأقوال بعض المؤرخين والكتاب رتبها ترتيباً زمنياً ، نستعرض
بعضها ، ونضيف اليها مقتطفات لم يذكرها السخاوى ، ونبدأ هذه المقتطفات بما
ذكره أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) فى مقدمته للأغانى : «ان القارىء
اذا تأمل ما فيه من الفقر ونحوها لم يزل منتقلاً بها من فائدة الى فائدة ، ومنصرفاً
منها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار ، متصلة بأيام العرب
المشهوره ، وأخبارها الماثورة ، وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام ،
تجمل بالتأديب معرفتها ، وتحتاج الاحداث الى دراستها » (١) .

وأورد قطعة من مقدمة أبى الفرج بن الجوزى فى المنتظم جاء فيها :
« والسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان : ١ — إحداهما أنه ان ذكرت
سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله ، أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم ، أو
(ان ذكرت) سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط ،
فيتأدب الملتسط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ،
ويكون روضة للنتزة فى المنقول .

٢ — والثانية أن يطلع بذلك عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن وتصاريف
القدر وسماع الاخبار » (٢) .

وذكر العماد بن حامد الأصفهاني فى الفتح القسى : « أما
بعد ، فان التاريخ لسان يخبر به الزمان عن عجائب الوقائع ، بل أستاذ

(١) الأغاني ، ج ١ (طبعة بيروت ١٩٥٦) ، ص ٥ — السخاوى ، الاعلان

التويخ ، ٤٠٧

(٢) السخاوى ، الاعلان ، ص ١٢

يقرر دروس الحوادث ليعيها السامع ، بل ما شئت من محمود بمدوح بنفسه .
كروب النفس ، وروح الروح ، وله رجاله أئمة فضلاء وسادة جلة نبلاء (١) .
وقال أيضاً في موضع آخر : « وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث
وثمانين وخمسة ، لأن التواريخ معنادها إما أن تكون مستفتحة منذ بدء نشأة
البشر الأولى ، وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى ، فلا أمة من الأمم
ذوات الملل وذوات الدول إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه ، ينقله
خلفها عن سلفها ، وحاضرها عن غابرها ، تقيد به شوارد الأيام ، وتنصب به
معالم الاعلام ، ولولا ذلك لا نقطعت الوصل ، وجهلت الدول ، ومات في أيام
الآخر ذكر الأول . . . ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ،
ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة ، ولقل الاعتبار بمسألة المواقب
وعقوبتها . . . » (٢) .

وقال الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعى البجلي ، صاحب تاريخ اليمن المسمى
فرجة الموموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن : « أما بعد ، فإن علم التاريخ علم
جليل المقدر ، شهدت بفضل الآيات والأخبار ، واعتنى نقله الآيات والأخبار
وأنفقوا في ذلك نفائس الاعمار ، يطلع به الماقل على ما مر من الأعصار ، فيزيد من
الكياسة والاستبصار ، بما حدث للأمم الماضية من الحوادث التي فيها عظة
واعتبار » (٣) .

(١) ماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القرشي الأسفهانى ، كتاب الفتح النفسى فى
الفتح القدسى ، نشره السكوات كارلو دى لاندريج ؛ لندن ١٨٨٨ ج ١ ص ١

(٢) نفس المصدر ، ص ٤ — السخاوى ، الإعلان ، ص ٤١٣

(٣) عبد الواسع بن يحيى الواسعى البجلي ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الموموم والحزن فى
حوادث وتاريخ اليمن ؛ القاهرة ١٣٤٦ ص ٣ ، ٤

ونقل السخاوى عن ابن الاثير ما ذكره عن فوائد التاريخ : ولقد رأيت جماعة من يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحقر التواريخ ويزدرجها ، ويعرض عنها ويلغيا ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما هو القمص والأنخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسماء ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون الب لب نظره ، وأصبح غشلباً جوهريه ، ومن رزقه طبعاً سليماً ، وهده صراطاً مستقيماً علم أن فوائدنا كثيرة ، ومنافعنا الدنيوية والأخروية جمة غزيرة . . . فأما فوائدنا الدنيوية فنها أن الانسان لا يخفى أنه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فيألت شعرى أى فرق بين مارآه أمس وأسمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟ ، فإذا طالعهما فكأنه عاصرم ، وإذا عليها فكأنه حاضرهم ، ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ، ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس ، فيرونها خلف عن سلف ، ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر ، وقبيح الأحداث ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال ، استقبحوها ، وأعرضوا عنها واطرحوها ، وإذا رأوا سيرة الرلاة المادلين وحسنها ، وما يتبهم من الذكر الجليل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وبما لكهم عمرت ، و أموالها درت ، استحسنوا ذلك ، ورغبوا فيه ، وثابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات الأعداء ، وخلصوا بها من الممالك ، واستصانوا نفائس المدن ، وعظيم الممالك ، ولولم يكن فيها غير هذا لكنى به غراً . ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما تعير إليه عواقبها ، فانه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك عقلاً ، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً . ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيت العقل عقليين .: فطبوع ومسموع
 فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
 كما لا تنفع الشمس .: وضوء العين ممنوع
 يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للإنسان ، وبالمسموع
 ما يزداد به العقل الغريزى من التجربة ، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً له ،
 والا فهو زيادة فى غفلة الاول . ومنها ما يتجمل به الإنسان فى المجالس والمحافل
 من ذكر شيء من معارفها ونقل طريقة من طرائفها ، فترى الاستماع مصفية اليه ،
 والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره .
 أما الفوائد الاخرية فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأى تقلب
 الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها الى أعيان قاطنيتها ، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم ،
 وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير ، ولم يسلم من نكدهما
 غنى ولا فقير ، زهد فيها وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، ورغب فى
 دار تنزهت عن هذه الخصائص ، وسلم أهلها من هذه النقائص . . . ومنها التخلق
 بالصبر والتأسي ، وهما من محاسن الاخلاق ، فان العاقل إذا رأى أن مصاب
 الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من البشر ، علم أنه
 يصيبه ما أصابهم ، وينوبه ما نابهم . . . (١) .

ونقل من مقدمة أبى بكر محمد بن محمد بن على بن خريس لكتابه « تاريخ
 مالقة » الفقرة التالية : « إن أحسن ما يجب أن يعتق به ، ويعلم بجانبه ، بعد
 الكتاب والسنة ، معرفة الاخبار ، وتقييد المناقب والآثار ، ففيها تذكرة

بقلب الدهر بأبنائه ، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائب أوقانه .
وتنبه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم ، وتدون مناقبهم وأخبارهم .
ليكونوا وكأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ، ومتصرفون وعاطبون لك
في كل حال ، ومعروفون بما هم به متصفون ، فيتلو سورهم من لم يعين صورهم ،
ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يماينهم ، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم .
ويعلم المتصرف منهم في المنقول والمفهوم ، والمتميز في المحسوس والمرسوم .
ويتحقق منهم من كست الآداب حليها . وأرضعت الرياسة ثديها ، فيجد في الطلب
ليلحق بهم ، ويتمسك بسببهم ، (١) .

ونقل عن أبي اسحق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المظفر بن أبي الدم الفقيه الحنفي .
موضحاً أهمية التاريخ بالنسبة للعلماء فقال : « إنما الفائدة في التاريخ الاسلامي مع
قربه من الصحة ، ذكره لعلاء الأمة المحمدية ، وذكر محاسنهم ، وعلومهم .
ومواعظهم ، وحكمهم ، وسيرهم التي يستدل العامل بها في أموره ، ويتدبرها
ويتفكر فيها ، فينتفع بما قالوه وعانوه ، وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا
وأخرى » (٢) .

وقد اهتم ابن خلدون (ت ٨٠٩ هـ) في مقدمته بفن التاريخ ، فأشار إلى أنه
في الظاهر لا يعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدول القديمة والامم
الماضية ، ولكنه في الباطن نظر وتحقيق ، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها ، وهو
يطلعنا على أسباب الوقائع والاحداث ، وكيفية حدوثها (٣) . ثم خصص فصلاً

(١) السخاوي ، الاعلان ، ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤١٨ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد واى ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

تمهيدا عدد فيه فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، فقال : « اعلم أن فن التاريخ عزيز المذاهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوفقنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياساتهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا . ثم يشير إلى ما يحتاج إليه المؤرخ في تأريخه للأحداث ، من اتساع المعارف ، وحسن النظر ، والثبوت ، كي يتجنب عن المزالات والمغالط ، وينصح بعدم الاعتماد على المنقول ، وبضرورة إلمامه بقواعد السياسة وطبيعة العمران في الاجتماع الانساني ، والاطلاع على طبائع الموجودات ، والإحاطة باختلاف الأمم والبقاع في السر والاخلاق والعوائد والتحل والمذاهب ، ومعرفة الحاضر من ذلك ، ومائلة ما بينه وبين الغائب ، وتعليل المتفق منها والمختلف (١) .

ب - إعطاء المؤرخين العرب في رأى ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون أول من بحث من كتاب العرب في الاجتماع الإنساني ، والعمران ، ونظم الحكم والسياسة في العصر الاسلامي ، وأول من طبق منهم منهج البحث العلمي في الكتابة التاريخية ، فنظر إلى التاريخ العام الاسلامي نظرة شاملة ، واستخلص من الدراسات التاريخية السابقة عليه آراء جديدة في علم التاريخ ضمنها نظرات فلسفيه ، تتضمن من النقد والتحليل ما لم تعرفه مصنفات العرب في التاريخ قبله ، وقد عمل ابن خلدون على تطبيق آرائه في فلسفة التاريخ ، عند تعرضه لدراسة تاريخ الدول الاسلامية في المشرق والمغرب ، على نحو يختلف عن نهج من سبقه من مؤرخي العرب ، وإن كان قد وقع في بعض الأغلاط التي

(١) ابن خلدون ، نفس المصنف ، ص ٢٥١

أخذها على غيره من المؤرخين (١).

وقد أخذ ابن خلدون على الباحثين في التاريخ والمصنفين له مأخذ تلخصها فيما يلي :

١ — نقل بعض المؤرخين روايات مصنفة لكتاب سابقين عليهم بأغلاطها وزلاتها ، أو سجلوها في كتاباتهم كما سمعوها ، دون أن يقوموا بتصنيفها من شوائبها أو تنقيحها ، ودون أن يعملوا ذهنهم في فهمها ثم نقدها بعد ذلك . وفي ذلك يقول : « وإن غول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها . وغلطها المتطفلون بدساتر من الباطل ومموا فيها أو ابتدعوها . وزعارف من الروايات المضغفة افقوها ووضعوها ، واقتنى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها . وأدوها إلينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها . ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها . فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب قليل ، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل . والتقليد عريق في الآدميين وسليل » (٢) . والنقل إذا تم دون أن يقوم الناقل بمراجعة ما نقله ودون قياس الماضي بالحاضر . والغائب بالشاهد ، عده خطأ كبيراً . وفي ذلك يقول ابن خلدون : « إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذهاب ، فربما لم يقرن فيها من الشور . ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع للتورخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في

(١) سيدة كاشف ، معادو التاريخ الاسلامي ، ص ٦٠

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٠٩

الحكايات والوقائع ، لا اعتماد فيها على مجرد النقل غشا أو سميها ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار . . . (١) .

وبأبى ابن خلدون بشواهد تاريخية توضح نتائج الاعتماد على النقل دون تحكيم البصر والبصيرة فيما نقلوه خاصة فيما يتعلق بالإحصاءات العددية للجند والاموال ، فيذكر منها ما نقله المسعودى وغيره في جيوش بني اسرائيل أن عدتهم في التيه ستمائة ألف أو يزيدون ، وهو رقم مبالغ فيه ، لا يصح لمؤرخ مثل المسعودى أن ينقله دون تعليق أو نقد . ويشير ابن خلدون الى مبالغة المؤرخين في ذكر أعداد الجيوش ، أو في احصاء أموال الجبايات ، فيتجاوزوا في ذلك حدود المعقول ، وكان لابد لمؤلفه المؤرخين عند قيامهم بنقل هذه الأعداد التحقق من موافقتها للنظن

٢ — ويعيب ابن خلدون على المؤرخين المعتمدين على النقل البعد عن الواقعية في سرد الحقائق التاريخية ، والاعراب في الحيال الى حد تزييف الخبر وتشويهه ، ويضرب أمثلة في ذلك . فيذكر أن بعض المؤرخين الذين ينقلون أخبار التبايعة يذكرون خروجهم من قراهم باليمن الى افريقية من بلاد المغرب ، وأن إفريقش بن قيس بن صيفى من أعظم ملوكهم الاول ، وكان معاصراً لموسى عليه السلام على حد قولهم ، غزا افريقية وأثنى في البربر ، وأنه هو الذى أطلق عليهم اسم البربر عندما سمعهم يرطنون ، وأنه حجز هنالك قبل انصرافه من المغرب جماعات من القبائل الخيرية ، اختلطوا بأهل المغرب ، ومنهم صنهاجه وكتامة ، ومن هذا ذهب الطبرى والجرجاني والمسعودى وابن الكلبي الى القول بأن صنهاجه وكتامة من حمير (٢) .

(١) ابن خلدون ، نفس المصدر ، ص ٢١٩

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٣

ويواصل ابن خلدون حديثه عن هذه المبالغات الأسطورية التي لا يتخلل منها كتاب يتناول تاريخ التباينة ، أو يتعرض لذكر عاد (١) ، ثم يورد أمثلة أخرى تصورا لأخبار الملفقة الموضوع لتبرير حادث من الحوادث وقع في العصر الاسلامي ، من ذلك ما أدخله المؤرخون من قصة العباسية أخت الرشيد مع جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي تبريراً لنكبة الرشيد للبرامكة ، ويرجح ابن خلدون السبب الحقيقي لنكبة البرامكة الى استبدادهم بشؤون الدولة واحتجائهم أموال الجباية (٢) ، ثم يحدثنا ابن خلدون عن أخطاء المؤرخين الذين يطعنون في نسب العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة إلى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق ، اعتماداً على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس نزولاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، ويعيب ابن خلدون على هؤلاء المؤرخين غفاتهم عن النفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم (٣) . ومن الأمثلة التي يوردها ابن خلدون في الطعن في الأسساب ، ما ذكره في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ، والتشكك في نسبه إلى أبيه الإمام إدريس الأول فيزعم هؤلاء أنه لراشد مولى إدريس فيقول : وما أجهلهم ! أما يعلون أن إدريس الأكبر كان أصهاره في البربر وأنه منذ دخل المغرب إلى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو ، وأن حال البادية في مثل ذلك غير خافية ، إذ لا مكان لهم يتأق فيها الريب ، وأحوال حرمهم أجمعين برآى من جاراتهن لتلاصق الجدران ، وتطامن البنيان ، وعدم الفواصل بين المساكن ؟ (٤) .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٢٧

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٤٠

(٤) نفس المصدر ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٤٤

٣ — ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها المؤرخون غفلتهم عن تبدل أحوال الأمم والأجيال بمرور العصور والأيام . واعتقادهم أن أحوال العالم في عصرهم هي نفسها في العصور الماضية لم تتغير ، فيحكمون على الشخصيات التاريخية القديمة على أنها معاصرة لهم ، فيقول : « ومن الغلط الخفي في التاريخ النحول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ، وهو داء دوى شديد الخفاء ، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليفة . وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال إلى حال » (١) . ثم يقول : « فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ، ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها ، فيجرىها لأول وهلة على ما عرف ، ويقيسها بما شهد ، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً ، فيقع في مهواة من الغلط » (٢) .

ويأتى ابن خلدون بأمثلة في هذا الباب ، فيشير إلى ما بقى فيه بعض المؤرخين المتأخرين والمنصفين لكتب التاريخ عندما يظنون أن ابن أبي عامر الحاجب المستبد على هشام المؤيد ، وكان قاضياً للوارث في زمن الحكم المستنصر ويخرج في نفس الوقت بالعسكر ، أن خطة القضاء في ذلك العهد تماثل خطة القضاء في زمنهم .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٢

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٤

ج - الشروط الموزمة توفرها في الكتبة الناجمة

(في رأى ابن خلدون والسخاوى)

يشترط ابن خلدون في المؤرخ أن يكون عالماً ، بقواعد السياسة وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال ، والاحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف . وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادئ ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم . حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث . واقفاً على أصول كل خبر (١) . ويشترط السخاوى في المؤرخ أن تتوفر فيه العدالة مع انضبط التام والتحرى في العادات . وعدم المداينة للمدح والبلز واستخدام الاشارات الحفية لشخص يفضه بسبب منافسة في رتبة ، أو اختلاف في رأى أو ما نحو ذلك (٢) . والمؤرخ الفاضل لا ينبغي أن يصرح بالتجريح اى باتهام زميل له بتهمة الكذب او الوضع ، اذا كان قد أخطأ في أمر من الامور . والافضل أن يكسو الفاظه أحسنها ، اذا أراد الجرح . أو بأدنى تصريح (٣) . كذلك لا ينبغي للمؤرخ الفاضل أن يحزم بأمر من الامور اذا كان هذا يحتمل قولين ، فلا بد له من الإحتياط والوقوف ، الى أن يصل في حكمه بتأويل صحيح . ويشترط السخاوى أيضاً أن يكون عارفاً بما ينقله من غيره ، حتى لا يحزم الا بما يتحققه ، فان لم يحصل له مستند معتمد في الرواية ، لم يحزم له

(١) نفس المصدر ، ٢٥٩

(٢) السخاوى الاعلان ، ص ١٨٢ وما يليها

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٩٢

النقل لقوله صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)، وليكون بذلك محترزا عن وقوع المجازفة والبهتان، والافتات والمدوان، وهو لا يشعر ولا يبصر^(١)، كما يشترط أيضاً في المذرخ التمييز بين المقبول والمردود، وبين الرفيع والوضيع، وفهم الالفاظ ومواقفها خوفاً من اطلاق الفاظ لاتليق بالمرجحين، والصلاح والتقوى، حتى لا يأخذ بالنوم والقرائن التي تختلف^(٢).

(١) غس المصدر، ص ٤٩٤

(٢) نفس المصدر، ص ٤٩٨ - الزهر المسبوك، ص ٤

الفصل الثاني

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١)

أخبار العرب في الجاهلية

وصلت إلينا أخبار العرب في الجاهلية الأولى ، التي سجلها المؤرخون في مدوناتهم لأول مرة في العصر الأموي ، مشوهة ، لا تعدو أن تكون أخباراً يغلب عليها الطابع الأسطوري ، أو أخباراً أدخلها المفرضون عن اعتقوا الإسلام من أهل الكتاب ، لاسيما ما كان يتعلق منها بتاريخ الين وأخبار ملوكها وأقيالها . أما التاريخ الجاهلي القريب من الإسلام ، والذي وصل إلينا في المصادر العربية ، فأقرب بكثير إلى الواقع التاريخي من الروايات التي سجلها الاخباريون عن عصر الجاهلية الأولى المرفقة في القدم ، لأن أخباره كانت هاتزال ثابتة في ذاكرة القوم لقربها من أحداث عصر النبوة ، ولاتصالها الوثيق بحياة الرسول قبل المبعث . وحتى هذه الاخبار القريبة في جاهليتها إلى الإسلام ، رغم قربها من الواقع التاريخي عن غيرها من أخبار الجاهلية الأولى ، لاتخلو من تحريف وقصص . الأمر الذي دعا الدارسين في تاريخ العرب في هذه الحقبة إلى بذل جهود هائلة لتصفيتها مما يشوبها من التحريف (١) .

ويرجع السبب في تشويه أخبار الجاهلية الأولى واضطرابها ، واختلاطها

(١) السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، ص ٦٠ وما قبل

بالقصص والاساطير إلى انتشار الأمية بين العرب قبل الإسلام ، ففضل الرواة الحفظ على الكتابة ، واعتمدوا على الذاكرة (١) ، ولذلك ظلت هذه الاخبار تتداول شفاهاً على الالسنه جيلاً بعد جيل ، ولحمة إثر لحمة ، إلى أن دونت في العصر الاموى عندما ثبتت دعائم الدولة الإسلامية واستقرت أركانها ، وبدأ العرب يعنون بأخبارهم القديمة ، وقد دخل فيها الكثير من عناصر القصص . ولم تدون هذه الاخبار قبل العصر الاموى لموامل ثلاثة : الاول — أن العرب بعد الإسلام نظروا إلى عصر الجاهلية على أنه عصر انحطاط أخلاقي (٢) ، فلم يهتموا برواية أخباره الإهتمام الكافي ، والثاني — أن العرب شغلوا بالدعوة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما شغلوا بالفتوحات الإسلامية والتنظيمات الإدارية والإقتصادية والدفاعية للدولة العربية الإسلامية في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، وبفترة الامصار في خلافة عثمان ، وبالصرع بين أهل العراق وأهل الشام في خلافة علي ، وبالصرع بين العيصيتين العريدين اليمنية والمغربية في زمن مروان بن الحكم ، ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية ؛ عن تدوين أخبارهم القديمة أما العامل الثالث فيرجع إلى أن المواد التي كان يسجل عليها العرب أخبارهم كانت سهلة الكسر ، سريعة الضياع .

ولاشك أن أخباراً جاهلية ، تنقل على هذا النحو في العصر الاموى ، على لسان الرواة لم تكن تعدو قصصاً خرافية وأساطير مخلو من الصفة التاريخية ، وتبعد عن الحس والمنظور التاريخيين اللذين يعتمدان على النقل والتحليل والنظر

(١) عبد المزمع ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي ، ص ٢٣ — سيدة اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ١٢ — روزنتال ، ص ٩٨ — هارتمان ، ص ١٤٤ وما يليها .

والتحقيق (١)، هذه الاخبار على حد قول ابن خلدون ، بعيدة عن الصحة ، عريقة في الوم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعه (٢) ، وهى لذلك لا يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها لما تتضمنه من مبالغات وخرافات (٣) . ومعظم ما وصلنا في كتب الاخباريين يتناول أخبار الامين وملكها من النباعة ، وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس وجرم ، أو يتضمن أخباراً وقصصاً عن بنى اسرائيل . أما في شمال الجزيرة العربية فالامر يختلف كثيراً ، فقد كان لدى المناذرة كتب تتضمن أخباراً تفصيلية عن عرب الحيرة وأنسابهم وسير ملوكهم ، كانت محفوظة في بيع الحيرة أفاد منها ابن الكلبي في مصنفه عن الحيرة (٤) ، ومنها استقى ابن هشام والطبري وغيرهما أجزاء كبيرة من مادتهم التاريخية . كذلك كان لعرب الحجاز أخبارهم عن أحوالهم الاجتماعية والانساب تتمثل في أيامهم وأشعارهم ، وأيام العرب بمجموعة روايات شفوية قبلية جماعية تتخللها الاشعار ، جمعت في القرن الثاني للهجرة (٥) . ومع أن روايات الأيام مضطربة من الناحية الزمنية والتوقيت كما أنها لم تكن تخلو من عصبية ، بالإضافة إلى انه ينقصها التماسك والحبكة التاريخية ، فانها مع ذلك كانت تتضمن كثيراً من الحقائق

(١) ابن خلدون ، المقدمة . ج ١ ص ٢٠٩

(٢) نفس المصدر ، ٢٢٤

(٣) جب ، علم التاريخ حائرة الطارف الاسلامية ، القسم العرب ، ص ٤٨٣ (مجلد

٤ ، عدد ٨)

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، المجلد الأول ، قسم ٢ ، تحقيق دى غوية

لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢ ص ٧٧٠ . يقول هشام : كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل

أنصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنينهم من يسع الحيرة

(٥) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٧

التاريخية (١) ، بحيث يطالب حاجي خليفة بمجملها فرعا من فروع التاريخ (٢) . أما الشعر العربي في الجاهلية فقد كانت له أهمية في إطلاعنا على الأحوال الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، فهو ديوان العرب ، وبه حفظت الانساب . وعرفت المآثر ، ومنه تعلت اللغة العربية (٣) . وإلى جانب الشعر العربي وأيام العرب في الجاهلية ، اهتم العرب في الجاهلية بحفظ الانساب القبلية ، ولا يخفى ما لرواية الانساب من أهمية كبرى بالنسبة للدراسة التاريخية .

وشهد القرنان الاول والثاني للهجرة اهتماما خاصا بدراسة أخبار العرب في الجاهلية والإسلام ، وأخبار الأمم والشعوب التي اتصلت بهم أو اتصلوا بها ، وتألف من مجموع هذه الاخبار مجموعة من الكتابات التاريخية في أخبار اليمن وأشعارها ، وفي أخبار وقائع العرب في الجاهلية ، ومن المؤرخين العرب الذين اشتغلوا برواية أخبار العرب قبل الإسلام عبيد بن شربة الجرهمي النخعي ، ووهب بن منبه (ت ١١٠ هـ) ، ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩ هـ) . وإلى هؤلاء المؤرخين نضيف جماعة من الاخباريين ممن كان لهم إهتمام كبير بالانساب والشعر ، نخص منهم بالذكر أبا غنم الأزدي (ت ١٥٧ هـ) ، وعوانه بن الحكم الكوفي (ت ١٤٧ هـ) ، وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) ، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) ،

(١) جب ، علم التاريخ ، دائرة المعارف الاسلامية ، القسم العرب ، ص ٤٨٤

(٢) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، طبعة المطبوع ، ج ١ ص ٢٠٤ (١٩٤١)

(٣) القرشي ، جهرة أشعار العرب ، بولاق ١٣٣٨ هـ ، ص ٣ - السيوطي . المزه

ق علوم اللغة ، شرح الأستاذ محمد احمد جاد المولى وآخرين ، ج ٢ ص ١٧٠ ، أحمد أمين

دار الاسلام ، ص ٥٧ - السيد عبد العزيز سالم ، عصر ما قبل الإسلام ، ص ٣٦

وعلى بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ)، ومن أهم جغرافية بلاد العرب بوجه خاص أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤).

ومادعنا نتحدث عن أخبار العرب في الجاهلية، فسكتني بذكر الفريق الأول من المؤرخين الذين عنوانوا بالكتابة عن الجاهلية:

١ - عبيد بن شربة الجريهمي البجلي:

اختلفوا في أصله، فروى أنه كان من أهل صنعاء، وقيل إنه من الرقة بالعراق، والراجح أنه كان يمنيًا وجريهميًا بالذات. وكان قصاصًا أخباريًا، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يسمع منه شيئًا. ثم وفد على معاوية بن أبي سفيان، وبرز في بلاطه (١)، وذكروا أنه كان يسمع معاوية كل ليلة شيئًا من أخبار العرب وأيامها وأخبار العجم وملوكها وسياساتها (٢)، وأنه ألف له كتاب الملوك وأخبار الماضين (٣)، الذي طبع في ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير، المنشور في حيدر آباد دكن في الهند سنة ١٣٤٧ هـ بعنوان «أخبار عبيد بن شربة الجريهمي في أخبار اليمن وأشعارها ونسبها»، لآبي محمد بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣). وكتاب ابن شربة يتضمن كثيرًا من أخبار العرب في الجاهلية، كما يشتمل على كثير من الأشعار التي وضعت على لسان عاد وثمود

(١) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١٨١ — الممدودي، مروج الذهب وسعدن الجواهر، ج ٢، طبعة عيسى الدين عبد الحميد؛ القاهرة ١٩٥٨ ص ٨٥.
 (٢) الممدودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٠.
 (٣) راجع مقدمة الدكتور نبيه أمين فارس للجزء الثامن من كتاب الأكليل، برنستن ١٩٤٠، ص ت

وطسم وجديس والتبابعة . كذلك يضم الكتاب بعض أخبار عن بني اسرائيل . ويغلب على جميع هذه الاخبار طابع القصص الشعبي المتأثر بالاسرائيليات (١) . وقد أفاد الهمداني في كتابه الإكامل من أخبار عبيد بن شربة ، فنقل منها .

وهب بن منبه :

كان يمتيا من اهل ذمار ، واصله فارسي ، وقيل انه كان يهوديا واسلم . وينسبون إليه معظم الاسرائيليات الواردة في المصادر العربية ، وقد ركز وهب بن منبه اهتمامه على اخبار اليمن في الجاهلية ، وهو في ذلك يعتمد على مصادر نصرانية ، إذ ان روايته عن نصارى نجران تطابق الروايات النصرانية (٢) . ومن الكتب المنسوبة إليه كتاب الملوك المتوجة من حير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم ، ، وقد وصلت اليها اجزاء منه في كتاب التيجان في ملوك حير . لا بن هشام .

ويغلب على اخبار وهب طابع القصص الشعبي الخرافي ، وقد حمل ذلك المؤرخ هاملتون جب إلى القول بأن كتابي وهب بن منبه وعبيد بن شربة يمدانا ببرهان ساطع على أن العرب الأول كانوا يفتقرون إلى الخس والمنظور التاريخيين

(١) جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ٤٤ — عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ٢٦ . والقصود بالاسرائيليات القصص والاساطير المأخوذة عن العهد القديم ، وقد جم وهب بن منبه وعبيد بن شربة من هذه القصص ما كان متداولاً بين المسلمين وخاصة مارواه كتب الاخبار (ت ٣٢ — ٣٤ هـ) وعبد الله بن سلام (ت حوالى ٤٠ هـ) ، وأضافا إليها ما تمسكنا من جمعه عن طريق اتصالهما بأهل الكتاب ، ومن دراستهما الشخصية للكتب المندسة .

(٢) جواد علي ، ج ١ ص ٤٠

حتى عندما يتطرقان إلى ذكر أحداث تكاد تكون معاصرة لهما (١) .

وينسب إلى وهب كذلك كتاب المبتدأ ، الذى يثير عنوانه إلى ابتداء الخليفة ، وهو أول محاولة عند العرب لكتابة تاريخ الرسائل ، وقد اعتمد عليه ابن قتيبة فى المعارف (٢) ، والطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك (٣) ، والمقدسى فى كتابه البدء والتاريخ (٤) ، واحمد بن محمد الثعلبى فى كتابه عرائس المجالس فى فصص الانبياء ، وقد وجد اتجاهه فى كتابة التاريخ العالمى منذ بدء الخلق صدى قويا عند مؤرخ مشهور من مؤرخى المدينة هو ابن اسحق (٥) . كذلك ينسبون إلى وهب كتاب المغازى الذى لم يبق منه الا مجموعة أوراق مخطوطة ما زالت محفوظة فى مكتبة هيدلبرج بألمانيا . وكان قد عثر عليها الاسناذيسكر (٦) وقد اعتمد الطبرى على كثير من أقوال وهب بن منبه فى تفسيره الكبير (٧) .

وكان وهب بن منبه يجمد عدداً من اللغات القديمة ، فقد كان يتقن اليونانية والسريانية والحيرية ، كما كان يستطيع قراءة الكتابات القديمة التى يتعذر على

(١) جب ، دراسات فى حضارة الاسلام ، ١٤٤

(٢) كثيراً ما تردد اسم وهب فى صفحات كتاب المعارف لابن قتيبة فى الفصل الخامس

بمبدأ الخاق (ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، ص ٣٠)

(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١

(٤) مطهر بن طاهر المقدسى ، كتاب البدء والتاريخ ، نمره كلمان حوار ، باريس

١٨٩٩

(٥) هيد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦ — جب ، عام التأريخ ، دائرة

المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٧

(٦) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٣ — عبد العزيز الدورى ، المرجع

السابق ، ٢٥

(٧) هامانوتون جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٤

العلماء في زمنه قراءتها ، وفي ذلك يقول المسعودي نقلاً عن عثمان بن مرة النخولاني : « لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق ، وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب أيام سليمان بن داود عليهما السلام . فقرأه » (١) .

٣ - هشام بن محمد بن السائب الكلبى :

كان أبوه محمد بن السائب الكلبى (ت ١٤٦ هـ) عالماً بالأنساب واللغة والتاريخ ، يشتهر دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية معتمداً على أفضل سادة في كل قبيلة (٢) ، وخلفه ابنه أبو المنذر هشام في هذا العلم ، فتتبع دراساته أبيه في الأنساب وتقدم بها ، وقد وصل إلينا قطعة من كتابه « جمهرة النسب » مخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني ، ويتضمن ملاحظات عن مشاهير الرجال . يقول عنه ابن قتيبة « كان هشام أعلم الناس بالأنساب أخذ هذا العلم عن أبيه » (٣) ، ما عن دراساته التاريخية فزيرة متنوعة ، فقد تعرض لتاريخ الأنبياء ، وتاريخ حرب في الجاهلية وذكر أبيهم . كما تناول تاريخ الفرس ، وتاريخ العرب في مصر الاسلامي ، ولذلك يعتبر هشام من اعظم الاخباريين في تاريخ العرب في الجاهلية وكان يعتمد على الاصول وال مصادر التاريخية التي تتعلق بموضوع دراساته ؛ ففي تاريخ الانبياء كان يعتمد على اهل الكتاب ، وفي تاريخ الفرس

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٦٦ وما يليها

(٢) عبد العزيز اندوري ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) ابن قتيبة ، كتاب المعاف ، ص ١٨١ .

كان يستقي مادته من الترجمات عن الفارسية ومن الأخبار والقصاص المتداولة ، وفي دراسته عن تاريخ اليمن يستمد مادته من القصص الشعبي المتواتر في تاريخ اليمن (١) ، وفي بحثه عن الحيرة (٢) يعتمد على محفوظات كنائس الحيرة ، وعلى المواد الفارسية المترجمة .

ولشام بن محمد الكلبي كتب كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، يبلغ عددها نحو ١٤٠ كتاباً ، وصل إلينا منها قطعة من كتاب جمهرة النسب ، ووصل إلينا كتاب « الاصنام » ، الذي نشر بمصر (٣) ، وكتاب « لسب لحول الخيل في الجاهلية والإسلام » . وقد أفاد كثير من مؤرخي العرب بالطبري والمسمودي وابن قتيبة . ومع ذلك فقد اتهم هشام وأبوه بالوضع (٤) ، وتجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، ولكن الأستاذ بروكلمان يدافع عنه (٥) ، كما يدافع عنه أيضاً الأستاذ أحمد زكي محقق كتاب الاصنام (٦) .

(١) عبد العزيز الدوري ، ص ٤١ .

(٢) ذكر ابن النديم في الفهرست كتابين من تأليفه بنونان : « كتاب الحيرة » ، وكتاب « الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب البادين » (راجع روزتال ، ص ٣٩٠ — جب ، علم الأربع ص ٤٨٥)

(٣) ابن الكلبي ، كتاب الاصنام ، نشره أحمد زكي باشا ، بولاق ١٣٣٢ ، صورته المارقومية للطباعة والنشر في ١٩٦٥ .

(٤) أبو الفرج الاصفهاني ، كتاب الاغانى ، ج ١ ص ١٩ — راجع أيضاً مقدمة كتاب الاصنام ، ص ١٤ .

(٥) جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ — جواد علي ، ج ١ ص ٤٧ .

(٦) مقدمة كتاب الاصنام ، ص ٣٧٤١١

٤- أبو عبيدة معمر بنه المثنى التميمي:

كان فارسي الاصل ، يهودى الآباء ، ولكنه كان عربيا تيميا أو تيميا بالولاء (١) ، وهو لذلك السبب كان على جانب كبير من الثقافة والاطلاع ، إذ جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية ، وقد أخذ أبو عبيدة من شيوخه أمثال أبو عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وعمد إلى روايات البدو لجمها ، ولذلك كان يعتبر من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

وأبو عبيدة من طلائع مؤرخى العرب فى الجاهلية والاسلام ، اهتم بصفة خاصة ببلاد العرب الشمالية ، فروى عن أخبار قبائلها وأيامها ، كما شملت أخباره قسما من التاريخ الاسلامى فأحاطت بتاريخ العرب فى عصر النبوة والفتوحات الاسلامية (٢) . وقد صنف أبو عبيدة عدداً كبيراً من الكتب عن المدن والامصار ، وعن الفاخر ، وه المثالب ، القبلى ، وفى الاخبار ، وعن شخصيات تاريخية ، وعن المعارك ، وعن الأحزاب (وخاصة الخوارج) ، وعن القضاة ، وعن الموالى ، بالإضافة إلى دراساته فى القرآن والحديث والشعر (٣) . وذكر فى الفهرست أنه كان شعوبيا يطن فى الانساب ويؤلف فى مثالب العرب (٤) ، ويطلق الأستاذ احمد امين نزعتة الشعبوية بأصله الفارسى الذى حرره من الخضوع

(١) احمد امين ، ضعى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) من بين كتبه فى الفتوحات ، كتاب فتوح أرمينية ، وكتاب السواد وفتحها ، وكتاب فتح الاهواز ، وكتاب خراسان (روى فى ٢٨٤)

(٣) الدورى ، ص ٤٤ .

(٤) نجر الاسلام ، ص ٢٦٥ - ضعى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٠١ .

للمصيبة العربية (١) ، ولكن الأستاذ جب يرفع عنه التهمة (٢) ، ويعتبر ما اتهم به حجة على الدراية المجردة من ثوب الفرنس والتجيز لا عن التجيز المقصود لذاته (٣) .

٥ - أبو محمد المحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابيه الخليل الهمداني :

هو مؤرخ يمني ، عرف بسعة الاطلاع ، ودقة التعريف بمواضع جزيرة العرب بوجه عام ، واليمن بوجه خاص ، ووصفها ، وذكر قبائلها ، وتاريخها . ولد في صنعاء في زمن غير معروف ، ونشأ بصنعاء ، ثم رحل إلى بلاد العرب ، وارتادها دارسا معالمها وآثارها ، وأقام حيناً من الوقت بمكة ، اتصل خلاله بعلمائها ومؤرخيها ، ثم عاد إلى اليمن ، وأقام بمعدة ، إلى أن اتهم بهجاء النبي ، فزج به في السجن ، وتوفي في سجنه في عام ٣٢٤ هـ (١) .

ويعتبر كتابه وصف جزيرة العرب ، من أهم مصادر تاريخ العرب في الجاهلية ، خاصة في القسم الجنوبي من الجزيرة العربية ، لدقته البالغة في وصف الآثار ، واعتماده على المشاهدة (٥) . وقد ساعدت معرفته بخط المسند الحميري على قراءة الكتابات الأثرية والنقوش التي شاهدها في المواضيع التي ارتادها (٦) .

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ص ١٤٦ .

(٣) جب ، علم التأريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ٤٨٥ .

(٤) السيوطي ، بنية الوعاة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٢١٧ .

(٥) الهمداني ، كتاب سفة جزيرة العرب ، لفر محمد بن عبد الله بن بليهد التجدي ،

١٩٥٣ .

(٦) وردت في كتابه الإكليل عبارات يفهم منها أنه كان عارفاً بالخط المسند (الإكليل ،

ج ٨ ، لفره نبيه أمين فارس ، ص ٤٢ ، ٥٣) .

وكتابه الاكليل أم ما ألفه في ماضى الزمن قبل أن يصنف كتاب « صفة جزيرة العرب » ، ويتكون الإكليل من عشرة أجزاء لم يصل إلينا منها سوى الجزء الأولان . والجزآن الثامن والعاشر (١) . والقسم الأعظم من كتاب الإكليل يتضمن وصفا لآثار اليمن المعمارية من قصور وسدود وقلاع ومدن وهياكل ، وصفها الهمداني وصفا دقيقا ، اعتمد فيه على المعاينة والفحص الدقيق . ويعتبر الهمداني أول رحالة ارتاد اليمن ، ووصف آثارها ، وقرأ نقوشها قبل أن يقوم الرواد الأوروبيون في العصر الحديث بهذا العمل بقرون طويلة .

(١) راجع مقدمة كتاب الإكليل ، الجزء العاشر ، نغمه محب الدين الخطيب ، القاهرة

(٢)

كتاب السيرة والمغازي وبداية الكتابة التاريخية عند العرب

أ - مدرسة التاريخ في المدينة

ازدهرت الحركة العلمية في العصرين الأموي والعباسي ، وقامت مراكز علمية هامة في الأمصار الإسلامية ، ففي الحجاز تألفت الحركة العلمية في مكة والمدينة ، وفي العراق اشتهرت البصرة والكوفة في العصر الأموي في علوم النحو والصرف واللغة ، وفي الأدب ، وفي الكلام ، وفي التاريخ ، وانضمت اليهما بغداد في العصر العباسي ، ونافستهما في الشهرة العلمية . وفي مصر كانت القسطنطينية المركز العلمي الأول في القرآن الحديث والفقه بوجه خاص ، وكان مركزها جامع عمرو بالقسطنطينية . أما في الشام فقد ازدهرت فيه الحركة الدينية ، وظهر به علماء أجلاء في الفقه والحديث ، وكان مركزها جامع دمشق .

والقرآن هو المصدر الأول لدراسة علم التاريخ عند العرب ، ويلي الحديث والسنة ، وكانت بداية التأليف العلمي في التاريخ وثيقة الصلة بهذين المصدرين ، وعلى هذا الأساس كان علم التاريخ العربي الاسلامي عند نشأته يقوم باديء ذي بدء على دراسة سيرة النبي وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها ، وكان مركز النشاط في هذه الحركة التاريخية يتمثل في مكة والمدينة . وكان المؤرخون الأول من المسلمين يعتمدون فيه على الروايات الشفهية شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث ، فكان كل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق ، وكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالاسانيد ، وهي وسيلة للاجماع على صحة الخبر ، وهي نفس الوسيلة التي اتبعها المحدثون في روايتهم للحديث ، مما يدل على أن التاريخ العربي عند نشأته سلك نفس الطريقة التي سلكها الحديث ،

فكان الخبر التاريخي على هذا النحو يتألف من عنصرين : رواية الخبر على التابع، ويرف ذلك بالسند أو الإسناد ، ثم نص الخبر وبسمى المتن (١) . وينتقد ابن خلدون هذه الطريقة في رواية الخبر ، ويهاجم الاخباريين بقوله : « كثير أ ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يرضوها على أصولها ، ولا فاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الهم والغلط » (٢) . وفي موضع آخر يقول : « فقد زلت أقدام كثير من الإثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء ، وعلقت بأفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية » (٣) .

وأقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ هي كتب المغازي والسيرة ، فقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله للاهتمام بها والاعتماد عليها في التشريع الاسلامي ، وفي النظم الادارية ، الكتاب إلى الكتابة في سيرة الرسول وفي مغازيه ومغازي الصحابة (٤) ، وكان من الطبيعي أن تتألق هذه الحركة في المدينة باعتبارها دار هجرة الرسول ودار السنة التي عاش فيها الصحابة ، وسمعوا احاديث الرسول ورووها بدورهم إلى التابعين .

وينقسم مؤرخو السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة إلى ثلاث طبقات :

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — عبد العزيز الدوري ، ص ٢٠ — سيفه

كاشف ص ٢٥

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥١

(٤) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — الدوري ، ص ١٩ ، ٢٠

فبرز في الطبقة الأولى منهم : أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥) ، وعروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) ، وشرحيل بن سعد (ت ١٢٣) . ومن رجال الطبقة الثانية : عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٥) ، وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت ١٢٠) ، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤) . ومن رجال الطبقة الثالثة : موسى بن عتبة (ت ١٤١) ، ومحمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥٢) ، والواقدي (ت ٢٠٧ هـ) . وكلهم من المدينة دار السنة باستثناء ابن شهاب الزهري فهو مكي ، ونضيف إليه وهب بن منبه الذي كتب في السيرة بجانب كتاباته في قصص الانبياء وأخبار القدامى .

الطبقة الأولى :

١ - أبان بن عثمان بن عفان : كان والياً على المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان ، واشتهر بالحديث والفقه ولكنه كان يميل إلى دراسة المغازي ، وكتابته في المغازي لاتعدو أن تكون مصحفاً تضمنت أحاديث عن حياة الرسول . ولم ينقل له أو يرو عنه أحد من كتاب السيرة الأول كابن سعد وابن هشام ، شيئاً في السيرة (١) . ويعمل الدكتور الدوري ذلك بأنه فيما يظهر كان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي (٢) .

٢ - عروة بن الزبير بن العوام : ينتسب إلى بيت من أشرف نبوت

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٦

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٢٢١

(٣) الدوري ، ص ٢١

العرب (١)، ويدخل في عداد الطبقة الأولى من مؤرخي السيرة، وكان ثقة فيأرويه من الحديث، فقد مكته نسبة من أن يروى الكثير من الاخبار والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فروى منها عن أبيه الزبير، وعن أمه أسماء، وعن خالته عائشة (٢)، وعن أبي ذر. نشأ عروة في المدينة، وأخذ الحديث عن كثير من الصحابة أمثال: أبوه الزبير، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس (٣). ثم رحل إلى مصر وأقام بها ما يقرب من سبع سنوات، وتزوج فيها، وزار دمشق عدة مرات.

وعن عروة أخذ ابنه هشام بن عروة، وابن شهاب الزهري. وكان لعروة ابن الزبير فضل كبير على كتاب السيرة كابن هشام وابن سعد، إذ يدين كلاهما بجزء كبير من كتابتهما لما رواه عروة، وكذلك رجوع إليه الطبري في صفحات عديدة من كتابه تاريخ الأمم والملوك، كما وردت فقرات من مغازيه في مصنفات الواقدي وابن كثير، تتناول جوانب متعددة من حياة الرسول (٤)، ولم تقتصر كتابات عروة على المغازي، فقد تجاوزتها إلى فترة الخلفاء الراشدين، ويتضح هذا في بعض المقتبسات التي وصلت إلينا في تاريخ الأمم والملوك للطبري، إذ تعرض لذكر غزوة أسامة بن زيد، وخبر ردة القبائل، وخبر أجنادين، وخبر وقعة اليرموك، وخبر وقعة الجبل، ولكن رواياته في هذا الشأن قصيرة موجزة.

(١) أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وأخوه عبد الله بن الزبير، وجدته خديجة بنت خويلد زوج الرسول، وخالته عائشة أم المؤمنين.

(٢) ضحى الاسلام، ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، طبعة ليدن تحقيق الدكتور سترستن ١٣٢٢هـ

(١٩٠٥) ج ٥ ص ١٣٣

(٤) الدوري، ص ٢١

٣ — شرحيل بن سعد : كان مولى من موالى الانصار ، ويعتبر في الطبقة الاولى من مؤرخى السيرة ، روى كثيراً عن زيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة (١) ، وقد أسهم شرحيل فى كتابات السيرة بقوائم أثبت فيها أسماء الصحابة البدرين الذين اشتركوا فى غزوة بدر ، وأسماء الصحابة الذين اشتركوا فى غزوة أحد ، كما أورد أسماء المهاجرين إلى الحبشة ، وأسماء من هاجر من مكة إلى المدينة ، ولكنه مع ذلك لم يبلغ ما بلغه أبان بن عثمان بن عفان أو عمرو بن الزبير من مكانة فى هذا المجال ، فلم يرو عنه ابن اسحق والواقدي شيئاً (٢).

ويضاف إلى هذه الطبقة من مؤرخى السيرة ، مؤرخ أشرنا إليه فيما سبق هو وهب بن منبه الذى كتب فى المغازى كتاباً ، وصلت إلينا منه قطعة مازالت محفوظة فى مكتبة هيد لبرج ذكر فيها وهب العبدة الكبرى ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، والهجرة النبوية ، ولكننا لم ندخله فى عداد المدنين من كتاب لسيرة باعتباره يميناً .

الطبقة الثانية :

١ — عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى : كان مدنياً من أهل المدينة ، وكان جده الأعلى عمرو بن حزم الانصارى أحد كبار الصحابة ، لاه النبي صلى الله عليه وسلم نجران باليمن ، وكتب له حين بعثه إلى اليمن كتاباً مره فيه بتقوى الله فى أمره كله ، وأخذ خمس المغنم وعشر ماسق بالسوانى

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٢

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٢٣

والدواليب من الصدقات ، ونصف العشر مما سقى بالدلو (١) . أما جده محمد بن عمرو فقد توفى يوم الحرة ، وأما أبوه أبو بكر فقد ولى قضاء المدينة في ولاية عمر بن عبد العزيز ، ثم ولى أمر المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، وعرف أبو بكر بمقدرته في رواية الحديث ، ولذلك عهد إليه عمر ابن عبد العزيز بجمع الحديث . وورث ابنه عبد الله بن أبي بكر هذه المواهب ، فاختص رواية الحديث المتصل بالمغازي ، فكان حجة في ذلك ، وعنه روى ابن اسحق والواقدي وابن سعد ، الطبري روايات تتعلق بأخبار الرسول في المدينة .

٢ — عاصم بن عمر بن قتادة الظفري : كان أنصاريا من أهل المدينة ، شهد جده قتادة موقعة بدر واشترك فيها مع المسلمين ، وكان عاصم بن عمر راوية للعلم ، له معرفة بالمغازي والسير ، ولذلك عهد إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز بالجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن المغازي وعن مناقب الصحابة ، وقد اعتمد عليه كل من ابن اسحق والواقدي (٢) .

٣ — ابن شهاب الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب من بني زهرة ، ويعتبر من أعظم مؤرخي المغازي والسيرة إذ يرجع إليه الفضل في تأسيس مدرسة التاريخ في المدينة ، وإليه يرجع كذلك الفضل في توضيح خطوط السيرة أخذ الزهري على كبار المحدثين في المدينة وهم سعيد بن المسيب ، وأبان ابن عثمان بن عفان ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو

(١) البلاذري ، فتوح البلدان . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦

ج ١ ص ٨٤

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٥

سلة بن عبد الرحمن ، وقد كان يعتز بتلقيه العلم عليهم ، فكان يقول . « أدركت أربعة بحور : عبيد الله بن عبد الله أحدهم ، وقال أيضا : « سمعت من العلم شيئا كثيرا فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت في شعب من الشعاب ، فوقعت في الوادى ، وقال مرة صرت كأنى لم أسمع من العلم شيئا » (١) .

استقى ابن شهاب الزهرى معظم مادته فى السيرة من الحديث ، فهى تكاد تخلو من قصص الأنبياء ، كما أنه لم يستخدم الشعر فى كتابته إلا فى أحوال نادرة . وقد عرف الزهرى بقوة أسانيدِهِ . ولكنه يمتاز عن غيره فى ذلك بنوع جديد من الإسناد ، هو الإسناد الجمعى ، حيث يدمج عدة روايات فى خبر متصل ، وقد سار بذلك خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتصلة (٢) .

واعتمد الزهرى فى المغازى على عروة بن الزبير اعتمادا كبيرا ، ولذلك فإن روايات عروة تعتبر المصدر الأول للزهرى فيما وصل إلينا من مغازيه (٣) . كذلك اعتمد فى الرواية على سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (٤) ، اللذين كان يعتز كل الاعتراز بتلقيه العلم عليهما .

ولم يقتصر الزهرى على الكتابة فى السيرة والمغازى ، بل شملت كتاباته الأنساب وتاريخ صدر الإسلام ، فصنف كتابا فى نسب قريش اتخذ المصعب

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الألفاظ ج ٨ ص ١٧٨ .

(٢) محمد العزيز المورى ، ص ٢٤ ، ٩٤ .

(٣) نفسه ، ص ٧٩ .

(٤) الواقدي ، مغازى رسول الله ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٩ .

١٣٩ ، ١٦٤ .

البلاذرى ، أنساب الأرفاف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٥٦ للآخره .

الزبيرى مصدرأ لكتابه المعروف «نسب قريش» (١)، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين حتى انتقال الخلافة إلى الأمويين ، فذكر الاحداث الكبرى التى كان لها أثر كبير فى كيان الدولة العربية الاسلامية فى زمن الخلافة الراشدة من فتن ومعارك . ويستدل بما أورده الطبرى نقلا عنه أنه تعرض فى كتاباته لمشكلة اختيار أبى بكر خليفة للمسلمين موضحا الأثر الذى تركه اختياره ، ورد فعل على بن أبى طالب (٢)، ويبدو أن الزهرى لم يكتب فى تاريخ الأمويين وإنما كتب — استجابة لرغبة الوليد بن عبد الملك — عن سنى حكمهم .

ويعلق الدكتور عبد العزيز الدورى على أهمية ما كتبه الزهرى فى نشأة الكتابة التاريخية فيقول : « إن هذا القسم من دراسات الزهرى يدل أن الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملا آخر له أهميته فى نشأة الكتابة التاريخية . فبدأ الاجماع وظهور الأحزاب السياسية ، والجدل بينها حول الاحداث الماضية ، وخاصة « الفتنة » ، ومسألة الخلافة ، وهل هى بالانتخاب أم بالوراثة ، ومشكلة تنظيم لضرائب ، والديوان — كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية ... » (٣). وفى موضع آخر يقول الدكتور الدورى ، « وإذا كان روة بن الزبير رائد علم التاريخ ، فإن الزهرى أسس المدرسة التاريخية فى لمدينه » (٤) .

الطبعة الثالثة :

١ — موسى بن عقبة : كان مولى لآل الزبير ، واشتهر بالمغازى متبعا طريقة

(١) المصنف بن عبد الله الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق لبنى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٣

(٢) الطبرى ، ج ١ قسم ٤ طبعة ليدن ، ص ١٨٢٠ — ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ومايلها .

(٣) الدورى ، ص ٩٨

(٤) نفس المرجع ، ١٠١

مدرسة المدنين إذ تنلذ على الزهرى ، واستفاد بآثاره ، بالإضافة إلى كتابات غيره من كتاب المغازى ، وكتب كتاباً فى السيرة ذكروا أنه جاء مختصراً ، وصلت إلينا بعض مقتطفات منه فيما كتبه ابن سعد والوافدى والطبرى (١) .

٢ — محمد بن اسحق : هو أشهر تلاميذ الزهرى ، من أصل فارسى ، إذ كان مولى لمبدالله بن قيس بن مخزومة بن عبد المطلب ، واليه تنسب أقدم كتب السيرة التى وصلت إلينا ، وكتاباه المغازى وصل إلينا مختصراً فى سيرة ابن هشام (٢) . وتنقسم سيرة ابن اسحق إلى ثلاثة أقسام :

١ — المبتدأ ، ويبحث فى هذا القسم فى تاريخ الجاهلية مبتدئاً به منذ الخليقة.

٢ — المبعث ، وأفرده لتاريخ حياة النبى صلى الله عليه وسلم حتى السنة الأولى للهجرة .

٣ — المغازى ، وتناول فى هذا القسم حياة الرسول فى المدينة وغزواته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم (٣) . وفى مغازى ابن اسحق يقول الشافعى : « من أراد التبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق » (٤) ، وقد روى المبتدأ والمغازى عن ابن اسحق سلة بن الفضل الرازى ، والمغازى كل من جرير بن حازم (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) ، ويحيى بن محمد بن عباد بن هانىء ، فى حين اعتمد ابن هشام فى

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٧ — الدورى ، ص ٢٧ .

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٥٢٦ .

(٣) أحمد أمين ، ج ٢ ص ٣٣٠ — جب ، علم التاريخ ، بدائرة المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٧ —

لدورى ص ٢٧ — سيد كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٣٠ .

(٤) الخطيب البنادى ، تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ ، ج ١ ص ٢١٩ — السخاوى ،

سيره عليه (١) .

وكان ابن اسحق مكروها من هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس، أما كراهية هشام بن عروة له فيرجع سببها إلى أن ابن اسحق روى بعض أخباره عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر ، وفاطمة كانت زوجة هشام بن عروة، فلما بلغ هشام ذلك أنكره وقال : « العدو الله الكذاب يروى عن إسرائيل ؟ من أين رأيها ؟ » (٢) . وأما عداء مالك بن أنس له فيرجع سببه إلى أن ابن اسحق طعن في نسب مالك بن أنس كما طعن في غيره ، فكان يقول : « اتقوني يعمى كته حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كته » (٣) . فسكره مالك لذلك السبب وعاداه واتهمه بالكذب والدجل ، فكان يقول فيه : « إنه دجال من الدجاجلة » ، وقال فيه أيضا : « محمد بن اسحق كذاب » . كذلك اتهم ابن اسحق بالنشيع على مذهب القدرية .

وأمام هذا العداء رحل إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية فنزل الكوفة والجزيرة والري وبغداد ، واتصل بالمنصور ، وألف له كتابا في التاريخ منذ خلق الله آدم إلى يومه ، واختصره في كتابه المغازي (٤) . وقد نقد ابن اسحق لاعتقاده على أهل الكتاب في الرواية ، فقد نقل عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول وعن أهل التوراه ، وأخذ عن وهب بن منبه وأخذ عن العجم ،

(١) السخاوى ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(٢) الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ — ياقوت الرومى ، كتاب ارشاد الأريب إلى معرفة

الأريب (معجم الأدباء) طبعة مرجليوث ، ج ٦ القاهرة ١٩١٣ ، ص ٤٠٠ .

(٤) الخطيب البغدادي ، ج ١ ص ٥٢١ — Margoliouth, Lectures on

arabic Historians, p. 84 .

ولأنه أورد كثيرا من الشعر المذحول ، ولأنه وقع في أخطاء في الأنساب التي أوردتها في كتابه (١) .

ومع ذلك فقد كان لابن اسحق الفضل في الجمع بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته ، ويعلق جب على كتابات ابن اسحق فيقول : « وكتابه في السيرة كان ثمرة تفكير أبعد أفقا وأوسع نطاقا من تفكير سابقه ومعاصره ، لأنه نزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب ، بل إلى تاريخ النبوة بذاتها » (٢) وينسب إليه كتاب في تاريخ الخلفاء يبدو أنه جاء مختصرا ، عالج فيه تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين ، بدليل أن الطبري ذكر ابن اسحق بين رواة في تاريخ الخلفاء الراشدين .

٣ — الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، كان مولى لبني هاشم ، وقيل لبني سهم بن أسلم ، وكان معاصرا لابن اسحق ، أخذ العلم عن شيوخ عصره في المدينة ، فأخذ عن مالك بن أنس في الحديث وعن أبي معشر السندی في التاريخ ، ولذلك يعتبر الواقدي الثاني بعد ابن اسحق في اتساع علمه بالمغازي والسير والتاريخ ، بل بز ابن اسحق في دقته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ ، وفي تحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالمواقع (٣) .

وقد اهتم الواقدي بالمغازي والسير والتاريخ الاسلامي الذي أصبح متخصصا

(١) بالوت ، معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ج ٦ ص ٤٠١ — Margoliouth

p. 85 — الدوري ص ٢٩ — جب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٢) جب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٣) الدوري ، ص ٣٠ ، ٣١ .

فيه ، فقد ذكر الخطيب البغدادي نقلا عن ابراهيم الحربي ، أن الواقدى كان أعلم الناس بأمر الاسلام ، « فأما للجاهلية فلم يعمل فيها شيئا » (١) .

وقد ألف الواقدى عددا كبيرا من الكتب فى المغازى والتاريخ ، من بينها كتاب مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وصل اليها (٢) ، وكتاب « الطبقات الكبير » رتبه على حسب السنين ، وكتاب « الطبقات » رتبه على حسب طبقات الصحابة والتابعين ، وكتاب « السيرة » ، وكتاب التاريخ والمغازى والمبعث ، وكتاب « أزواج النبي » ، وكتاب « وفاة النبي » ، وكتاب « السقيفة » و « بيعة أبى بكر » ، وكتاب « سيرة أبى بكر ووفاته » ، وكتاب « مداعى قريش » والامصار فى القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها ، وكتاب « الجمل » ، وكتاب « صفين » ، وكتاب « مقتل الحسن » ، وكتاب « الردة » وكتاب « فتوح الشام » ، وكتاب « فتوح العراق » ، وكتاب « أخبار مكة » ، وكتاب « ضرب الدنانير والدرهم » ، وكتاب « حرب الأوس والخزرج » (٣) . وأعظم

== وكان الواقدى محققا للواقع ، لا يعتمد على مجرد النقل ، وإنما كان يعرض إلى مواضع الحارث والوقائع ليدرسها على الطبيعة ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسألته ، هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك عن معهده وأين مثل ؟ فإذا أعلنى ، مضيت إلى الموضع فأعابته ، ولقد مضيت إلى المريسيم فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أهابته » (الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٦)

(١) الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٥ .

(٢) نسر المشرق للشيخ دوى فون كريم جزءا منه فى كتابه سنة ١٨٥٥/١٨٥٦ م ، وأعيد نشره فى مصر سنة ١٩٤٨ .

(٣) راجع المكتب التى أوردها ابن النديم فى الفهرست ، ملحق ١ من كتاب علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٧٣ — ٣١٦ .

ما كتبه الواقدي كتابه المعروف بكتاب « التاريخ الكبير » ، لم يقتصر فيه على غزوات الرسول ، بل أרך لكثير من أحداث الاسلام فى العهود التسالية حتى عهد خلافة هارون الرشيد ، اقتبس منه الطبرى فى كتابه « تاريخ الرسل والملوك » حتى سنة ١٧٩ هـ . وقد وصل الينا كتابه « فتوح الشام ومصر » ، وهو مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى ، نشر فى ليدن تحت عنوان « كتاب فتوح مصر والاسكندرية المنسوب إلى المؤلف الشيخ أبى عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدنى » (١) كما وصلنا كتابه « فتح البهنسة وفيوم من ارض مصر » ، وهو مخطوط محفوظ بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن وملحق بمخطوط لتاريخ أبى الفداء ، وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة فى سنة ١٢٨٠ هـ تحت عنوان « فتوح البهنسا وما فيها من المعجائب والغرائب وما وقع فيها للصحابه » ، كذلك وصلنا كتابه « فتوح مدينة إفريقية » المحفوظ فى المتحف البريطانى ، وفى مكاتب لندن وباريس وكامبريدج والجزائر وقاس ، ونشر فى سنة ١٣١٥ هـ بمعرفة عبد الرحمن الصنادلى (٢) ، ولكن معظم ما جاء فى كتبه عن فتوح مصر فى هذه الكتب يتسم بصفة أسطورية تبعتها عما عرف من روايات الواقدي ، ويمتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن روايات الواقدي بدأت فى اتخاذ شكلها الأسطورى فى وقت متأخر نسبيا بعد القرن السابع الهجرى ، والدليل على ذلك تلك

(١) طبع هذا الكتاب بمصر فى سنة ١٣٦٨ بمنوان فتوح الشام ، فى جزأين يتضمنان

فتح الشام ومصر والعراق .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ، فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ،

دراسة وتعد لمخطوط « فتوح مدينة إفريقية » من مخطوطات الواقدي بالمتحف البريطانى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٢ ، الاسكندرية ١٩٦٣

الشخصيات التي يذكرها من خطوط فتح البهنسة مثل « سيدى أبو مدين » الذي توفي في أواخر القرن السادس الهجرى ، و « سيدى أبى الحجاج الأفرسى » المتوفى في منتصف القرن السابع . . . ولما جانب الأثر الصوفى الشعبى المتأخر ، تأثرت الرواية التاريخية هنا بأحداث تاريخية متأخرة كانت لها آثارها العميقة في خيال الناس . . . (١) .

ولم يبق لنا ، ما يصح من كتبه إلا كتاب المغازى (٢) . الذى أشرنا إليه فيما سبق .

ب - مدرسة التاريخ في البصرة :

تميز الدراسات التاريخية عند العرب فى بداية نشأتها بوجود اتجاهين متميزين : أحدهما دينى قوامه دراسة الحديث ومركزه المدينة ، والثانى قبل كان استمراراً لبعض الأيام وروايات الانساب فى الأسلوب والنظرة ، إذ تناول من الموضوعات المعارك والفتوح الاسلامية ، وكان مركز هذا الاتجاه فى البصرة والكوفة .

وهكذا تميزت البصرة والكوفة بنتاجية خاصة من نواحي الدراسات التاريخية ، وهى دراسة الأحداث الاسلامية والانساب ، نتيجة طبيعية للصراع الحزبى والاقليمية والقبلية (٣) . إلا أنه قام فى العراق مع هذا الاتجاه القبلى اتجاه آخر فى دراسة الحديث والسيرة ، وهو الاتجاه الذى اختصت به المدينة ، فوجد كتاب للسيرة والمغازى برز منهم : معمر بن راشد اليماني البصرى (ت ١٥٠ هـ) ،

(١) سعد زفول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) عبد العزيز الدورى ، ص ١٢٣

وزياد البكائي (ت ١٨٣) ، ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) . وسنحدث فيما يلي عن الاول والثالث منهم .

١- كتاب المغازي :

معمر بن راشد البصري : هو أحد تلامذة الزهري ، وكان مثل العدد الأعظم من كتاب المغازي من الموالى ، فذكروا أنه كان مولى للأزد ، وولد بالبصرة ونشأ بها ، ثم انتقل إلى اليمن ، وكان معمر هذا عالما بالحديث والسير ، وقد صنف كتابا في المغازي ، وصل إلينا مخطوطا ، ما يزال محفوظا في استنبول (١) .

محمد بن سعد : هو تلميذ الواقدي وكتابه ، وقد عرف لذلك بكتاب الواقدي ، وكان مولى لبني عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، ولد في البصرة وعاش فيها الفترة الاولى من حياته ، ثم رحل إلى المدينة ثم إلى بغداد ، حيث اتصل بالواقدي . وقد حفظ لنا من كتبه كتاب « الطبقات الكبرى » ، ويتألف من ثمانية أجزاء ، أفرد الجزآن الاولان لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، وخصص الاجزاء الستة الأخرى لأخبار الصحابة والتابعين وروايتهم وفقا للأمصار الإسلامية . وسيرة ابن سعد في الطبقات أوفى بكثير عن تقدمه من كتاب السيرة ، إذ تتضمن كثيرا من الأخبار عن رسائل النبي وسفاراته ، وتعنى ببيان جديدين هما علامات النبوة ، ووصفة أخلاق رسول الله ، ولذلك كان كتابه أساسا لما جاء في المصنفات المتأخرة (٢) .

٢- كتاب التاريخ (الأخبار بوجه) :

أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي (ت ١٥٧ هـ) : كان أخباريا من

(١) سيرة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٢٩

(٢) نفس المرجع ، ٣٢

أهل الكوفة ، وكان جده الأول مخنف صحابيا من أصحاب علي بن أبي طالب ،
فورث أبو مخنف لوط من جده هذا الميل للعلويين ، وعنى أبو مخنف بكتابة الأحداث
الأحداث التاريخية الهامة في الاسلام بجانب اهتمامه بالانساب ، فكتب عن الردة ،
وعن فتوح الشام ، وفتوح العراق ، وعن وقعة الجمل وعن وقعة صفين ، وعن
مقتل حجر بن عدى ، وعن مقتل الحسين ، وعن وفاة معاوية ، وعن نجدة الحروري ،
وعن الأزارقة الخوارج . ونستدل مما كتبه عن اهتمامه بالسياسة الحزبية . فقد
عنى بالعلويين والخوارج . وقد اعتمد أبو مخنف في كتاباته على الروايات العائلية
والروايات القبلية أى الخاصة بقبيلته ، كما أفاد من الروايات الكوفية الأخرى
والروايات المدلية (١) ، ولم يبق من كتبه الصحيحة إلا ما نقله الطبري عنه (٢) .

سيف بن عمر الكوفي الأسدي التميمي (ت ١٨٠ هـ) : كان مثيل معاصره
أبي مخنف أخباريا كوفيا أخذ عن شيوخ الكوفة ، كما أفاد من الروايات المدنية
في أخباره ، واعتمد في مادته على روايات قبيلته تميم (٣) . ولذلك اتسمت أخباره
في الفتوحات ، وخاصة ما كان منها متعلقا بالعراق ، بميول واضحة المعالم لقبيلته
وتعصب ظاهر لها (٤) .

وكتب سيف بن عمر في الفتوح وفي الردة ، وتعرض في كتاباته عن الفتوح
لفتنة التي قامت بين الإمام علي ومعاوية ، وخاصة وقعة الجمل ، وذكر له ابن النديم
في الفهرست كتابا عن « الجمل ومسير عائشة وعلي » ، وكتابا بعنوان : « كتاب

(١) الدوري ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٢٣

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٤٢

(٣) الدوري ٣٧

(٤) أحد أبين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٤٣ — الدوري ، ص ٣٧

الفتوح الكبير والردة ، (١) .

عوانة بن الحسك (ت ١٤٧ هـ) : كان أخباريا كونيا أيضا ، على دراية كبيرة بالأخبار والفتوح مع علم بالشعر والانساب ، (٢) ، ونستنتج من رواياته والتي أوردتها الطبري والبلاذري أنه التزم موقفا حياديا من الصراع بين الأمويين والعلويين ، فلم يتعصب لفريق على فريق ، وقد تلتذ على عوانة هذا الهيثم بن عدي والمدائني . وصنف عوانة كتابا بعنوان : « سيرة معاوية وبني أمية » ، ويعتقد فرانز روزنتال أنه نهج فيه منهج كتب التاريخ المرتبة على الدول (٣) .

نهر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) : كان أخباريا من أهل الكوفة ، ويتميز عن سبقه من الأخباريين بأنه كان شيعيا ، وتدور معظم كتاباته حول موضوعات لها علاقة بالشيعة مثل : «الجل » ، «وصفين» ، «ومقتل الحسين» ، «ومقتل جبر بن عدي» ، وه أخبار المختار ، ، وتنمكس في هذه الرسائل ميوله العراقية والشيعية ، إذ يظهر فيها تحيزه للعلويين ضد معاوية وأنصاره ، وتتخلل كتابته في «صفين» أشعار معظمها موضوعة ، وأسلوبه في هذا الكتاب متأثر بأسلوب كتاب قصص أيام العرب (٤)

على بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ) : كان أخباريا من البصرة ، ثم استوطن

(١) ابن النديم ، الكتب التي أوردتها في الفهرست ، ملحق ١ من كتاب : علم التاريخ

عند المسلمين ، ص ٢٨٠ ، ٢٨٣

(٢) ياقوت ، معجم الأدياء ، ج ٦ ص ٩٤

(٣) روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ١٢٨

(٤) الدوري ، ص ٣٨

المدائن فنسب اليها ، وكان من تلاميذ عوانة بن الحكم ، وقد أفاد في كتاباته من روايات البصرة ومن روايات المدينة . واعتمد في رواياته على الأسناد ، كما أنه اتبع في كتاباته أسلوب المحدثين في نقد الروايات ، ولهذا السبب حظى المدائني بثقة العلماء المعاصرين له والذين جاءوا من بعده ، وذكره الخطيب البغدادي ، فقال : « كان عالما بأيام الناس ، وأخبار العرب وأنسابهم ، عالما بالفتوح والمغازي وروايه الشعر ، صدوقا في ذلك » (١) . وكثرت تواليفه في التاريخ الاسلامي والفتوحات ، فشغلت صفحات ست من معجم الادباء لياقوت ، وللأسف ضاعت كل هذه المصنفات ، ولم يبق منها الا تنف رواها الطبري والمسعودي وأبو الفرج ، والمبرد ، والبلاذري . ومن بين كتبه التي ذكرها ابن النديم في المغازي كتاب « المغازي » ، وكتاب « صفة النبي » ، وكتاب « أزواج النبي » ، وكتاب « الوفود » ، وكتاب « أمهات النبي » ، وكتاب « أخبار المنافقين » ، وكتاب « المنافقين ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم » ، وكتاب « رسائل النبي » ، وكتاب « صلح النبي » ، وكتاب « خطب النبي » ، وكتاب « عهود النبي » ، وكتاب « سرايا النبي » ، ومنها ما ذكره في الخلفاء مثل كتاب « أخبار الخلفاء » ، « وتاريخ الخلفاء » ، « وتسمية الخلفاء » وكتاهم وأعمارهم » ، وكتاب « مقتل عثمان » ، وكتاب « الجمل » ، وكتاب « النهروان » ، وكتاب « الحوارج » ، وكتاب « خطب علي وكتبه إلى عماله » ، وكتاب « مرج راهط » ، وكتاب « الردة » ، وكتاب « أخبار السفاح » ، ومنها ما ذكره في الفتوح : مثل كتاب « الردة » ، « وأمر البحرين » ، « وأمر عمان » ، وكتاب « فتوح الشام » ، وكتاب « فتوح مصر » ، وكتاب « موادعة النوبة » ، وكتب أخرى في فتح برقة ، وفتوح الجزيرة ، وأرمينية ، العراق ، والسواد ، والبصرة ، والأهلة

والأهواز ، وفارس ، وسجستان ، وكرمان ، ومكران ، وبابل ، والري ، وجبال
إبرستان ، وجرجان ، وخراسان .

٢ - كتاب الأنساب :

كان للدراسات التي قام بها بعض النسابين في الأنساب أثر كبير في علم التاريخ ،
فلقد عنى العرب بالأنساب في الجاهلية ، وتجددت عنايتهم بالأنساب عقب الفتوحات
الأولى ، عندما أنشأ عمر بن الخطاب الديوان ، وبدأ بالعباس عم النبي ، ثم بني هاشم ،
ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة ، مراعيًا في ذلك الاعتبار الديني والقبلي في آن
واحد (١) . وزاد اهتمام الأمويين بالأنساب ، ووضعت لهذا الغرض سجلات
بها ، واشتدت العناية بالأنساب أيضًا منذ أواخر العصر الأموي عندما
قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعوبية ، وأخذ الشعوبيون يفتشون عن
مثالب العرب في الوقت الذي كانت القبائل تبحث عن مفاخرها (٢) .

ومن أشهر نسابة العراق ، محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، وكان من
علماء الكوفة ، اهتم بدراسة الأنساب ، وورث ابنه هشام (ت ٢٠٤) منه هذا
العلم ، وقد سبق أن أشرنا إليه . وظهر أيضًا من كتاب الأنساب الزبير بن بكار
أحد تلاميذ المدائني ، وكان ابن بكار مدني النشأة ولكنه عاش في العراق فترة
طويلة حتى اعتبر من أهله (٣) ، ومنهم أبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠ هـ) الذي
صنف كتبًا كثيرة في الأنساب .

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٦

(٢) الدوري ، ص ٤٠

(٣) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٥

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الاسلامي

(١) منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

أ - التأريخ الحولي او حسب السنين

ب - التأريخ حسب الموضوعات

(٢) تنوع صور المادة التاريخية

أ - التأريخ العالمي

ب - التأريخ المحلي

ج - التأريخ المعاصر والمذكرات

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي

(١)

منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

رأينا كيف أن المؤرخ المسلم بدأ كتابته التاريخية معتمداً على الرواية المسندة التي تنقسم بثلاثة مظاهر :

- ١ — انفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها .
- ٢ — الطابع القصصى الذى لا يتخلو من الحوار .
- ٣ — الاستشهاد بالشعر .

ثم انخفض أكثر من نصف قرن على وفاة الرسول قبل أن يشرع المسلمون فى التدوين ، وأصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين فى القرن الثانى للهجرة ، يعتمد فى كتابته التاريخية ، إلى جانب الذاكرة والحفظ ، على الكتب التاريخية التى سبقه فى كتابتها المؤرخون الاولون ، ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجياً من طريقة الإسناد التى كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد أخبارى ، أى ناقل للخبر ، إلى الكتابة المرسلة التى تعنى بالخبر فى ذاته ومناقشته ، وبينما كان الطبرى ومن سبقه من الاخباريين يهتمون اهتماماً خاصاً بالإسناد ، وتسلسل الرواة ، فقد ظهر فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا فى كتابتهم عن طريقة الإسناد ، واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها (١) ، ومن هؤلاء : يعقوبى (ت ٢٨٤) ،

والمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) ، وكان هؤلاء المؤرخين يكتبون بذكر مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات كتبهم ، مع دراستها في بعض الأحيان دراسة نقدية كما فعل المسعودى في مقدمة كتابه مروج الذهب ، فهو يثنى على كتابة الطبرى والصولى وقدامه بن جعفر ، ويحمل على سنان بن ثابت بن قرة الحرانى حملة عنيفة ، فيقول في مدح الطبرى : «وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، الزاهى على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثير فائدته ، وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون ذلك ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحلة السنن والآثار» (١) . ومدح أصالة الصولى في كتابته التاريخية فقال : «وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولى في كتابه المترجم بكتاب الأوراق في أخبار الخلفاء من بنى العباس وبنى أمية ، وشعرائهم ، ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظا من العلم ، بمدودا من المعرفة ، مرزوقا من التصنيف ، وحسن التأليف» (٢) . ومدح كتابة أبى الفرج قدامة بن جعفر وأسلوبه ، فيقول : «فإنه حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزا للألفاظ ، مقربا للبعاني ...» (٣) . ثم ينتقد كتابة سنان بن ثابت بن قرة الحرانى ، فيقول : «ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحرانى - حين انتحل ما ليس من صناعته ، واستنهج ما ليس من طريقته - قد ألف كتابا جعله رسالة إلى بعض إخوانه من الكتاب ...» (٤) .

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٥

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥

(٣) نفس المصدر ، ص ٦١

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦ ، ١٧

وكما تطورت الكتابة التاريخية من حيث الطريقة ، تطورت من حيث الأسلوب ، فبعد أن كان التاريخ يجمع في معظمه في صورة جل قصيرة جافة لا ترتبط فيما بينها بصلة ، أصبح الأسلوب التاريخي مرسلا بسيطاً وواضحاً في آن واحد ، يكاد يخلو في معظمه من الشعر ، وكثيراً ما استخدم السجع في الكتابة التاريخية ، على الرغم من أن التأريخ لم يكن قط فرعاً من الآداب التي تشجع على استخدامه ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالسجع في كتابتهم التاريخية : الهادي الأصفهاني والكاظمي الأندلسي الفتح بن خاقان . فن قول الهادي الأصفهاني في الفتح القدسي ، يذكر خروج صلاح الدين بن أيوب من دمشق في سنة ٥٨٣ هـ لملافاة الصليبيين في حطين ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجد الجنود ، واستحشاد الحشود ، واصحار الأسود ، وإحترار البيض والسود ، مضى العز ماضى العزم ، صائب السهم ، ثائب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحشود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يد رعبة الطولى من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الارصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لاسيما ابرنس الكرك ، فإنه كان حريصاً على الدرك ، ناصباً شر الشرك ، نصب الشرك ... (١) . ومن قول الفتح بن خاقان في كتابه مطمح الانفس ومسرح التأس في مدح جعفر المصعني الحاجب : « تجرد العليا ، وتمرد في طلب الدنيا ، حتى بلغ المني ، وتسوغ ذلك الجنى ، فما دون سابقة ، وارتقى إلى رتبة لم تكن للبيئة بمطابقة ، فالتاح في افياء الخلافة ، وارتاح إليها بعطفه كمشوان السلافة ، واستوزره المستنصر ، وعنه قد كان يسمع وبه يبصر ، فأدرك بذلك ما أدرك ،

(١) الهادي الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق الاستاذ محمد عود صبيح

ونصب لآمانيه الجبائل والشرك ... (١).

وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجوعة أمثال المؤرخ الأندلسى أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان المتوفى فى ٤٦٠ هـ ، الذى يستخدم العبارات المسجوعة فى بعض الاحيان ، كما يفعل عندما أشار إلى ابن باشة الذى تولى هدم قصور بنى أمية ، فيقول : « وانكدر بائر وفاته ابن باشة هدام القصور ، ومبور المصور ، وكان من التبيج فى الثؤم ، والالتحاف للشؤم ، مع دناة الاصل والفرع وتنكب السداد ، وتقيل الفساد ، على ثبج عظيم ، بيده بادت قصور بنى أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطت أعلامهم المنيعة ... » (٢).

ووجد من مؤرخى المسلمين من استخدم فى كتاباته أسلوبا بسيطا سهلا ، تجنب فيه الزخرفة اللفظية والألفاظ الدارجة ، من أمثال هؤلاء المؤرخين ابن حيان ، وابن الاثير وابن طباطبا ، وقد اهتم هؤلاء بابرار المسادة التاريخية فى عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود فى براعة يستيفها القارىء . فابن حيان استخدم للتعبير عن الاحداث أسلوبا سهلا واضحا خال من التعقيد ، ويتجلى ذلك فيما وصل الينا من كتابه المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، وهو كتاب يجمع بين الكتابة حسب المنهج الحولى والكتابة حسب العمود ، فعندما يفتتح الحديث عن أحداث سنة ٣٦٣ هـ (زمن الحكم المستنصر) ، يقول : « فى يوم الاربعاء لثمان

(١) الفتح بن خافان ، كتاب مطبوع الأفس وسرح الناس فى ما حل أهل الأندلس ،

قسنطينة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) ص ٤

(٢) ابن بسلام الشنبرنى ، الفخيرة فى عماد أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى

القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١١١ — ١١٢

خلون من المحرم فاتحها ، قدم قند ، فنى الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن ، بكتاب مولاه غالب ، يذكر ماضيه الله لأمير المؤمنين من افتتاح مدينة البصرة التي كان انتزى فيها محمد بن حنون المخدول ، وأنه كان سار عنها في خيله لبعض ما عن له من شؤونه ، وخلف بها غاله محمد بن عبدالسلام الذي كان ظهيرا له ، ومدبرا لشأنه ، لا يقدم امرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته ، وكان مشنوه إلى أهل البلد ، فدبروا عليه عند إبعاد ابن حنون عنهم وقتلوه ، فتك به ثعبان بن أحد البربري البطل واحتز رأسه ، وذلك في يوم الجمعة ثلاث خلون من المحرم منها ٥٠٠ ، (١) .

أما ابن الأثير ، فينفرد عن غيره من المؤرخين بأسلوب بسيط واضح لا يحماره فيه أحد من كتب قبله أو بعده ، وكثيرا ما يدخل في كتاباته عبارات أقرب إلى الأمثال (٢) . مثل قوله عندما حاصر الصليبيون دمياط في سنة ٥٦٥ . وأخفقوا في حملتهم عليها ، فيسخر منهم ابن الأثير بقوله : وهذا موضع المثل ، ذهبت النعامة تطلب قرنين ، فعادت بلا أذنين ، (٣) .

(١) ابن حبان ، المتقوس في أخبار بلد الاندلس ، تحقيق الاستاذ عبدالرحمن علي الحجى ،

بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٤١ ، ١٤٢

(٢) عبد القادر طليعات ، المؤرخ ابن الأثير ، (رسائله المقدمة لتيل درجة الدكتوراه) ،

ص ٢٢٩ .

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الانابكية ، تحقيق عبد القادر طليعات ، القاهرة ،

١٩٦٣ ص ١٤٤

أما ابن طباطبا ، فقد ألزم أساريا خاصا به لم يتقيد فيه بروايات المؤرخين أو الاخباريين السابقين عليه ، فهو يعرض مادته الخبرية في وضوح وبساطة وإيجاز ، ويتجلى ذلك في قوله عندما تعرض لترجمة يزيد بن معاوية : « كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخز والنساء والشعر . وكان فصيحاً كريماً شاعراً مقلداً ، قالوا بدى الشعر بملك وختم بملك إشارة إلى امرئ القيس وإليه ، ثم يذكر أهم الأحداث في عصر يزيد ، وهما حادثان : مقتل الحسين وموقعة الحرة ، وفي مقتل الحسين يقول : « هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما لها واستفظاء ، فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشاً منها ، ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى . ولكن هذه القضية جري فيها من القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات . فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشيء منها .. وجملة ما جرى في ذلك أن يزيد ، لعنه الله ، لما بوبع لم يكن له هم إلا تحصيل البيعة الحسين رضى الله عنه ، والنفر الذى حذرته أبوه منهم ، فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو يومئذ أمير المدينة ، يأمره بأخذ البيعة عليهم . فاستدعاهم ، فحضر الحسين ، عليه السلام ، عنده ، فأخبره بموت معاوية ، رضى الله عنه ، ودعاه إلى البيعة ، فقال له الحسين عليه السلام : مثل لا يباع سرا ولكن إذا اجتمع الناس نظرنا . نظرت . ثم خرج الحسين ، عليه السلام ، من عنده ، وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصدا مكة ، متأبيا من بيعة يزيد ، أنفسا من الانخراط في زمرة رعيته .

فلما استقر بمكة اتصل بأهل الكوفة تأييده من بيعة يزيد ، وكانوا يكرهون بنى أمية ، خصوصا يزيد لقبح سيرته . ومجاهرته بالمعاصي ، واشتهاره بالقبائح ،

فراسلوا الحسين عليه السلام ، وكتبوا اليه الكتب يدعونه إلى قدوم الكوفة ،
ويبذلون له النصرة على بنى أمية ... (١) .

ثم غزت الكتابة التاريخية في العصور المتأخرة ألفاظاً أعجمية وعامية ،
فشاعت في كتابات المؤرخين المتأخرين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين أساليب
عامية ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن إياس في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ،
وأبو المحاسن بن تغرى بردى في كتابه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ،
وابن الفرات في كتابه « تاريخ الدول والملوك » . فابن إياس (ت ٩٣٠ هـ)
يكثر من الألفاظ الدارجة مثل : « وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان
الدولة وديوان الخاص في غاية الانشحات » (٢) ، ومثل « وكان السلطان غصتنا
في جسده » (٣) (أى عيلاً) ، ومثل « وقيل إن جاني بيك لما رأى أن الأمير
طومان باي الدوادار عطلا عليه سأل السلطان وبأس رجله بأن يعفيه من
التحدث » (٤) ، وقوله : « وكان السلطان من حين بلغه أن الفرنج تزايد عبثهم في
البحر الملح وطفشت به مراكب الفرنج » (٥) ، ومثل : « تنكد السلطان » (٦)

(١) محمد بن علي بن طباطبا ، كتاب المغر في الآداب السلطانية ، بيروت ١٩٦٠

ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، ج ٤

القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٥٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧٢

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٨٠

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٥٨

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٦٣

ومثل قوله : « وغالب الرعية بحلب وغيرها من ظلم النواب وجورهم يميلوا إلى ابن عثمان » (١).

كذلك أكثر ابن الفرات (ت ٩٠٧) من استخدام الألفاظ الدارجة ، مثل ذلك قوله : « فزل السامى عن فرسه ومسك كم العبادى وقال له أنا وإنت إلى عند الشرع الشريف عند من تختاره من القضاء ، فقال العبادى أنا ما أروح إلا عند السلطان ... فقال له السلطان ايش هذا الذى جرى لك يا بلبغا كفروك ... » (٢) ، ومثل قوله : « ودخل بهما إلى عند السلطان فتحدث السلطان معهم كلام كثير وبأس الأمير علاء الدين (٣) ».

° ° °

ولقد سلك المؤرخون العرب فى كتاباتهم التاريخية منهجين ، الأول التأريخ الحولى أو التأريخ حسب السنين ، والثانى : التأريخ حسب الموضوعات :

١- التأريخ الحولى أو حسب الضبع :

وجد من المؤرخين المسلمين من أرخ للأحداث سنة بعد سنة ، فكانت يختلف الحوادث تجمع فى كل سنة ، وتربط فيما بينها بكلمة « وفيها » ، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، فيستخدم الجملة الآتية : « ثم دخلت سنة كذا » أو « ثم جاء فى سنة كذا » .

(١) نفس المصدر ، ص ٣٦٤

(٢) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق الدكتور

قطنطين زريق ، مجلد ٩ ج ٢ ، بيروت ١٩٣٨ ص ٤٠٨

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٣٦

وعيب هذا المنهج التاريخي أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ، التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، فلا يذكر المؤرخ الذي يقبع المنهج الحولي منها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها ، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية وثالثة ، ذكرها متفرقة بمزقة ، في جملة أحداث كل سنة . ولقد انتقد المؤرخ الكبير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري والملقب بمر الدين (٥٥٥ — ٦٢٠ هـ) هذا المنهج ، فيقول : « ورأيتهم ^(١) أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ، ويذكرون منها في كل شهر أشياء ، فتأتي الحادثة مقطعة ، لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إمعان نظر ، لجمعت أنا الحادثة في موضع واحد ، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأنت متأسفة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وذكرت في كل سنة ، لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها . فأما الحوادث الصغيرة التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة ، فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول : ذكر عدة حوادث . وإذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه ، فإنني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهورى العلماء والأعيان والفضلاء ، وضبطت الاسماء المشتبهة المتولفة في الخط ، المختلفة في اللفظ ، الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ، ويغنى ويغنى عن الانفاط والاشكال » ^(٢) .

(١) يقصد من كتب على المنهج الحولي ، أمثال الطبري وابن الفلاس .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ص ٦٥٥

وقد حاول ابن الأثير بقدر ما استطاع من جهد أن يتجنب الوقوع في العيب الذى أوضحه في الكتابة على المنهج الحولى ، فجمع عناصر الحادثة ، التى تتصل إلى عدد من السنين ، ويوصل بين أجزائها في سنة معينة وفي موضع واحد حتى تبرز القيمة الخيرية للعادة ، وتتابع عناصرها بانتظام وترابط يستسيغه القارىء فيستوعب الموضوع في سهولة ويسر ، ولكنه مع ذلك لم يستطع في جميع الأحوال أن يطبق هذه الطريقة دائما ، مثل ثورة الزنج التى دامت أحداثها ما يقرب من ١٤ سنة ، فقد وردت أخبارها في الكامل ممزقة على السنين ، على النحو الذى عرضها الطبرى في كتابه تاريخ الرسل والملوك (١).

وقد يسر ابن الأثير أيضا مهمة القارىء ، إذ وضع الاحداث عناوين تملن عن مضمونها ، في حين وضع كل مجموعة من المجموعات الصفار التى وقعت في السنة الواحدة تحت عناوين ، ذكر عدة حوادث ، يختتمها بترجمة أشهر الوفيات في السنة المذكورة .

كذلك انتقد الكاتب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٢ هـ) في مقدمة القسم الخامس من كتابه « نهاية الأرب في فنون الأدب » هذه الطريقة الحولية ، الميوب نفسها ، وآثر الكتابة حسب الموضوعات ، فكتب في تاريخ الدول دولة دولة ، فلا ينتقل من الحديث عن تاريخ دولة إلا إذا انتهى من عرض تاريخ الدولة السابقة ، متبعا في نفس الوقت المنهج الحولى في ذكر أحداثها وفي ذلك يقول : « ولما رأيت غالب من أرخ في الملة الاسلامية وضع التاريخ على حكم السنين ومسايقها ، لا الدول واتساقها ، علمت أن ذلك ربما قطع على المطالع

لذة واقعة استحلها ، وقضية استجلاها ، فانقضت أخبار السنة ولا استوعب
تكملة فصولها ، ولا انتهى إلى جملتها وتفصيلها ، وانتقل المؤرخ بدخول السنة التي
تليها من تلك الوقائع وأخبارها ، والممالك وآثارها ، والدولة وسيرها ، والحالة
وخبرها ، فتنقل من الشرق إلى الغرب ، وعدل عن السلم إلى الحرب ، وعطف من
الجنوب إلى الشمال ، وتحول من البكر إلى الآصال ، وقد تجول به خيل الاستطراد
فيمد ، وتحول بينه وبين مقصده السنون ، فيغور تارة وتارة ينجد ، فلا يرجع
المطالع إلى ما كان قد أمهه إلا بعد مشقة ، وقد يعدل عنه إذا طالت المسافة
وبعدت عليه الشقة . فاخترت أن أقيم التاريخ دولا ، ولا أبغى عن دولة
إذا شرعت فيها حولا ، حتى أسردها من أوائلها إلى أواخرها ، وأذكر جملا
من وقائعها ومآثرها ، وسياقة أخبار ملوكها ، ونظم عقود سلوكها ، ومقر ممالكها
وتشعب ممالكها ، فإذا مضت مدتها وانقضت عهدها ، وانتقلت من العين إلى
الآخر ، ومن العيان إلى الخبر ، رجعت إلى غيرها ، ففقت أثرها ، وشرحت
خبرها .. (١) . ونستدل من مقدمه كتابه على أنه قسم التاريخ الاسلامي إلى
دول ، فتحدث عن السيرة النبوية ، وأخبار الخلفاء ، وأخبار الدولة الأهوية ،
والعباسية ، والصلوية ، ودول ملوك الاسلام المستقلة بالملك في عصر الدولة
العباسية (الدول المنقطعة) (٢) .

والطبرى ، عمدة مؤرخي العرب ، هو أول مؤرخ وصلنا لإنتاجه التاريخي مرتبا
على السنين ، منذ بداية التاريخ الهجري حتى سنة ٢٠٢ هـ . والطبرى ينسب إلى
طبرستان ، إذ ولد ببلدة آمل من طبرستان الواقعة عند الساحل الجنوبي من بحر

(١) محمد عبد الفتى حسن ، علم التاريخ عند العرب ، (من التويرى) س ١٧٦

(٢) راجع مقدمة التويرى ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، السفر الاول (مجموعة

طبرستان (قزوين) ، في سنة ٢٢٤ هـ . ورحل من صغره لتلقي العلم من مسقط رأسه إلى الري ، فأخذ على شيوخ هذه المدينة ، ودرس فقه العراق ، ثم مضى إلى بغداد ، وسمع عن علمائها ، وانتقل منها بعد ذلك إلى الكوفة . وأخذ يتنقل بين مراكز العلم في المشرق الاسلامي سعيًا وراء تحصيله ، فرحل إلى الشام ، وأطال المقام في بيروت ، ثم رحل إلى مصر ، ولقي بها أبا الحسن السراج المصري ، وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع والمزني وأبناء عبد الحكم ^(١) . كما أخذ عن يونس ابن عبد الأعلى الصيرفي قراءة حمزة وورش . وعاد إلى بغداد وعاش فيها بقية عمره حتى توفي في سنة ٥٣١ هـ . وقد ذاعت شهرة الطبري بتفسيره للقرآن الكريم المعروف بتفسير الطبري ، وبكتابه التاريخي العظيم تاريخ الرسل والملوك المعروف أيضا بتاريخ الامم والملوك ، وهو أقدم مصدر كامل للتاريخ العربي ، بدأه بالخلققة وانتهى فيه إلى سنة ٥٣٠ هـ ، ورتب حوادثه وفقا للمنهج الحولي . وقد اتبع الطبري في روايته للأخبار والحوادث طريقة الإسناد ، أي إسناد الرواية إلى سلسلة من الرواة توثيقا للأخبار التي يرويها ، فلقد كانت نظرة الطبري إلى التاريخ متأثرة إلى حد كبير بدراسته الأولى وثقافته كحدث وكفقيه ^(٢) ، ولذلك كانت قيمة الروايات تعتمد في نظره على قوة أساسيتها ، وكلما كان الإسناد في أوله قريبا من الحادثة كان ذلك مدعاة لصحتها ، غير أن الطبري لم يكن يفضل رواية على رواية ، وإنما كان يكتفي بمرض الروايات ، فيقف بذلك موقفا حياديا ^(٣) . ولعل اعتماد الطبري على

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مقدمة الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج ١ ص ٥ - ١٠ - أحد عمد الحولي ، الطبري ، سلسلة أهلام العرب ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٦ - ٤١

(٢) الدوري ، نقاد علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٥٥

(٣) الدوري ، ص ٥٦ ، يشبه الطبري في هذا من سبقه من المؤرخين أمثال محمد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) الذي كان يحدد في رواياته التاريخية على الاسانيد

الإسناد كان سببا في وفرة مصادره ، وكان لذلك أعظم الأثر في اعتماد من جاء بعده من المؤرخين عليه ، أمثال : مسكويه ، وابن الأثير ، والنهجي .

ويشك روزنثال في أن الطبرى هو أول من طبق الصورة الحولية على الكتابة التاريخية ، وذلك لكبر حجم كتابه من جهة ، ثم لأنه يستند في ذلك على أنه وصلنا أخبار تشير إلى استعمال المؤرخين الأول لصورة الحوليات قبل الطبرى (١) ، من ذلك أبو عيسى بن المنجم (ت ٢٧٩ هـ) الذى كتب قبل الطبرى كتابا في تاريخ سنى العالم ، لمل حوادثه كما هو واضح من عنوانه كانت مرتبة حسب السنين ، ومنهم محمد بن يزداد الذى صنف ، حسبما يذكر ابن النديم ، كتابا أكمله ابنه عبد الله إلى سنة ٣٠٠ هـ ، مما يدل على أن كتاب محمد بن يزداد كان يتبع منهج التاريخ الحولى . كذلك يستند الأستاذ روزنثال في رأيه على أن تاريخ حمزة الاصفهاني وتاريخ إلباس النصيرى يتضمنان مقتطفات مقتبسة من تاريخ محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، تدل على أن كتاب الخوارزمى كان مرتبا على حسب السنين (٢) .

ومما يدل على أن الطبرى لم يكن أول من كتب الحوليات ، أن الهيثم بن عدى (ت ٢٠٦ هـ) ألف كتابا في التاريخ على المنهج الحولى بعنوان « كتاب التاريخ على

الكاملة » حرصا على بيان روايتها ، وأمانة النقل ، دون أن يعنى بتقدها ، وكذلك ينسب الطبرى مؤرخا آخر سبقه في الكتابة التاريخية هو أحد بن جابر البلاغرى (ت ٢٧٩ هـ) الذى تأثر بدورته بما هو فيه الواقعى والمدائى وغيرهما في الفتوح (راجع السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، الاسكندرية ١٩٦٦ م ، ص ٩٣ — ٩٦)

(١) روزنثال ، ص ١٠٢ وما يليها

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٤

السنين ، (١) ، وهو أمر يشير إلى أن الكتابة التاريخية على المنهج الحولى كانت معروفة في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني الهجرى (٢) . كذلك ورد في الفهرست لابن النديم أن جعفر بن محمد بن الأزهر (ت ٢٧٦) ألف كتابا في التاريخ مرتبا على السنين .

وقد اتبع طريقة المنهج الحولى بعد الطبرى عدد كبير من مؤرخى المسلمين ، نخص بالذكر منهم مسكويه وابن الجوزى وابن الأثير وأبو الفداء والنهじ .

وفكرة الكتابة التاريخية على النهج الحولى او وفقا للسنين ليست فى رأى روزنتال ابتكارا لمؤرخى العرب ، فلقد كانت الكتابة التاريخية على طريقة الحوليات — فى رأيه — معروفة فى الكتب الإغريقية . وكانت الحوليات الإغريقية وقت ظهور الإسلام تتشابه كثيرا مع الحوليات الإسلامية المتأخرة . ويرى الأستاذ روزنتال ان الحوليات الإغريقية تتمثل فيما كتبه إيونيس ملاس ، كما يتمثل المنهج الحولى فى الأدب السريانى فيما كتبه يعقوب الرهاوى (من القرن الاول الهجرى) ، وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولى انتقلت على هذا النحو إلى مؤرخى العرب الأولين عن طريق اتصالهم بأولى العلم من السريان المسيحيين أولا ، ثم عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الاصلية مباشرة (٣) ، ويرى روزنتال انه ليس من الضرورى ان يكون هناك كتابا معيناً أوحى بفكرة المنهج الحولى الى المؤرخين العرب ، لان هذه الفكرة من السهل انتقالها بمجرد اطلاع

(١) روزنتال ، ملحق ١ ص ٢٧٤ — الدورى ، ص ٤٢

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٥

(٣) أولبرى ، مسائل الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ترجمة دكتور تمام حسان ، القاهرة

سطحي على تاريخ مكتوب على السنين ، او من مجرد مناقشة عرضية بين مؤرخ نصراني ومؤرخ مسلم ، ولقد كان احتكاك العرب المسلمين بالنصارى في المجال الثقافي قوياً بوجه خاص في سورية ، إذ كانوا يعيشون معاً مرتبطين فيما بينهم بروابط اجتماعية وثيقة .

وخلاصة القول أن مؤرخى الغرب - في اعتقاد روزنتال - قد استلهموا طريقة التأريخ الحولى من مؤرخى الإغريق والسراني ، على الرغم من أن الكتابة السريانية أو الإغريقية لم يكن لها تأثير على مؤرخى العرب ، وأن ما اقتبسه العرب منهم يقتصر على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافية والكيمياء والطب والحشائش والعقاقير (١) . ثم أبدع العرب في هذه الطريقة ، وطوروها ، وتقدموا بها تقدماً أبعداً عن مصدرها الاصلى ، وساعدوا على سهوله عرض المادة التاريخية استمرار اليهود الإسلامية وتواصلها (٢) ، وتفاعل العرب الغالبيين مع الشعوب المغلوبة . ومع ذلك فالأستاذ روزنتال يشك في الاعتقاد بوجود صلات متينة بين علم التاريخ الإغريق - السرياني ، وعلم التاريخ العربى الإسلامى ، وتشك في أن التاريخ العربى القائم على المنهج الحولى عرفه العرب عن طريق مباشر من كتب التاريخ الإغريقية مثل كتاب يوزبيوس (٢٦٥-٣٤٠م) لأن كتاب يوزبيوس الذى عرفه بعض مؤرخى العرب عن طريق السريان والوسطاء المسيحيين لا علاقة له بالنظام الحولى في التأريخ الإسلامى (٣) .

ولا يشك الأستاذ عبد الحميد العبادى في أن توفيت الأحداث بالسنين

(١) قس المرجع .

(٢) روزنتال ، ص ١١٠

(٣) قس المرجع ، ص ١١٢

والشهور والأيام ضابط انفراد به مؤرخو المسلمين عن نظرائهم من اليونان والرومان وأوربا في العصور الوسطى (١). يؤكد الدكتور سيدة كاشف أن الكتابة التاريخية السريانية لم يكن لها قط تأثير على المؤرخين المسلمين على الرغم من قيام مدارسهم في الرها ونصيبين وجنديسابور بممارسة نشاطها العلمي في الترجمة عن الإغريق ، وتذكر الأستاذة الدكتور أن التأثير الأجنبي الذي نلسه عند بعض المؤرخين والمسلمين القدماء إنما كان في كتب التاريخ الفارسية فيما يخص بالتاريخ الإيراني القديم (٢).

• • •

ثم طرأ تطور على كتابة التاريخ الحولى في العصور الإسلامية المتأخرة ، وذلك عندما أحس المؤرخون في هذه العصور بحاجتهم إلى ترتيب إضافي للمادة التاريخية ، التي كانت تزيد يوماً بعد يوم ، في وحدات زمنية أوسع ، فأدخل مؤرخ الإسلام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) في كتابه الكبير تاريخ الإسلام ، الذي يتألف من ٢١ مجلداً ضخماً ، والذي بدأ به التاريخ الإسلامى حتى بداية القرن الثامن الهجرى ، تقسيماً فرعياً للحوادث متبعاً نظام العقود ، أى من السنة الأولى إلى السنة العاشرة هـ ، وهكذا ، وطبق هذا التقسيم إلى عقود على كل أجزاء كتابه . غير أن التقسيم إلى عقود في تاريخ الذهبي إنما استمد أصوله من تاريخ السيرة ، والذهبي في ذلك يربط بين تاريخه وبين آداب الطبقات والتراجم (٣) .

(١) هرنفو ، علم التاريخ ، ص ٦٧

(٢) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٥٠

(٣) روزنثال ، ص ١٢١

كذلك ترجع أصول التقسيم حسب القرون إلى كتب الطبقات والتراجم ، ككتاب ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، للفوطى ، وكتاب ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلانى ، وكتاب ، الضوء اللامع في رجال القرن التاسع ، للسخاوى ، وكتاب ، النور السافر في أخبار القرن العاشر ، لابن العيديدوس ، و«الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» للغزى ، وكتاب ، نخبة الزمن في أعيان القرن الحادى عشر ، للنجى ، وكتاب ، نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى ، لمحمد الصغير (وهو كتاب محلى عن المغرب) .

وهذه الكتب إما مرتبة حسب السنين كالتجارب النافعة للفوطى ، أو مرتبة حسب حروف الهجاء كالدرر الكامنة لابن حجر .

ب - التأريخ حسب الموضوعات :

وهى التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام ، وإما للسير أو للطبقات ، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص ، وأغنى بهم أشخاص الخلفاء أو الحكام ، بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين .

١ - التأريخ للدول : وجد فريق من مؤرخى العرب كان يؤثر الكتابة التاريخية على حسب الامرات الحاكمة أو الدول أو العهود ، فنجد بعضهم يكتب فى تأريخ الدول والامرات الحاكمة مثل ابو حنيفة الدينورى فى الاخبار الطوال ، وأبو شامة فى الروصتين فى أخبار الدولتين ، وابن واصل فى «مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب» ، وأبو بكر الصدفى فى «الانوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية» ، ولسان الدين بن الخطيب فى «اللمحة البدرية فى الدولة النصرية» ، وأبو

الوليد إسماعيل بن الأحمر في «روضة السرين» في دولة بني مرين ، وابن خلدون في كتابه الكبير ، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .

كذلك نجد بعضهم يكتب في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين مثل : البلوى في سيرته لأحمد بن طولون ، وابن الداية في سيرة أحمد بن طولون ، وابن زولاق في سيرة الاخشيد ، والصولى في أخبار الراضى والمتقى بالله ، وابن شداد في سيرة صلاح الدين ، والبيذق في أخبار المهدي بن تومرت ، ومحيى الدين بن عبد الظاهر في «تشریف الايام والمصور في سيرة الملك المنصور» ، وبنو الدين العيني في «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» (ططر) ، «والسيف المهند في سيرة الملك المؤيد» ، والسيوطى في «تاريخ الخلفاء» ، والمقرئى في «اتعاظ الحنفاء بذكر الائمة الخلفاء» .

ويتميز هذا النظام في الكتابة التاريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الاخلاقية والادارية ، الذى كان مظهرأ من مظاهر أمر التاريخ القومى الفارسى في مؤرخى العرب القدامى ، فلقد كان التاريخ الفارسى يطبق طريقة تقسيم المادة التاريخية حسب عهود الحكام ، وكان مؤرخو الفرس يرون أن أخلاق الحاكم والإدارة السياسية في هذه أهم عناصر التاريخ ، ولذلك يمكننا إرجاع منهج الكتابة التاريخية على حسب تاريخ الدول إلى أصول فارسىة (١) .

ومن أقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في الدول وفي العهود : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى (٢٨٤ هـ) ، وكان معاصرا للطبرى ، وكان

اليعقوبي مؤرخاً ورحالة (١) في آن واحد ، وكتابه في التاريخ يتألف من جزءين :
الاول : في التاريخ القديم ، عبر فيه عن فكرة التاريخ العالمي في العصر
 السابق على الاسلام وفي التاريخ الاسلامي حتى سنة ٢٥٩ هـ ، متبعاً في كتابته
 التسلسل التاريخي للاحداث ، ويبدأ في هذا الجزء بالخليقة وتاريخ الانبياء وتاريخ
 الفرس القديم ، وتاريخ العرب في الجاهلية ، وتاريخ السابليين والآشوريين
 والهنود واليونان والروم وتاريخ المصريين والبربر والاحباش والزوج والترك
 والصينيين (٢) . والآخر الجغرافي واضح في كتابته عن هذه الشعوب بحكم كونه
 رحالة ومؤرخاً في آن واحد .

والثاني : أفرد للتاريخ الاسلامي ، رتبته حسب الخلفاء مع مراعاة تسلسل
 الاحداث على السنين فبدأ به ولد الرسول ومغازيه حتى وفاته . ثم تتبع تاريخ الخلفاء
 حتى المعتمد العباسي .

وقد تأثر المسعودي (٢٤٦ هـ) في كتابته بكتابة اليعقوبي ، فقد جمع الحوادث
 التاريخية تحت رؤوس موضوعات تتعلق بالشعوب أو الاسرات والدول
 والحكام ، وكتابه مروج الذهب شأنه في ذلك شأن تاريخ اليعقوبي يجمع بين
 التاريخ حسب الموضوعات المختلفة كتاريخ الهنود والفرس والروم واليهود
 والصينيين والعرب والأتراك في العصور القديمة ، وبين التاريخ حسب الدول
 والحكام .

وكان معظم مؤرخي العرب الذين اتبعوا هذا المنهج في الكتابة التاريخية أمثال

(١) يتجل ذلك كتابه « البلدان » الذي نشره دي غوييه مع كتاب « الأعلام النفيسة »

لابن رسته ، في الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ليدن ١٨٩٢ .

(٢) الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٥١

ابن عذارى المراكشي في «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، وابن قتيبة الدينوري في «كتاب المعارف»، واليعقوبي في «تاريخه المرسوم باسمه»، يضيفون قبل المضي في دراستهم لشخصية الحاكم أو الخليفة موضوع الدراسة، الصفات الخلقية والمعنوية له، ويذكرون أيضا صفاته الجسمانية، وأحيانا يوردون قوائم بأسماء أولاده ونسائه وهو ظفيع، وبعضهم يضيف إلى ذلك قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب والعملاء والشعراء المعاصرين لهذا الحاكم. فابن عذارى عندما يكتب عن قيام دولة بني أمية في الأندلس وإمارة عبد الرحمن بن معاوية يحدثنا عن نسبه وكنيته، ويذكر اسم أمه، وتاريخ مولده والبلدة التي ولد فيها، وتاريخ وفاته وتاريخ مبايعته بالإمارة، ويذكر أسماء وزرائه وهدم وأسما حجابيه وقضاة، ويصفه ثم يذكر عدد أولاده (١). وابن قتيبة عندما يترجم للصحاباء، يتم بذكر أنسابهم وصفاتهم ويحصى عدد أولادهم ويذكر أسماءهم كما يذكر أسماء مواليتهم (٢) ومن أوائل المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن الدول والعهود، ابن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٠ هـ)، وكتابه المعارف مثل من أمثلة الكتابة التاريخية العالمية، يبدأ فيه ببده الخليفة وينتهي بأيام المعتصم، أما كتابه «الأخبار الطوال» فهو مثل آخر من أمثلة التاريخ العام العالمي، وقد عالج في القسم السابق على الاسلام تاريخ الفرس والروم والعرب.

(١) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج ٢، أخبار الأندلس، بيروت

١٩٥٠، ص ٧١

(٢) ابن قتيبة، المعارف، القاهرة ١٣٠٠ هـ: راجع ترجمة الزبير بن العوام، ص ٧٤ وما يليها

وترجمة طلحة بن عبيد الله، ص ٧٧، وترجمة عبد الرحمن بن عوف، ص ٨٠، وترجمة سميد بن أبي وقاص، ص ٨٢، وترجمة سميد بن زيد، ص ٨٣... إلى آخره.

٢ - التأريخ حسب الطبقات : التأريخ حسب الطبقات إسلامي أصيل ، لم تكن له علاقة في الأصل بطريقة التأريخ حسب السنين ، لأن تقسيم الطبقات جاء نتيجة طبيعية لفكرة وصحابة رسول الله ، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً ، كما ارتبط بالعلوم الدينية . فطبقات ابن سعد ، لاتعدو ان تكون تراجم لشخصيات محدثة هامة . وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ، وطبقات الصوفية للسلمي ، وطبقات الخنابلة لابن يعلى ، والطبقات الكبرى للشمرازي ، تراجم لشخصيات فقهية .

ثم استخدمت الكتابة في الطبقات في ميادين غير دينية مثل : طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات النحويين للزبيرى ، وغير ذلك من الطبقات التي سنوردها عند دراستنا لكتب الطبقات في المصادر .

٣ - التأريخ حسب الأنساب : أصبح للقرشيين وللعلميين ولأبناء الصحابة الأولين مكانة كبيرة في الاسلام ، فظهروا في صورة ارستقراطية عربية في الاسلام ، وساعد ذلك على الاهتمام بدراسة الانساب ، وخاصة بنسب قريش ، فظهر من النسابين فريق اهتم باحصاء فضائل قريش ، وذكر مزايدهم وما اكرمهم ، وأقدمهم مصعب الزبيرى (ت ٢٢٣) الذى صنف كتابين : احدهما بعنوان « النسب الكبير » ، والثانى بعنوان « نسب قريش » ، وصلنا منهما الكتاب الثانى (١) ، ويليه في طبقات النسابة لقريش الزبير بن بكار (ت ٢٥٩) وهو من نسل عبدالله ابن الزبير ، وقد صنف فى الانساب كتاباً بعنوان « نسب القرشيين » ، فى مجلدين ،

(١) المصعب بن عبدالله الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق لبنى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٣

سم البلاذرى (ت ٢٧٩) الذى الف كتاباً بعنوان «أساب الأشراف» ، وهو كتاب عنى فيه بدراسة نبلاء العرب أى الخلفاء منهم ومن كان يفرض له فى بيت المال ألف درهم أو الفان وخمسمائة (١) ، خص فيه نسب قريش باهتمام بالغ فلا ينتهى من نسب قريش إلا فى المجلد العاشر من مجموع مجلداته وعددها ١٢ مجلداً .

ولقد وجدت الكتاب فى الأنساب فى المغرب الإسلامى والاندلس ارضاً خصبه ، وكان علم الأنساب يشغل فى بلاد الاندلس مكانة عظيمة ربما فاقت مكانة بقيه العلوم الإسلامية ، فالف فيه عدد من المؤرخين نخمسة بالذكر منهم : عبد الملك بن حبيب ، واحمد الرازى ، ومحمد بن حزم القرطبى وابن عبد البر ، ويرجع السبب فى العناية بالأنساب فى المغرب والاندلس إلى قلة عدد العرب الصريحى النسب فى الاندلس ، بعد ان تعقد المجتمع الاندلسى ، واصبح يتكون من اخلاط بشرية غير منظمة ، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقوم على العنصرية الجنسية او العصبية ، كالعرب والبربر والمولدين ، وقد اوجد ذلك مادة خصبة لعلم الأنساب (٢) .

(١) البلاذرى ، أساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حيد الله ، القاهرة ١٩٥٩ ،

ج ١ ص ٢٢ من المقدمة .

(٢) ابن حزم ، جبهة أنساب العرب ، تحقيق ليفى برونسال ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،

ص ٩ من المقدمة

(٢)

تنوع صور المادة التاريخية

١ - التاريخ العالمى :

أشرنا فيما سبق إلى أنه ظهرت منذ أواخر القرن الثالث الهجرى ثلاثة أنواع من كتب التاريخ العالمى، سبقها كتاب الأخبار الطوال لابن حنيفة الدينورى، الذى يبدأ من آدم عليه السلام، ويستعرض فيه تاريخ عرب الجاهلية والفرس، ثم تاريخ صدر الإسلام، دون التعرض لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم، ويتهى بنهاية ملك يزدجرد. ونلاحظ فى هذا الكتاب اهتماما خاصا بتاريخ الفرس.

أما النوع الأول: فيتمثل فى تاريخ يعقوبى، وقد سبق أن تحدثنا عنه، والجزء الأول من كتابه يتضمن موضوعات متعددة ابتداء فيها بقصة التوراة. ثم وصف الاناجيل الأربعة واستعرض التاريخ الجاهلى، ولكنه اضطر إلى التعرض لموضوعات ثقافية عامة عندما لم يجد مادة فى التاريخ السياسى، فأخذ يحدثنا عن الإغريق والهنود والعرب وعن بعض الموضوعات العامة، مثل كتب أرسطو وأبقراط والشعراء الجاهليين.

والنوع الثانى: من كتب التاريخ العالمى فى القرن الرابع الهجرى يمثل كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبرى، وهو أهم بكثير من تاريخ يعقوبى، إذ جمع فيه الطبرى بين تفصيل المتكلمين، وتدقيق الفقهاء، وتبصر الساسة فى الأمور، الأمر الذى رفع من قيمة الكتاب، وجعله من أهم المصادر فى التأريخ العام أو العالمى، وأنموذجا للصورة التى ينبغى أن يكتب بها التاريخ. ويقتصر القسم السابق

على العصر الإسلامى من تاريخه على مجموعة من الأخبار عن الأسرانيات ، وتاريخ العرب ، وتاريخ الفرس . أما حديثه عن سيرة النبى فقد اتبع فيه نمج كتاب السيرة والمغازى مع تتبع الأحداث التى مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ الهجرة النبوية ، وفقا لترتيبها الزمنى ، والاهتمام فى آن واحد بذكر سلسلة الإسناد فى الروايات المختلفة . وقد طبق الطبرى منهج الكتابة الحولية ، واهتم فى الوقت ذاته ، بإيراد تراجم للخلفاء فى سنى وفاتهم (١) .

النوع الثالث : يمثله كتاباه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وه التنبية والإشراف ، للمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) . والكتاب الأول موسوعة تجميع فى مادتها بين الدراسة التاريخية والجغرافية ، ولم يقتصر المسعودى فى هذا الكتاب على دراسة الموضوعات المألوفة عند المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه ، وإنما وإنما انتقل إلى ذكر قصة خلق العالم ، ووصف طبيعة الأرض ، ودراسة الشعوب الأعجمية التى عرفها المسلمون (٢) ، وبحث فى تاريخ العرب فى الجاهلية ، مؤكدا على العناصر الحضارية فى تاريخهم ، ثم كتب بإيجاز فى السيرة النبوية ، واهتم بالأحداث التى كان لها اتصال مباشر بعلى بن أبى طالب اهتماما خاصا ، ثم بحث فى تاريخ الخلفاء متتبعا لترتيب الزمنى . أما الكتاب الثانى فقد ضمنه آراءه فى فلسفة التاريخ والكون (٣) ، واهتم بوجه خاص بوصف البلدان المختلفة بما يجعلنا نعتبر المسعودى أدق من يعقوبى فى تأكيد المعنى العالمى للتاريخ (٤) .

وقد اكتفى كل من يعقوبى والمسعودى بذكر قائمة بأسماء الأخباريين الذين

(١) روزتال ، ص ١٨٦ ، ١٨٧

(٢) هس المرجع ، ١٨٨

(٣) سبنة كاشف ، ص ٣٦

(٤) روزتال ، ص ١٨٧

أفادا منهم في كتابتهما ، ولذلك حذفنا الأسايد من رواياتهما بخلاف الطبرى ، الذى كان يبذل كل ما استطاع من جهد فى العناية بتسلسل السند فى الروايات المختلفة .

هؤلاء المؤرخون الثلاثة يمثلون مؤرخى العرب فى كتابة التاريخ العالمى فى القرنين الثالث والرابع الهجرى . ولكن كتب هؤلاء المؤرخين ليست الكتب الوحيدة فى هذا المجال ، فهناك كتب أخرى لمؤرخين مسلمين ونصارى وقليل منهم يهود ، حذت هذا الحذو ، ولكنها لم تبلغ فى تطبيق الصورة العالمية مبلغها ، ولم تعرض أمثلة من هذه الكتب فيما يلى وفقا للترتيب الزمنى :

١ — حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت قبل سنة ٣٦٠ هـ) : كتاب « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » ، ويتضمن عشرة أبواب ، قام فيها بدراسة تاريخ العرس وطبقات ملوكهم ، وتاريخ ملوك الروم ، وتاريخ اليونان ، وتاريخ القبط ، وتاريخ ملوك الحيرة ، وتاريخ ملوك غسان ، وتاريخ ملوك كندة ، ثم تاريخ قریش . واهتم المؤرخ بتاريخ خراسان وطبرستان ، فأفرد لولاء خراسان الفصل التاسع من الباب العاشر ، وأفرد لولاء طبرستان الفصل العاشر من الباب نفسه (١) .

٢ — أغايوس (الملقب بمحبوب بن قسطنطين الرومى المنيجي) : « كتاب العنوان » (٢) ، بحث فيه جغرافية العالم وتاريخ بني إسرائيل واليونان والروم ، كما تعرض لتاريخ العرب ، وقد أفاد أغايوس كثيرا من الأخبار الواردة فى الحوليات البيزنطية .

(٣) حمزة الأصفهاني ، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ١٣٤٠ هـ .

(٤) تحقيق نازيليف ، جزآن ، باريس ١٩٠٩ .

٤ — سعيد بن بطريق (المعروف ببوتيفوس ت ٥٢٢٨ هـ) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (١)، وهو تاريخ طويل مكتوب بالعربية ، بدأ فيه المؤلف من عهد آدم حتى سنى الهجرة متبعا طريقة التأريخ الحولى . والكتاب يتضمن عرضا رائعا لتواريخ ما قبل الإسلام من وجهة نظر المؤلف المسيحية ، مثل بنى اسرائيل ، والإغريق ، والرومان ، والنصارى ، والروم ، والفرس . وينعكس اهتمامه بالمسائل الدينية فى مناقشته للدانوية والنساطرة ، وإشاراته إلى الأحداث الهامة فى تاريخ الكنيسة .

وقد أكمل يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت ٤٥٨ هـ) هذا الكتاب بعد أن مضى ما يقرب من قرن على تأليفه . ووضع له العنوان التالى : « حكمة كتاب سعيد بن بطريق » (٢) ، واتبع فيه منهجه التاريخى ، وإن كان يبدو من كتابته أكثر وعيا من سعيد بن بطريق فى تفهم التاريخ العام العالمى .

٤ — الأب جريجوريوس (أبو الفرج بن هرون الملقب) المعروف بابن العبرى (ت ٦٨٥ هـ) : « تاريخ مختصر الدول » (٣) ، وهو كتاب مصنف بالعربية ، تعرض فيه ابن العبرى لأحداث الدولة العربية ، وتحدث عن السيرة النبوية ، وعن الخلفاء الراشدين ، مستخدما طريقة الحوليات عند تعرضه لبعض الأحداث ، وقد استقى ابن العبرى مادته من مصادر سريانية وعربية ، وروى حوادث عصره ، خاصة الغزو المغول ، كما شاهدها وعانها . واهتم ابن العبرى بالترجمة لكبار النصارى من العلماء والاطباء .

(١) طبعة بيروت ، فى جزأين ١٩٠٥ - ١٩٠٩

(٢) لدره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٩

(٣) طبعة بيروت ، تحقيق الأب أنطون صالحان اليسوعى ، بيروت ١٨٩٠

٥ — مقتطفات من تاريخ سديا الجاعوني اليهودى (القرن الرابع الهجرى)،
واردة فى مجهول أ كسفورد، المؤلف فى القرن السادس الهجرى . يهتم المؤلف
بمجهول الاسم بالأحداث التى لها أهمية فى اعتباره بالنسبة لقضايا اليهودية ، ومعظم
صفحات الكتاب خصصها لتاريخ الفترة الواقعة ما بين بدء الخليقة ونهاية الحياة
السياسية اليهودية . أما الاخبار الخاصة باليونان والرومان والفرس والعرب
فمقتضبة (١) .

٦ — مسكويه (أبو على أحمد بن محمد ، ت ٤٢١ هـ) : كتابه تجارب الأمم (٢)
كان مسكويه أميناً لمكتبة ركن الدولة الفضل بن العميد ، ثم دخل فى خدمة عضد
الدولة بن بويه ، كما كان متمكناً من اللغة الفارسية (٣) ، ولذلك اتسمت كتابته
بتغلب النزعة الفارسية . وكتاب تجارب الأمم يعتبر من أكثر المصادر ثقة ، إذ
اتخذ فيه مسكويه من أحداث التاريخ وتجارب الأمم أمثلة ومواعظ ، ويعبر فى
كتابته عن خبرة بشؤون السياسة ، وإدراك كامل وتفهم شامل للتاريخ ، وهو
لذلك يقتصر على السياسات التى يمكن لاهل زمانه أن يفيدوا من تجاربها ، فيتجنب
الخوض فى تاريخ الأنبياء ، ولا يتعرض للتاريخ الدينى لدولة الرسول فى المدينة ،
ولأنما يكتفى بعرض موجز لربع الجانب السياسى ، ولا يهتم إلا بما كان تدبيراً بشرياً
لا يفتقرن بالاعجاز ، ويبدأ مسكويه كتابه بدراسة لتاريخ ملوك فارس ، ثم يتطرق
فى معرض حديثه عنهم إلى ذكر ملاحظات عرضية عن البابليين والإغريق والنصارى

(١) روزثال ، ص ١٩٢

(٢) مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) تحقيق آدم روز . القاهرة ١٩١٤ — ١٩١٥

(٣) سيدة كاشف ، ص ٢٦

والروم والعرب قبل الإسلام ، ولا يفتح مسكويه في القسم الاسلامى من كتابه المنهج الحولى فى السنين الاولى من الإسلام ، ولكنه يفتح هذا المنهج بعد ذلك ، ويعتمد مسكويه على الطبرى اعتمادا كليا فى الحوادث التى لم يدركها ، وذلك بعد أن حذف من تاريخ الطبرى سلسلة الاسناد ، واختصر الرواية (١) .

٧ — الثعالبى ، (ت ٤٢٩ هـ) كتاب الفرر فى سير الملوك وأخبارهم (٢) .
لم يبق من الفرر إلا أجزاء متفرقة تكفى فى حد ذاتها للحكم بأنه لم يبلغ فى الاحساس والتبصر التاريخى مبلغ مسكويه . ولقد اعتمد الثعالبى فى القسم الاسلامى (حتى عصر الدولة العباسية) اعتمادا خاصا على الطبرى ، وانبع فى هذا القسم منهج التأريخ حسب عهود الخلفاء (٣) .

٨ — ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، ت ٥٩٨ هـ) : كتاب شذور المقود ، وقد لخص فيه ابن الجوزى كتابه المنتظم ، واهتم فى القسم السابق على الإسلام بتصوير جغرافية العالم ، وتعرض فى هذا القسم لتاريخ بن اسرائيل حتى زمن المسيح ، ثم لتاريخ ملوك الفرس وغيرهم من الشعوب الاعجمية . ويستعرض ابن الجوزى حوادث التاريخ الاسلامى بايجاز متبعا منهج التأريخ الحولى ، إلى أن يتطرق إلى الحديث عن الاسماعيليه والقرامطة . ويهتم المؤلف بأخبار الوفيات من كبار الشخصيات ، ويذكر بعض الحوادث

(١) روزنثال ، ص ١٩٦ — سيدة كاشف ، ص ٣٦

(٢) الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، نشره مع الترجمة الفرنسية زوتنبرج Zornberg ، باريس ١٨٠٠

(٣) روزنثال ، ص ١٩٢

الثافة التي يتوهم أنها خطيرة ، كالولادات الشاذة ، والزلازل ، والأوبئة ، والمجاعات ، والحرائق ، وموجات البرد الشديد ، وظاهرة تزوج امرأة رجلين ، وغير ذلك من الحوادث الشاذة .

٩ — سبط ابن الجوزي (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزوغلي ، ت ٦٥٤ هـ) : كتاب مرآة الزمان (١) . هو تاريخ عام ، قدم المؤلف في القسم الخاص بعصر ما قبل الإسلام من المعلومات والأخبار التاريخية ما يفوق في الكثرة ما قدمه ابن الجوزي الجدد ، ويتجلى في كتابته غزارة العلم والدقة والتحرى .

١٠ — ابن الأثير (ت ٦٢٠ هـ) ، الكامل في التاريخ .

هو أحسن ما صنف من كتب التاريخ العالمي الإسلامي على نسق الحوليات ، ولقد حرص ابن الأثير في كتابته على حفظ التوازن بين أجزاء تاريخه المختلفة كما بذل جهدا كبيرا في مراعاة التوازن بين الأحداث في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وعندما يقترب من عصره يحاول تفصيل الأحداث التاريخية دون أن يخجل بنسبة المادة التي يوردها . ومن حيث المنهج ، نلاحظ أنه طبق منهج الكتابة على حسب السنين مع عدم الإخلال برواية الحادثة الواحدة التي جاءت مقطعة في سنة واحدة ، كما أنه وضع الأخبار الثانوية تحت عنوان « ذكر عدة حوادث » . ويمتاز كتابه الكامل بميزات منها : التمهيد للخبر بمقدمة مختصرة تذكر القارىء بما كان قد رواه منه قبل ذلك ، فيتيح للقارىء بذلك ، أن يربط بين أجزاء الخبر ، ومنها تلخيص الخبر أولا ، ثم روايته مفصلا بعد ذلك ، بالإضافة إلى قيامه بتبنييه القارىء اذا كان للخبر بقية أو بانقضاء حادث هام كسقوط دولة ،

ومن مميزات كتابه الكامل أنه يخلو من الاسانيد التي تمرقل متابعة القارى. للبادء
التاريخية (١).

• • •

ثم ظهرت منذ القرن السابع الهجرى مجموعة من الكتب العامة سيطر فى كتابتها
الاهتمام الدينى ، فاهتم المؤلفون فيها بالسيرة النبوية اهتماما كبيرا ، وبدءوا
تواريخهم بالسنة الأولى من الهجرة . ويعبر عن هذا الاتجاه : عماد الدين أبو الفداء
اسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) فى البداية والنهاية (٢) ،
والفقيه ابن أبى الدم (أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم) فى تاريخ
الإسلام ، يبدأ بحياة الرسول ، والكتبى (ت ٧٦٨ هـ) فى عيون الاخبار .

ثم فقد التاريخ العام العالمى قدرته على تصوير العالم تصويراً شاملاً ، بعد أن آثر
المؤرخون فى القرن الثامن الهجرى التراجع ، ويمثل هؤلاء المؤرخين : الذهبى فى
كتابه « تاريخ الإسلام » ، والسخاوى فى « التبر المسبوك » .

٣ - التاريخ المحلى :

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية ، وتعبير صادق عن ارتباط
المؤرخ بإقليمه ، واعتزازه بوطنه ، وإن كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامى
المحلى صنف من أجل اعتبارات دينية . وقد عبر كل من السلامى وابن الربيع
القيروانى عن ضرورة اهتمام المؤرخ بالكتابة عن إقليمه وأرضه قبل أى اعتبار

(١) عبد القادر أحمد طليبات ، المؤرخ ابن الأثير ، ص ٥٣ — ٦٣

(٢) طبعة مصر ١٣٥٨ هـ

آخر ، فيذكر المؤرخ أبو علي الحسين السلاوي (ت ٢٧٤ هـ) في كتابه « أخبار ولاية خراسان » أن « الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جل أبنائها ، ويحفظ أيام أسرارها ، لا شيء أضرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه ، ولعله يتطلب أخبار غيرها ، ويكون كمن ترك الواجب وتبع التوافل » (١) كذلك يعيب أبو علي الحسن بن محمد بن الربيع (٢) التميمي القيرواني على مؤرخي الأندلس تقصيرهم في الكتابة عن بلدهم ، وذلك في رسالة وجهها إلى ابن حزم القرطبي قال فيها : « ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الأمصار ، دونوا فضائل أمصارهم ، وخذلوا في الكتب مآثر بلدانهم ، وأخبار الملوك والأمراء ، والكتاب والوزراء . وناقضوا والعلماء ، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين ، يتجدد على مر الليالي والأيام . ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام . وعلاقكم مع استظهارهم على العلوم ، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح ، وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف إن صنف أن يعنف ، وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف ، أو تحطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ، ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ، ولا بل قنبا بمناقب كتابة ووزرائه ، ولا سود قرطاسا بمحاسن قضائه وعلمائه » (٣) . فرد عليه الوزير الحافظ أبو محمد علي بن حزم مدافعا عن

(١) المتخاوي ، الاعلان بالتوبيخ . نس واردة في كتاب علم التاريخ عند المسلمين

لروزيثال ، ص ٤٤٣

(٢) ورد الاسم في المقرئ مختلفا ، فقد ذكر المقرئ أنه أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد

بن الربيع التميمي القيرواني

(٣) المقرئ ، فتح الطيب من غصن أندلس الرطب ، بتحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد

القاهرة ١٩٤٩ ، الجزء الرابع ص ١٥٢ ، ١٥٣

مؤرخى الاندلس ، مشيدا بذكر أبحاثهم ومصنفاتهم . فقال : . . . فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصافيننا في الدار أهل أفريقية ، ثم من ضمنه حاضرة قيروانهم ، إلى رجل أندلسى لم يعينه بإسمه . ولا ذكره بنسبه ، يذكر له فيها أن علماء بلدنا الاندلس — وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأقانين العلوم ، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف — فإن مهمهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ، ومكارم ملوكهم ، ومحاسن فقهاءهم ، ومنافب قضائهم ، ومفاخر كتابهم ، وفضائل علماءهم . ثم نعدى ذلك إلى أن أخطى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحى ذكرهم ، ويبنى عليهم . . . فأما مآثر بلدنا فقد ألفت في ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى كتابا جمه : منها كتاب ضمنه ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها ، وأمهات مدنها وأجنادها السنة ، وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس في غيره ، وهو كتاب مريح مليح ، وأنا أقول : لو لم يكن لاندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة في الحديث الذى رويناه من طريق أبى حمزة أنس بن مالك أن خاله أم حرام بنت ملحان ، زوج أبى الوليد عباد بن الصامت رضى الله عنه وعنه أجمعين ، حدثته عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك ، لكننى شرفا بذلك يسر عاجله ، ويغبط آجله . . . ، (١) .

ويمكننا أن نميز في الكتابة في التاريخ المحلى تيارين واضحين المعالم ولكنهما متصلين ، أحدهما تيار دينوى ، والثانى دينى .

(٢) غنى المصنر ، ص ١٥٤ — ١٥٦

وند تجاوز كل من روزتال والدكتور صالح أحد الملى الصواب في نسبة أقوال ابن الريب القيروانى إلى ابن حزم ، مع أن ابن حزم هو القدى دافع عن مؤرخى الأندلس ، وذكر أمته متعددة لمؤلفاتهم عن الأندلس .

١- التاريخ المحلي الديني :

وترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلي الديني الإسلامية الى العراق ، بما يعدلها عن الأمثلة المسيحية الموجودة في سوريا (١) . وأقدم ما ألف في تاريخ العراق كتابان أحدهما عن تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٨ هـ) ابنه عبدالله ، والثاني عن تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت ٣٣٤ هـ) ، وقد بقيت من هذين الكتابين في القرنين الثالث والرابع الهجري أقسام كبيرة . وكتاب « أخبار بغداد » لابن أبي طاهر كان يشتمل على فصل خاص بخط بغداد (٢) .

وقد أشار إلى ذلك الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، عندما تعرض لذكر شيوخ مؤرخي الأندلس وعلى رأسهم أحمد بن محمد بن موسى الرازي الذي ألف كتابا « في صفة قرطبة وخطوطها ومنازل الأعيان بها » ، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها (٣) . أما أبو زكريا الأزدي ، فعن اهتمامه بالترجمة لمحدثي الموصل ، فإن القطعة الباقية من هذا الكتاب ، تتضمن دراسة تاريخية على المنهج الحولي ، عن فيها المؤلف بالموصل فيما بين سنتي ١٠١ ، ١٢٤ هـ .

وذكر ابن حزم أربع كتب عن خطط البصرة وقطائعها وذكر أسواقها

(١) كان التاريخ المحلي معروفًا في سورية قبل الفتوحات العربية ، ولكن هذه الكتب لم تكن في رأي روزنتال من القدم بحيث تؤثر في التاريخ المحلي الإسلامي (راجع روزنتال ص ٢٠٩)

(٢) تحقيق حسن كار ، باسل ، ١٩٠٨

(٣) المعري ، ج ١ ص ١٦٦

ومحافظها وشوارعها، أحدها من تأليف عمر بن شبة (ت ٢٦٣هـ)، والثاني من تأليف رجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان، والثالث والرابع لرجلين من أهل البصرة (١)، وتوجد في كتاب معجم البلدان لياقوت مقتطفات من كتاب عمر بن شبة، اقتبسها ياقوت (٢). كذلك ذكر ابن حزم كتابا عن الكوفة لعمر بن شبة (٣).

أما عن الموصل فينسب إلى سعيد ومحمد بن هاشم الخالدين كتاب كان يشبه في موضوعاته وترتيب أبوابه تاريخ أبي زكريا، اقتبس منه ابن العديم الحلبي كثيراً من مادته في «بغية الطلب في تاريخ حلب»، كما ينسب إلى ابن الأثير المؤرخ كتاب غير كامل عن تاريخ الموصل، عنوانه: «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» (٤).

أما فيما يختص بكتب التاريخ عن مصر، فإن أقدم ما وصلنا عنها يعبر في مادته عن شعور التفاخر بماضيها وبتراثها القديم بخلاف الأسر فيما يختص بكتب التاريخ عن العراق، فتاريخ مصر وفنائها لأبي محمد الحسن بن زولان (ت ٣٨٧هـ)، الذي يهتم فيه بذكر أخبار مصر القديمة، وكتاب محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبعي (ت ٤٢٠هـ) الذي ذيل له محمد بن علي بن يوسف بن ميسر (ت ٦٧٧هـ) في كتاب عن تاريخ مصر، أمثلة من كتب التاريخ المحلي عن مصر بوجه عام. واختصت الاسكندرية، بوجه خاص، بعناية بعض المؤرخين المصريين الذين اهتموا بإحصاء فضائلها وما تمتاز به دون غيرها من مدن مصر، ومن بين المصنفات عن الاسكندرية كتاب بعنوان: «رسالة في فضائل الاسكندرية» لمؤلف مجهول اشتملت على فصح الاسكندرية وفضل المراقبة فيها وأسوارها ومساجدها، وكتاب بعنوان «الدرة

(١) نفس المرجع، ج ٤ ص ١٦٠

(٢) الضاوي، الإعلان بالتوبيخ، من كتاب روزتال، ص ٦٢١

(٣) المترى، ج ٤ ص ١٥٩، ١٦٠

(٤) تحقيق الأستاذ عبد القادر طائبات، القاهرة، ١٩٦٣

السنية في تاريخ الاسكندرية ، لمنصور بن سليم السكندري (ت ٦٧٤ هـ) ، وكتاب بعنوان « فضائل الاسكندرية » ، لابي علي الحسين بن عمر بن الحسن الصباغ (١) ، وكتاب بعنوان « الإلمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية » ، (٢) ، لمحمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري ، وقد ضمن المؤلف دراسته عن وقعة القبارصة في سنة ٧٦٧ دراسة تمهيدية عن الاسكندرية منذ إنشائها .

ثم تطورت الكتابات المحلية عن مصر منذ القرن التاسع الهجري . فظهرت كتب هامة وردت فيها أخبار تتعلق بالتخطيط والعمران والآثار ، أعظمها على الإطلاق كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، للدورخ تقى الدين أحمد بن علي المقرئ ، قدم له المؤلف بدراسة جغرافية تاريخية مسبهة تناول فيها المدن المصرية والآثار العرونية والاسلامية . مبتدئاً بالاسكندرية مع الاهتمام بخطة الفسطاط والقاهرة (٣) . ومن هذه الكتب أيضاً كتاب « الدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم » ، لعلي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ) ، وكتاب « حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة » ، لجلال الدين عبد الرحمن بن

(١) حسن عبد الوهاب ، الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة الكتّاب ، يناير

١٩٤٧ ، ص ٣٧٩

(٢) مخطوطة رقم ١٤٤٩ ومخطوطة رقم ٤١٩٣ بدار الكتب المصرية (راجع كتابي تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦١ ملحق رقم و ، ص ١٩٦ ، وملحق رقم ز ، ص ١٩٨ ومايليها — . وكتابي طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ملحق رقم ١ ص ٤٥٩ — ٤٧١)

(٣) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، القاهرة ،

١٩٥٤ ، ص ١٢

محمد السيوطي (ت ٩١١) وهو كتاب لتاريخ البلاد المصرية والقاهرة بوجه خاص، مع بعض فصول إضافية في النظم المملوكية وأساليبها وطبقات العلماء والصفوة في مصر (١) .

وفي الشام ظهرت أقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي منذ القرن السادس الهجري ، فابن القلائسي (أبو يعلى حمزة ، ت ٥٥٥ هـ) خصص تاريخه الحولى لمدينة دمشق وما يدور حولها من أخبار (٢) ، ثم ألقت في تاريخ مدن الشام ، وخاصة في تاريخ مدينة حلب مصنفات هامة للعظيمي ولابن المنلا ، ولكن أعظم ما كتب عن حلب ، ينسب إلى المؤرخ عمر بن أحمد بن العديم الحلبي (ت ٥٦٦ هـ) ، الذى خصص كتابه ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، (٣) ، لدراسة التاريخ السياسى لهذه المدينة . ونلاحظ أن الحركة الصليبية أسهمت في تنشيط الدراسات التاريخية الإقليمية في الشام ، ويتجلى هذا فيما كتبه ابن شداد الحلبي صاحب كتاب «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» (٤) .

وهناك نوع من التاريخ المحلي السوري يجمع بين تاريخ الأسر الحاكمة ، وتاريخ المدن التي كانت تحكمها : مثل كتاب « تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البعثيين من بني الغرب » لصالح بن يحيى (٥) .

(١) نفس المرجع ، ص ٦٤

(٢) ابن القلائسي ، قبل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨

(٣) كال الدين أبو القاسم عمر بن العديم ، كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق

الدكتور سامي الدحان ، دمشق ١٩٥١

(٤) نشره الدكتور سامي الدحان ، المعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٦٢ (راجع روزتال

ص ٢١٥)

(٥) نشره الأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ١٨٩٨

أما فيما يختص باليمن ، فقد صنف في تاريخها كتب عملية هامة منذ طليعة القرن الرابع الهجري ، امتزج فيها التاريخ بالدراسة العمرانية ، بالانساب . ومن كتب عن اليمن :

الهمداني ، (ت ٥٣٤) في كتابه الاكليل ، وصفة جزيرة العرب .

عمارة اليمني (عمارة بن الحسن الحكيم ت ٥٦٩ هـ) في كتابه ، المفيد في أخبار زبيد ، الذي أكمله ابن الديبع (ت ٩٤٤) بكتاب عنوانه ، كتاب بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد . وفي زبيد أيضا كتب جياش بن نجاح كتابا بعنوان ، تاريخ زبيد ، وهو تاريخ على اليمين قريب الشبه بكتاب الاكليل للهمداني (١) . ولا ينحصر الديبع كتاب آخر في التاريخ السياسي لليمن ، جمع فيه تاريخ اليمن كله موضعا فضل اليمن وإسلامها وولاتها في العصرين الأموي والعباسي ، وتعرض لذكر القرامطة في اليمن ، واهتم بذكر دول صنعاء وعدن وزبيد (٢) .

وتتمثل الكتابة في التاريخ المحلي ذي الطابع الديني في الأندلس والمغرب في كتب متعددة نخص بالذكر منها كتاب ألفه أحمد بن محمد بن موسى الرازي الملقب بالتاريخي (ت ٣٢٤) أحد ثلاثة يحملون اسم الرازي اشتغلوا جميعا بالكتابة التاريخية . في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، على نحو ما كتبه ابن أبي طاهر في أخبار بغداد (٣) ، كما ألف كتابا في أخبار ملوك الأندلس ،

(١) روزتال ، ص ٢٨١

(٢) قصه .

(٣) المقرئ ، ج ٤ ص ١٦٦ — أنخل جنتال بالنبا ، تاريخ الفكر الأندلسي ،

ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٩٦

بقيت منه ترجمة إسبانية لمقدمة هذا الكتاب عنوانها: « Cronica del Moro Rasis » ، نقلت عن ترجمة برتغالية وضعها القس خيل بريس بأمر ملك البرتغال دون ديونيس ، (١٢٧٩ — ١٣٢٥ م) ، فأتى بمساعدة نفر من المغاربة يسمى أحدهم « المعلم محمد Maese Mohamad » ، وقد كانت كتب الرازي ذات أثر كبير في التاريخ الإسباني الذي كتبه بدرو دل كرال (Pedro del Corral) (١) . وقد عثر في سنة ١٩٥٢ على الاصل الإسباني لمقدمة الرازي ، فنشر الاستاذ ليفي بروفنسال ترجمته إلى اللغة الفرنسية مع محاولة لاعادة جمع النص العربي (٢) من المقطعات الواردة في نص فرحة الانفس لابن غالب (٣) ، والروض المعطار للحميري ، والمقتبس ، وغيرها من كتب التاريخ والجغرافية الاندلسية .

ومن كتب في تاريخ الاندلس أيضا من أسرة الرازي عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، فقد ألف كتابا منها : « تاريخ الاندلس » ، « وحجاب خلفاء الاندلس » (٤) ، ويبدو أن هذا الكتاب الاخير كان تكملة لكتاب أحمد الرازي السابق الذكر .

(١) آنخل جنتالك بالثيا ، ص ١٩٨

(٢) Lévi-Provençal, La Description de l'Espagne d'Ahmad al Razi : Essai de reconstitution de l'original arabe et traduction Française, at Andalus, vol. XVIII , Fasc. 1 , Madrid 1953, pp. 51-108 .

(٣) ابن غالب الاندلس (محمد بن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ — لطفى عبد البديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص ٦٩
(٤) آنخل جنتالك بالثيا ، ص ١٩٨

والى جانب كتب آل الرازي المؤرخين ، وجدت كتب أخرى متأخرة في تلويح
الاندلس وفي أخبارها نخص بالذكر منها : كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس »
لابن بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي ، وكتاب « المقتبس في تاريخ
رجال الاندلس » لأعظم مؤرخي الاندلس أبي مروان حيان بن خلف بن حيان
(ت ٤٦٩ هـ) (١) . ومن الكتب التاريخية المحلية عن الاندلس كتاب : « تاريخ
المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » لعبد الملك
ابن محمد بن أحمد بن محمد الباسجي المعروف بابن صاحب الصلاة (ت في أواخر
المائة السادسة) ، نشره الأستاذ عبد الهادي النازي (٢) . ومنها كتاب « الحلة
السيراء » لابن عبد الله محمد بن عبد الله الفضايعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)
نشرها الدكتور حسين مؤنس في جزأين (٣) ، وكتاب « البيان المغرب في ذكر
أخبار الاندلس والمغرب » لابن عمادى المراكشي (٤) ، وكتاب « أعمال
الاعلام ، فيمن بويغ قبل الاحتلال ، من ملوك الاسلام » للوزير الكاتب لسان
الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) . وقد تولى المستشرق الأستاذ ليفي بروفنسال نشر
وتحقيق القسم الخاص بالاندلس (٥) ، وقام الأستاذان الدكتور أحمد مختار العبادي

(١) نشرت قطع من هذا الكتاب أولها قطعة من عهد الأمير عبد الله الأموي نشرها
الأب ملثور أنطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ثم قطعة من هذا الكتاب موضوعها تاريخ لابن
الحمة من ٣٦٠ — ٣٦٤ من عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر ، نشرها الأستاذ عبد
الرحمن علي المجي ، بيروت ١٩٦٥ . وأخيرا يقوم الزميل الدكتور عمود علي مكي بنشر قطعة
ثالثة من المقتبس تتناول عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد .

(٢) بيروت ، ١٩٦٤ .

(٣) القاهرة ١٩٦٣ .

(٤) تحقيق ليفي بروفنسال ، وطبعة بيروت ١٩٥٠ .

(٥) طبعة بيروت ١٩٥٦ .

ومحمد إبراهيم الكستاني (١) بنشر وتحقيق القسم الخاص ببلاد المغرب من هذا الكتاب ، ولابن الخطيب كتب تاريخية أخرى عن الأندلس والمغرب ، عكف الزميل الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي على تحقيق بعضها ونشره (٢) .
ومن كتب في تاريخ المغرب في عصر الموحدين يحيى الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت . في النصف الثاني من القرن السابع) (٣) . وابن أبي زرع الفاسي (ت في منتصف القرن الثامن الهجري) (٤) .

ونلاحظ أنه تغلب على كتب المغرب والأندلس الناحية الدينية والتراجم ، فمعظم ما كتب عنهما يتناول تاريخ قضاء وعلماء وفقهاء أهل المغرب والأندلس .
أما في فارس ، فقد تفوق التاريخ المحلي الدينوي ، باعتباره مظهرا من مظاهر القومية الفارسية التي تعرف بالشعوية ، وقد كان للحركة الشعبية أثرها في الدراسات التاريخية ، إذ سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب والاس عليهم ، فاهتموا بالتوسع في الثقافة الفارسية والتراث الفارسي ، فترجموا كتباً ذات طابع قومي مثل كتاب « خدائنا » ، الذي ترجمه عبد الله بن المقفع (ت ١٤٤ هـ) عن البهلوية تحت عنوان « سير الملوك » ، (٥) . ومن الكتب التي ألفت في التاريخ

(١) طبع بالدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٢) راجع : أحمد مختار العبادي ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة رسائله ، الاسكندرية ١٩٥٨ — ولفس المحقق ، مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب ، مقال في مجلة هـ - ريس ، ١٩٥٩ عدد ٣ ، ٤ .

(٣) المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذان محمد سعيد الريان ومحمد العربي العلمي . القاهرة ١٩٤٩ .

(٤) كتاب الأبيس المطرب بروش القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق مورنيرج ، أبالة ١٨٤٣ (في جزأين) .

(٥) هـ - العزيز الدوري ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

المجلد الديني عن فارس كتاب « تاريخ أصفهان » لمزة الأصفهاني (١) ، و « تاريخ قسم » للحسن بن محمد القمي ، و « محاسن أصفهان » للباقر خي ، و « هذه الكتب مزج واضح بين المادة التاريخية والدراسة الطبوغرافية ، والطاها الاقتصادية والثقافية (٢) . ومن الكتب الفارسية المتأخرة ، « تاريخ طبرستان » لابن اسفنديار ، في القرن السابع الهجري ، و « كتاب » تاريخ طبرستان ومازندران ، لظهير الدين المرعشي في القرن التاسع الهجري .

وهناك بعض الكتب التاريخية التي يمكن أن تندرج في التاريخ المحلي الديني ، وهي الكتب الخاصة بالفتوحات الإسلامية ، وإن كان أثر موضوعاتها محدودا . وتتناول هذه الكتب المعارك التي خاضها العرب المسلمون في الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس وأرمينية والجزيرة . ومن أقدم كتب الفتوح محمد بن عمر الواقدي الذي تنسب إليه كتب في فتوح الشام ومصر والقيوم وإفريقية (٣) . ومنهم أيضا علي بن محمد المدائني الذي كتب في فتوح الشام وفتوح مصر والنوبة وبرقة والجزيرة وأرمينية والعراق والأبلة والأهواز وفارس وسجستان وكرمان ومكران وبابل والقلاع والاكرد والري وجبال طبرستان وجرجان وخراسان (٤) .

وأول من كتب في الفتوحات الإسلامية كتابا شاملا هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩) الذي ينسب إليه كتاب فتوح البلدان ، وقد استقى

(١) راجع فائمة الكتب التي أوردها ابن التميمي في القهرست ، ص ٩ في كتاب

علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٩٠

(٢) روزتال ، ص ٢٢٠

(٣) راجع ما سبق ص ٦١ ، ٦٥

(٤) روزتال ، ص ٢٨٣ — ٢٨٥

مادة هذا الكتاب من المصادر الخاصة بفتح مصر ، عن الواقدي والمدايني (١) ، ومن المواد التي استطاع جمعها خلال زيارته للأمصار (٢) . وعلى الرغم من اعتماده على الإسناد في رواياته ، إلا أن أخباره تتميز بملاحظاته الشخصية التي يرجح فيها رواية على رواية ، وهذا يفسر السبب في أن كتابه يعرض صورة متزنة مفسقة الأحداث ، تجنب فيه لإيراد روايات متعددة ومتضاربة حول الحادث .

ثم ظهر كنب للفتوح المحلية أمثال كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري (ت ٢٥٧ هـ) (٣) ، وكتاب الرايات ، الذي ألفه محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ) عن حملة موسى بن نصير إلى الاندلس (٤) ، وكتاب تاريخ افتتاح الاندلس ، لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي (٥) (ت ٢٦٧ هـ) (٦) .

ومن الجدير بالذكر أن مصر لعبت دورا هاما في الكتابة التاريخية التي تتمزج فيها الخرافة بالتاريخ ، وقد ظهر فيها هذا النوع من الكتابة القصصية في زمن مبكر جدا . ولم تقف عناية المصريين في كتابة التاريخ عليها وحدها ، بل تجاوزتها إلى بلاد المغرب والاندلس ، وكانت مصر مركزا لما كان يكتب عن جميع القسم الغربي من الدولة الإسلامية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى طبقة السابعين الذين أخذوا عن الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص . وشاركوا في فتوح المغرب والاندلس ، واستقر معظمهم في مصر بعد الفتح ، وأخذوا يروون قصة الفتح على

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٩٧

(٢) عبد العزيز الدوري ، ص ٤٩

(٣) تحقيق الاستاذ عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١

(٤) الكتاب مفقود .

(٥) تحقيق دون خليل وبرا ، مدريد ١٩٢٦ .

(٦) Pons Boigues, *Historiadores y Geógrafos*, P.85١

مسمع تلاميذهم من المصريين، ولذلك فهم أول من وضع أسس تاريخ الأندلس. ومن بين هؤلاء التابعين موسى بن نصير، وعلى بن رباح، وحفص الصنعاني، وأبو عبد الرحمن الحبلي، وجبان بن أبي جيلة القرشي، وبكر بن سودة الجذامي. وقد حظيت رواياتهم وروايات من بقي بمصر من أبنائهم أمثال موسى بن علي ابن رباح، ومعاذ بن مروان بن عبد الملك بن موسى بن نصير الذي عاش في القرن الثالث وكتب في أخبار موسى بن عمير بعد عودته إلى المشرق، حظيت روايات هؤلاء باحترام كبير في مصر والمغرب والأندلس، وزاد هذا من مكانة العلماء المصريين في عيون تلاميذهم من أهل الأندلس حتى أصبحت مصر المصدر الأول لأخبار المغرب الإسلامي كله. ولعل السبب في اهتمام الفقهاء ومؤسسي المدارس الفقهية في مصر بقصة الفتح يرجع إلى اشتغال الحداث والفقهاء المصريين منذ عصر مبكر بأخبار الفتح.

وبرأس هذه الطبقة الثانية من أصحاب الروايات عن الفتح الأندلسي موسى بن علي بن رباح (ت ١٠٣) الذي تتلمذ عليه علماء ثلاث هم: الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ)، والواقدي (ت ٢٠٧)، وعبد الله بن لحيعة، المحدث المصري المعروف (ت ١٧٤ هـ). وكان الليث بن سعد مهتماً، إلى جانب اشتغاله بالفقه، بالتاريخ المغربي الأندلسي، الذي تلقى رواياته على موسى بن علي بن رباح. ومن تلاميذ الليث عبد الملك بن مسلمة، ويحيى بن عبد الله بن بكير (ت ٢٣١)، وعبد الله بن وهب (١٩٧)، وعبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤)، وابنه عبد الرحمن (ت ٢٥٧)، وسعيد بن عفير (ت ٢٢٦)، وتلميذه أبو سعيد بن يونس الصديقي (ت ٣٣٦) الذي يعتبر آخر مؤرخ مصري شارك مشاركة فعالة في كتابة التاريخ الأندلسي.

وعلى هذه المدرسة اعتمد أبو مروان عبد الملك بن حبيب الألبيري (ت ٢٣٨)

في مادة كتابه التاريخي عن فتح الأندلس (١) الذي ما يزال مخطوطا في مكتبة بودليانا بأكسفورد وعنوانه الطويل كما يلي : « كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجنّة والنار وخلق آدم وحواء ، وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبيّا نبيا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين ، وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين افتتاح الأندلس ، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والامتنعة ، وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ، ومن وليها ، ومن يليها ، وذكر شيء من الحدّثان وما ... في بعض البلدان ، وكَم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة ، تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب » (٢) . وفي صفحات هذا الكتاب تكثر العبارات الدالة على اعتماده على تاريخ مصر ، مثل قوله : « حدثنا عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد » ، وقوله « وحدثنا بعض مشايخ أهل مصر » ، بالإضافة إلى اعتماده على ما تناقله الأندلسيون لعمده في شأن افتتاح الأندلس (٣) .

وإلى جانب هذه الكتب الخاصة بالفتوحات ، هناك كتب أخرى تتعلق بالنظام

Mahmud Makki, Egipto y los orígenes de la historiografía (١)

arabe española ، مقال في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ — ٢ ، مدريد ١٩٥٧ م ١٥٧ — ٢٤٩ من القسم الأوروبي .

Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los (٢)
Historiadores y Geógrafos árabe españoles, p. 32, 33.

ولد نشر الدكتور محمود علي مكي القسم الخامس بافتتاح الأندلس ذيلًا لمقاله السابق ،

م ٢٢١ — ٢٤٣

(٣) الحافظ عبد البديع ، الإسلام في إسبانيا ، م ٦٧

الإدارى والقضائى فى الأقطار الإسلاميه ، يمكن أن ندخلها فى عداد كتب التاريخ المحلى الدينوى ، مثل كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى ، وتاريخ بخارى للقرشى ، وتاريخ مكة للفيا كى . وتاريخ ولاية خراسان للسامى ، فى هذه الكتب فصول خاصة عن القضاة والولاة بالإضافة إلى اهتمام بعضها بالشؤون الإدارية .

ب - التاريخ المحلى الدينى :

وهناك كتب فى التاريخ الإسلامى المحلى لم تهتم بعرض الموضوعات المتعلقة بتاريخ المدن الإسلاميه موضوع الدراسة ، أو بتراجم رجالها ، وإنما استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ المقدس لهذه المدن ، ولذلك اعتبرناها من كتب التاريخ المحلى ذى الطابع الدينى . ومن أمثلة هذه الكتب : كتاب « أخبار مكة » لأبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى (ت بعد سنة ٢٤٤ هـ)^(١) ، وكتاب البدة الثمينه فى تاريخ المدينة ، لمحمد بن محمود بن النجار^(٢) ، (ت ٦٤٧ هـ) ، وكتاب أخبار مكة لمحمد بن اسحق الفيا كى (ت فى أواخر القرن الثالث) ، وكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبى الطيب تقي الدين محمد بن أحمد العباسى^(٣) (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) ، وكتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » لجمال الدين أبو المحاسن عبد الله السمرودى^(٤) .

(١) نمره رشدى الصالح ملهى ، مكة ١٣٥٢ هـ (جزآن)

(٢) نشر كلفن ثان بالجزء الثانى من كتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام »

لغاسى ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) نشر بالقاهرة فى جزأين ، ١٩٥٦

(٤) طبعة مصر ١٣٢٦ هـ (جزآن)

ويلاحظ أن هذه التواريخ المحلية الدينية تتميز بأنها لا تهتم بالتراجم ، فالأزرقى أفرد ما يقرب من ثلاثة أرباع كتابه لذكر قصص تواترت على ألسنة القوم منذ الجاهلية حول حرم مكة ، ووصف الشمار المتصلة بها ، أما الربع الأخير فقد خصصه لذكر الأماكن المقدسة الأخرى من مدينة مكة وخططها وأطرافها . وتاريخ الفياكهي عن مكة يقتصر على أخبار خططها ، وذكر تاريخها المقدس ، أما ابن النجار فقد اقتصر في كتابه الدرّة الثمينة على ذكر خطط المدينة (يثرب) مع عرض لتاريخها المقدس ، بقصد ترغيب الناس في زيارة الحرمين الشريفين . وسار الفاسي على منهج الأزرقى والفياكهي وابن النجار ، فوصف سور مكة وأبوابها في زمنه ، ثم خصص فصلا إضافيا للتراجم وأخبار عن أهل مكة وولاتها والحجاج .

وقد اتبع التاريخ المحلي الديني عامة بصرف النظر عن تواريخ الأراضى المقدسة ، شكلا واحدا مبرزه عن التاريخ المحلي الديني ، فقد كان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وخططها ، وكانت هذه المقدمة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة مطولة . ولكنها أخذت تميل بعد ذلك إلى الإيجاز . أما مادة الكتاب فقوامها دراسة الشخصيات التي كان لها شأن بالبلدة أو القطر موضوع البحث ، وكانت هذه الشخصيات في بادئ الأمر وقفا على رجال الدين ، ثم تطورت بعد ذلك ، فشملت كل الشخصيات البارزة في المجتمع من أدباء وعلماء ونجار وأعيان . وفقد نشأ هذا النوع من التاريخ المحلي بسبب الحاجة إلى زيادة الحيلة من اختلاق الأحاديث المكذوبة ، وذلك بدراسة مواطن الرواة ورجال الحديث ورواته فيها . وأقدم ما وصلنا من هذا النوع من التاريخ كتاب تاريخ واسط (١) ، لأبي الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف باسم

(١) مخطوطة « تاريخ واسط » محفوظة بالقاهرة تحت رقم ١٤٨٣ تاريخ

بمجلد الواسطى (ت فيما يقرب من ٢٨٨ هـ) الذى يبحث فى تاريخ واسط وأطرافها وفى علماء الدين فيها من تربطهم ببمجلد سلسلة متصلة من الرواة ، وصنف الرواة تبعاً لعصرهم ، ومنها كتابه تاريخ قضاة قرطبة ،، محمد بن حارث الحشنى (١) . (ت ٣٦١ هـ) .

وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت التراجم ، مرتبة على حروف الهجاء ، الأساس الذى تعتمد عليه كتب التاريخ المحلى الدينى . ولقد ضاعت معظم الكتب التى صنف فى هذا القرن ، وأقدم تاريخ محلى دينى باق ، رتب تراجمه على نظام المعاجم أى وفقاً للترتيب الأبجدى حتى يسهل الوقوف بواسطة هذا الترتيب على ترجمة كل شخص منها ، هو تاريخ علماء الأندلس (٢) لأبى الوليد عبدالله بن الفرضى الأندلسى (ت ٤٠٣ هـ) . كذلك اتبع الخطيب البغدادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى فى كتابه ، تاريخ بغداد ، (٣) طريقة المعاجم فى ترتيب أسماء التراجم وأسماء آبائهم . وراعى الخطيب فى هذه الكتاب أن تكون التراجم شاملة ، وإن كان قد أبدى اهتماماً خاصاً بتراجم علماء الدين . ومحتويات التراجم تعبر عن اهتمام المؤلف بالحديث وتأكيده على الناحية الدينية دون غيرها من من النواحي الأخرى . وقدم المصنف صحابة الرسول على غيرهم فى الترتيب باعتبارهم أول من قدم إلى أطراف الموضع الذى أسست عليه بغداد قبل أن تؤسس ، ولقد قدم الخطيب كتابه بفصل طويل أورد فيه أخباراً كثيرة عن تاريخ بغداد وعن تخطيطها ، وعن أهم معالمها العمرانية .

* (٢) تحقيق دون خليان ريبيرا Julian Ribera ، مدريد ١٩١٤

(٣) تحقيق دون فرنسكو كوديرا Francisco Codera ، مدريد ١٨٩١

(جـ— زآن) .

(٤) طبعة مصر ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزءاً)

وانبع معظم مؤرخى مدينة بغداد وغيرهم من كتاب التاريخ المحلى الدينى فى المصور التالية نظام الخطيب فى تأريخه المحلى ، فالحافظ أبو القاسم على بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) افتتح كتابه « تاريخ دمشق » بذكر أخبارها وذكر السيرة النبوية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى التراجم ، وافتتحها بالأحمدين ، وذيل تاريخه لولده القاسم بن على (ت ٦٠٠ هـ) (١) ، ولم يهتم ابن عساكر فى هذا التقديم بوصف دمشق أو بذكر معالمها الطبوغرافية على النحو الذى طالعه فى تاريخ بغداد للخطيب .

وهناك مؤرخ شامى آخر هو كمال الدين أبو القاسم عمر المعروف بابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـ) ألف كتاب تراجم على مثال تاريخ بغداد ، بعنوان « بغية الطلب فى تاريخ حلب » ، (٢) ، هذا بالإضافة إلى كتاب تاريخى قيم عن مدينة حلب لم ينح له أن يستكمله (٣) ، ومادة هذا الكتاب التاريخى تقف إلى حوادث سنة ٦٤١ هـ ، وعنوانه « زبدة الطلب من تاريخ حلب » لم يحفظ منه سوى ثلثه (٤) . وقد قدم ابن العديم لكتاب « بغية الطلب » بفصل كبير استعرض فيه جغرافية بلاد الشام الشمالية ، وأورد فى هذا الكتاب دراسة وافيه لمعاده . ومنهم السمعاني وابن الديبى وابن النجار وابن أبى جرادة ورافوت والقوصى والمنذرى والسلفى

(١) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ، من كتاب روزثال : علم التاريخ عند المسلمين ،

ص ٦٣١

(٢) نشرت أجزاء منه فى Recueil des Historiens des Croisades ،

Historiens Orientaux, pp. 695 — 732, Paris 1884

(٣) Claude Cahen, La Syrie du Nord, p. 62, 63

(٤) نشره الدكتور سامى الدعان ، دمشق ١٩٥١

والأنطاكي وعبد السلام بن يوسف وعبد القاهر بن المهنا وابن أبي طى (١) ، وقد أكل هذا الكتاب وذيل عليه العلاء بن خطيب الناصرية بعنوان : « الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب » ، ألخص فيه مقدمة ابن العديم وعالج في تلخيصه لها أسماء حلب ، وبناءها ، وموقعها ، واتساع خطتها ، وفضايلها . ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة فتح العرب لحلب ، ثم وصف مياهها وآثارها التاريخية (٢) .

وعلى هدى بغية الطلب لابن العديم ، أخذت التواليف والمصنفات عن حلب تنوأل واحداً بعد الآخر حتى القرن التاسع الهجري ، ويمكننا أن نذكر من بينها كتاباً ألفه أحمد بن إبراهيم المعروف بسبط ابن العجمي (ت ٨٨٤ هـ) استكمالاً لكتاب ابن خطيب الناصرية بعنوان « كنوز الذهب في تاريخ حلب » ، ويعتبر وصفه لمساجد حلب من الناحية الفنية أوفى وأكمل ما يمكن أن نتوقعه من مؤرخ في العصور الوسطى (٣) . ومنها كتاب « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » لأبي الوليد محمد الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبي (٤) ، وقد أخذ فيه مادته عن عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحلبي المعروف بابن شداد ، كما أخذ عن ابن العديم وغيرهما من مؤرخي حلب ، بل يعتبره الأستاذ كلود كاهن في الواقع مختصراً لكتاب ابن شداد (٥) . ولم يتم ابن الشحنة بالتراجم : وإنما اهتم بالمنشآت الدينية في حلب من مساجد ومدارس وتواريخها . ومن مظاهر الكتابة في التاريخ

C. Cahen p. 37 Note 3, (١)

(٢) روزشال ، ص ٢٣٤

(٣) نفس المرجع .

(٤) نشره الأستاذ يوسف سركيس ، بيروت ١٩٠٩

(٥) Claude Cahen, op. cit. p. 89

المحلى الدينى ، الكتب المخصصة فى فضائل البلدان أو خواصها ، وكان هذا النوع من الكتب يتضمن حتى القرن الخامس الهجرى دراسة مقارنة بين المدينة موضع المفاخرة وبين مدينة أخرى ، ثم تطورت الكتابة فى فضائل المدن إلى دراسة تتضمن مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث والمصادر المعتمدة التى تمتدح موضعاً معيناً مثل : كتاب « فضائل مصر وأخبارها » لأبى الحسن إبراهيم بن زولاف ، و « فضائل الاسكندرية » لأبى على الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ (ت فى منتصف القرن الخامس) ، وكتاب « فضائل دمشق » للربيع أبى الحسن على بن محمد بن شجاع (ب ٤٣٥ هـ) ، وكتاب « فضائل الشام » لإبراهيم بن عبد الرحمن الفزارى .

ج - التاريخ المعاصر والمذكرات :

لاشك أن معاصرة المؤرخ العربى لأحداث زمانه تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والندف ، فالمؤرخ الذى يعيش فى زمن قريب من الزمن الذى دارت فيه الأحداث التى يقوم بتأريخها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصويرها بألوانها الحقيقية ، ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة ، والمعاينة والتحقق يمنحان المؤرخ من الوقوع فى الأخطاء التى وقع فيها من لم يحذ حذوه ، واعتمد على النقول . وقد نجح ابن الأثير فى تصوير الغزوة المغولية على ديار الاسلام ، وأبدع فى وصفه (١) للمغول وما اتصفوا به من وحشية تفوق خيال البشر ، لانه

(١) يعبر ابن الأثير عن وحشية المغول التى شاهده بنفسه أمثلة كثيرة منها بقوله : « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه المادنة استعظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم =

كان ماصراً للأحداث . والمقرىزى نجح أيضاً فى إماطة الثام عن أسباب المجاعة والطاعون الذى تفتى فى مصر فى زمنه (٢) ، فعالج هذه الأسباب فى واقعية تختلف عن معالجته لأسباب الطواعين والمجاعات السابقة على عصره .

وكا أن للماصرة فضل فى الكشف عن الحقيقة التاريخية فإنها تكون فى بعض الأحيان حجاباً يمنع المؤرخ عن تصوير الحقيقة ، إما بسبب الرهبة من الحاكم ، أو رغبة فى الترفد إليه وبجاملته ، فكثيراً ما يعمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوب السلطان الحاكم خوفاً من بطشه أو درءاً لنضبه عليه إذا هو — أى المؤرخ — صرح بهذه العيوب ، وقد يعمد إلى الإسراف فى ذكر عااسنه وامتداحه ، مصانعة له وتزلفاً إليه بغية الظفر بمنصب ، أو بجائزة سنية . ومن أمثلة هذا النوع من المؤرخين المسمودى حين يؤرخ للخليفة العباسى القاهر ، فلقد تملقه ، وتغاضى عن ذكر جرائمه ، ومنهم سبط ابن الجوزى ، الذى برر أخطاء الامير مظفر الدين صاحب إربل ، والتمس له الأعذار .

== رجلا وأوخر أخرى ، فن الذى سهل عليه أن يكتب نى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فباليت أسمى لم تلدن ، وباليتنى مت قبل هذا وكنت ندياً منسياً ... ، فلو قال قائل إن المسلم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بعثلهما لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقارنها ولا ما يذابها ... ، ابن الأثير ، الكامل ، أحداث سنة ٩١٧

(٢) حدثت هذه المجاعة فيما بين عامى بين ٧٩٦ ، ٨٠٨ هـ ، وتوفيت ابنته الوحيدة سنة ٨٠٦ فى الطاعون الذى أعقب إحدى فترات تلك المجاعة ، وقد رأى المقرىزى بين المغرب البصرة أن لهذه المجاعات والطواعين أسباب عميقة الجذور مصدرها سوء تدبير الحكام ومغفلتهم عن النظر فى مصالح الرعية ، وفساد المناسب الدينية ، وولاية الخطط الساطانية بالرشوة بالاضافة إلى غلاء الاطيان ورواج القلوس (راجع المقرىزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٥٧)

وإذا كان المؤرخ المعاصر للأحداث يشغل منصباً إدارياً رسمياً فإن كتابه يكتسب صفة المذكرات ، فهما الدين ابن شداد (ت ٦٢٢ هـ) في النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية يسجل مذكراته عن صلاح الدين منذ أول جهادى الأولى سنة ٥٨٤ هـ ، أى منذ أن قام بخدمة ، ويخصص لها ثلاثة أرباع الكتاب ، ويعتمد في تسجيلها على المشاهدة والمعاينة أو على من يثق به من أهل الثقة ، والعماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) في الفتح القسوى في الفتح القدسى ، وهو كتاب يعتبر سجلاً لما قام به صلاح الدين من حروب من سنة ٥٨٣ حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ .

ومن الكتب التاريخية التي تعتبر مذكرات : كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (١) ، وكتاب النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية لعمارة اليمى (٢) (ت ٥٦٩) . ولكن كتاب الاعتبار يمتاز بغلبة عنصر الفلسفة الشعبية . بينما يمتاز كتاب عمارة بغلبة عنصر الأدب على العنصر التاريخى (٣) ، ومن المذكرات أيضاً كتاب البيان والتبيين ، أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة (٤) ، إذ يصور فيه الأحداث الأخيرة التي سبقت عزله من إمارته ، ونفيه إلى المغرب على أيدي المرابطين . ومنها كتاب أخبار المهدي بن تومرت

(١) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن سرشد 'الكتاف' ، كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور

فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠

(٢) أبو الحسن نجم الدين المعروف بجارة اليمى ، كتاب النكت العصرية في أخبار الوزارة

المصرية ، طبعة هدربرج ، باريس ١٨٩٧

(٣) روزنتال ، ص ٢٢٨

(٤) ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيرى) : مذكرات لأمر عبد الله الزيرى ١١ . مادة

بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليفي برونسال ، القاهرة ١٩٥٥

لابي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق (١) ، وكان رفيقا لابن تومرت ، رافقه في رحلاته ، ووصف مشاهداته معه ، ومعاركه الاولى مع المرابطين ، ومنها مجموعة رسائل ابن الخطيب في بلاد المغرب . سجل فيها مشاهداته في هذه البلاد (٢) .

ومن كتاب المذكرات اليومية القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت ٥٩٦ هـ) كاتب صلاح الدين ، وهي يوميات لها اعتبارها بالنسبة للدراسة التاريخية .

(١) البيذق ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق الأستاذ لبي بروفنسال ،

باريس ١٩٢٨

(٢) ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ،

مجموعة من رسائله ، نشرها وحققها الدكتور أحمد مختار العبادي ، الاسكندرية ١٩٥٨

البنائى الثانى

مصادر التاريخ الاسلامى

الفصل الرابع : المصادر الاثرية .

الفصل الخامس : المصادر المكتوبة .

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

- ١ - الوثائق الرسمية المكتوبة والأوراق البريدية والوقفيات
- ٢ - الكتابات الأثرية أو النقوش
- ٣ - العملات .
- ٤ - الآثار المعمارية .

الفصل الرابع المصادر الأثرية

(١)

الوثائق الرسمية والأوراق البردية والوقفيات

الوثائق الرسمية : تعنى بالوثائق الرسمية المكتوبة المستندات المعاصرة للتاريخ الذى تكتب فيه ، كالمسائل الصادرة من ديوان الانشاء فى الحاضرة إلى الولايات ، أو إلى الأقاليم التابعة للحكومة المركزية ، والمنشورات ، والسجلات ، والأحكام ، والفتاوى ، ونصوص المعاهدات ، والمحالفات وعقود البيع والشراء وغير ذلك ، وهى إما تصدر عن الدواوين أو فروع الإدارة الإسلامية كديوان الإنشاء والمسائل التى كان يتولى تنفيذها أوامر الصادرة من الخلفاء والسلاطين ، كالمسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات والمحالفات ، وإما تكون مجرد اتفاقات فردية كالعقود الشخصية .

أما المستندات الأولى فى أهم أنواع الوثائق الرسمية ، باعتبارها أوثق مصادر التاريخ السياسى الاقتصادى على الإطلاق ، وكانت تحفظ فى ديوان الإنشاء الذى كانت تصدر منه معظم أوراق الدولة الرسمية ، ويحفظ ما يرد منها فى أضياف عليها بطاقت ، وتودع فى مخزن خاص (١) .

وكانت هذه الوثائق تكتب فى عصر الخلفاء الراشدين بلغات الشعوب التى تغلب عليها العرب ، إذ أن العرب تركوا النظم الإدارية والمالية فى البلاد المفتوحة

(١) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ،

على مثل ما كانت عليه قبل الفتوحات العربية الإسلامية دون تعديل أو تغيير (١) ، وأقر عمر نظام الديوان الفارسي ، ويذكر الصولي أن عمر بن الخطاب اتبع في ذلك مشورة الفيرزان (٢) . وكان ديوانا البصرة والكوفة : ديوان الجند والأعطية بالعربية ، وديوان المال بالفارسية ، وكان ديوانا الشام بالعربية والرومية (٣) ، وكان ديوان مصر بالقبطية (٤) ، فتحول ديوان العراق إلى العربية في خلافة الوليد بن عبد الملك على يد أبي الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري مولى بني مرة بن عبيد ، وكان من سبي سجستان . وكان صالح هذا كاتباً لآذان فروخ على الدواوين أيام الحجاج ، فولاه الحجاج على الديوان ، فمعه (٥) . وتحول ديوان الشام الذي كان يتولاه سرجون بن منصور الرومي النصراني إلى العربية في خلافة عبد الملك على يد أبي ثابت سليمان بن سعد وإلى الأردن الذي حل في الديوان محل سرجون الرومي (٦) . أما ديوان مصر فتمتع في خلافة الوليد على يد عبد الله بن عبد الملك ، وإلى مصر سنة ٨٨٧ هـ ، ووليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص (٧) .

(١) برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ، والدكتور محمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ م ٧٧ - عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٣٧ .

(٢) الجبشيارى ، الوزراء والكتاب ، تحقيق الأستاذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى ، القاهرة ١٩٢٨ م ٣٨ - الصولي ، أدب الكتاب ، ص ١٩٠ وما يليها - ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٦١٤ .

(٣) نفسه ، ص ١٩٢ .

(٤) السكندى ، كتاب الولاة وكتاب الفضاء ، بيروت ١٩٠٨ م ٥٩ .

(٥) الصولي ، ص ١٩٢ .

(٦) نفس المصدر .

(٧) السكندى ، ص ٥٩ - المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ١٧٥ (طبعة بيروت) .

ونتج عن حركة التعريب انتشار اللغة العربية والخط العربي ، ونشاط حركة الترجمة من اليونانية والعارسية والهندية ، وأصبحت اللغة العربية على حد قول ابن خلدون ، لسانا حضريا في جميع أمصار الاسلام .

وللأسف لم تصلنا معظم هذه الوثائق الديوانية الهامة عربية أو غير عربية ، مع كثرتها ، ومع تفوق الحضارة الاسلامية على الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى . وترجع ندرة هذه الوثائق إلى عدة عوامل ، منها : —

١ — أن الشريعة الاسلامية التي تمثل النظام الدستوري ، والتي يعول عليها في الاحكام القانونية كانت تعتمد أساسا على القرآن الكريم والحديث ، ولذلك لم يكن من الضروري أن يحتفظ صاحب الحق بالوثائق التي تثبت ماله من حق ، إذ أن هذه الوثائق تفقد قيمتها إذا لم يؤيدها السند الشرعي .

٢ — أن المجتمع الاسلامي كان مجتمعاً يقوم على المساواة أمام الشريعة الاسلامية التي لم تفرق بين مختلف طبقاته في الحقوق ، فلم يكن فيه هيئات كنسية ولا نظام الطوائف والتغابات والافطاع الذي كان سائدا في أوروبا في العصور الوسطى ، وكلها هيئات كانت تحتفظ بالوثائق التي تثبت ما تكتسبه من حقوق (١) .

٣ — أدى قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية وسقوطها وقيام دول أخرى على أنقاضها إلى ضياع الكثير من الوثائق الرسمية للحكومات البائدة ، أو

(١) زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ ، ص ١٥٧ وما يليها - سيده كاشف ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

تلفها بسبب الخصومات السياسية أو المذهبية القائمة بين الدولة الجديدة والدولة السابقة عليها .

٤ — تعرضت الدواوين التي كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية في عصر الدولة الأموية للحرق ، مثل ديوان الكوفة الذي احترق بما كان يضمه من وثائق في سنة ٨٢ هـ ، وديوان الفسطاط الذي تعرض للحريق في عصر الدولة الأموية .

ومع ذلك فقد وصلت إلينا بعض المستندات والوثائق العربية ، وهي بالإضافة إلى قلتها ، يقتصر معظمها على وثائق تتعلق بالإدارة ، بينما يتعلق أغلبها ، وهي الوثائق البردية ، ببعض النظم الاجتماعية والاقتصادية كالجزية ، والخراج ، والتعيين في مناصب الدولة ، والإدارة ، وطرق التجارة ، وأعمال البناء والتمير ، وإنشاء الأساطيل ، وعقود الزواج والبيع والشراء والتنازل .

البرديات : نتضح لنا الأهمية الكبرى للوثائق البردية باعتبارها مصدراً صادقاً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإسلام (١) ، اذ تعرض لموضوعات تتناول جميع مناحي هاتين الحياتين . ولقد تطلعت أنظار الباحثين إلى أهمية هذه البرديات منذ أن نشر المستشرق سلفستردي سابى مقالا عن ورقتين من البردى مكتوبتين باللغة العربية في صحيفة العلماء الصادرة في باريس في سنة ١٩٢٥ . ومنذ

(١) لدراسة الأوراق البردية العربية راجع : زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث ، ص ١٥٨ - ١٦١ ، سيدة كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ص ٢٥ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥٥ - مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٨٥ - ٨٧ ، الوليد بن عبد الملك ، سلسلة أهل المغرب ، ص ٤ - ٦

ذلك الحين ازداد العثور على أوراق بردية بالعربية واليونانية والقبطية في إقليم الفيوم بوجه خاص ، وفي أخميم وسقارة والأشمونين وميت رهينة وإدفو وكوم أشقار بمحافظة أسيوط . وتتضمن هذه الوثائق البردية أخبارا هامة عن حالة المجتمع المصرى الاسلامى والادارة في عصر الولاة ، وخاصة في عصر قره بن شويك (٩٠-٩٦هـ) .

ولقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغاً بدراسة هذه الوثائق باعتبارها مستندات معاصرة للأحداث التى تسجلها ومحايدة في نفس الوقت ، بالإضافة الى قيمتها العظمى في تصوير النظم الادارية والمالية والاجتماعية للعصر الذى كتبت فيه ، هذا الى أنها تحتفظ بقيمة تاريخية أثرية لا تقل عن قيمة التحف الأثرية التى يسفر عنها البحث الأثرى ، ونذكر من بين المشتغلين من المستشرقين بأوراق البردى العربية: أدولف جروهمان (١) ، ومرجليوث (٢) . وأمارى (٣) ، ودى ساسى (٤) .

A. Grohmann, *Corpus Papyrorum Raineri Archiducis* (١)
Austrioe, Wien, 1924, Grohmann, *Arabische Papyri im Oriental
Institute zu Prag* (Arch Orient.) t. x, 1938.

Margoliouth, *Catalogue of arabic Papyri in the John* (٢)
Rylands library, Manchester, 1933.

Amari, *I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino*, (٣)
Florence, 1863.

De Sacy, *Pièces diplomatiques tirées des Archives* (٤)
de Gênes (dans *Notices et Extraits des Manuscrits de la Bib-
liothèque Nationale*, t. XI).

وآبل (١)، وهوفاير (١)، ويكر (٣)، وييل (١)، وما سبيرو (٥)، وآبوت (١).
ولكن المستشرق جروهمان — دونهم جميعاً — كرس جهوده لدراسة هذا النوع
من الوثائق، بحيث أصبح بحق المتخصص الوحيد للبرديات العربية، وقد أسهم
ببحوث كثيرة عن أوراق البردي نذكر منها ما يلي :

A. Grohmann, Aperçu de papyrologie arabe, Etudes, — ١
de papyrologie, (Société Royale égyptienne de papyrologie), t. 1.
Cairo, 1932

٢ — وأصدرت دار الكتب المصرية أربع محاضرات له ألقاها بقاعة الجمعية
الجغرافية المصرية بالقاهرة في أبريل سنة ١٩٣٠، ترجمها إلى العربية الأستاذ
توفيق أسكاروس، القاهرة ١٩٣٠.

Abel, Agyptische Urkunden ans den kgl. Muscen (١)
zu Berlin. Arabische Urkunden, Berlin, 1895-1904.

Hofmeier, Beiträge zur arabischen Papyrusforschung (٢)
(in der Islam), t. IV, 1913.

Becker, Arabische Papyri des Aphrodito fundes (in (٣)
Zeitschrift. für Assyriologie und verwandte Gebiete, t XX, 1907).

Bell, translations of the greeck Aphrodito Papyri in (٤)
the British Muscum, in (Der Islâm) t. II, 1911.

Maspero, Etudes Sur les papyrus d' Aphrodito (٥)
(dans Bulletin de l'Institut Français d' Archéologie Orientale,
t. VI-VII.

Abbott, The Kurrah-Papyri from Ahrodito in the (٦)
Oriental Institute, Chicago, 1938.

A Grohmann, Arabic Papyri in Egyptian Library, 3 vols — ٣
Cairo, 1934, 1936, 1938,

وقد تولى الأستاذ جروهمان بنفسه ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن ، بعنوان « أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية » ، السفر الأول ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

٤ — وأصدر الأستاذ جروهمان المجلد الرابع من مجموعة دراسته لأوراق البردي بدار الكتب المصرية في سنة ١٩٥٢ ، وقام بترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن ، وصدرت الترجمة بالقاهرة في سنة ١٩٦٧ .

الوقفيات : الوقف نظام يعتمد به حفظ العقار من التبدد ، وتخصيص دخله لأسرة مؤسس الوقف حسب الألفية التي يحددها في الوثيقة ، أو تخصيص هذا الدخل لمؤسسة دينية (١) . ويرجع تاريخ الوقف إلى العصر الأموي ، ثم انتشر بعد ذلك سريعا لعاملين : عامل يرجع إلى التقوى ، لسياسة المساجد والقنوات والمشاريع الخاصة بالسقايات ، والمدارس ، والبيمارستانات ، وعامل يرجع إلى إشباع حاجة اقتصادية (٢) .

والوقفيات وثائق لها أهميتها الخاصة دون غيرها من الوثائق السياسية ، لأننا نغف منها على عقود البيع والشراء والاستبدال ، وبيان الأبنية الموقوفة أى التي يخصص لها وقف معين ، ووثائق الوقف على هذا النحو من أهم المصادر التي يجب

(١) جودفروا ديمومين ، النظام الإسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر والدكتور صالح الشماخ ، بيروت ١٩٦١ ، ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٩ .

الرجوع إليها عند دراسة الآثار المعمارية والمنشآت المختلفة في العصر الإسلامى ، وأكثرها أصالة ، لأن بعض هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الحقائق والبيانات عن هذه المنشآت ، كما أن هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الاصطلاحات السائدة في العصر الإسلامى معمارية أو قانونية أو إدارية (١) . ولحسن الحظ يحتفظ الأرشيف التاريخى بوزارة الأوقاف ومكتبة الأحوال الشخصية بالقاهرة بعدد كبير من هذه الوثائق ، ومن أهمها الوقفيات الخاصة بالسلطات قايتباى (٢) .

ولقد كان للأجاس أو الأوقاف ديوان خاص في العصر الأموى كان يتولاه قاض ينظر فيها خوفا من ضياعها ، والحيلولة دون تجزئة الوقف بسبب الإرث . وأقدم الوقفيات التى وصلت إلينا ، وقيية من العصر الإخشيدي ، حفظ لنا المقرئى نصها في كتابه الخطط عندما تحدث عن بئر الوطاويط (٣) ، وقد عثر على ثلاثة سطور منها منقوشة في لوحة حجرية بحى الصليبة ، بالقرب من جامع أحمد بن طولون ، وقد ضاع معظم اللوحة (٤) .

• • •

-
- (١) سيدة كاشف ، ص ٨٩ - عبد الطيف ابراهيم ، وثيقة السلطان قايتباى ، معاصرة في المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٩٠ .
 (٢) عبد الطيف ابراهيم ، المعاصرة السابقة ، ص ٣٩٠ حاشية ١ .
 (٣) سيدة كاشف ، ص ٩٠ .

Wiet (G.), *Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte*, (١)
 II, Cairo, 1930, pp. 91-94.

أمثلة من الوثائق الرسمية

أولاً - من رسالة موجهة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك الفونسو ملك قشتالة (نقلًا من كتاب مجموعة الوثائق السياسية العربية بمحفوظات ملكة أرغون ، رقم ١٤٦) .

(بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء حضرة الملك الجليل المهام الأسد الباسل الخطير الضرعام العالم في ملته العادل في مملكته ، دون الفواش (١) ، صاحب قشتالة وطليطلة وإشبيلية وقرطبة وجيان ، نصر الدين المسيحية ، عضد الملة النصرانية ، ذخر الطائفة الصليبية ، صديق الملوك والسلاطين ، ولا زالت مودته ضافية للخل ، صافية موارد السعد ، التي يقصر دونها الأمل ، مقبلاً من المحافظة بواد وفاء تشيد منها بمالكة على ما هو أعلى من الأصل ، مبتدئاً من الصفاء بما يؤثّر قواعد اتباع سيرة أسلافنا وأسلافه الأول . صدرت هذه المفاوضة متحملة إليه تحية أرجة ، وأثنية بمودات القلوب بمنزجة ، ومحبة تترجم عن مكنونها ألسنة الأقلام اللهجة ، وتوضح لعله الكريم ورود كتابه الجليل على يد رسوله الفارس المحتشم الجليل الخطير المبجل ابن رنارد ريقارد (٢) ، وقبلناه بالإجلال والإكرام ، ورفور العناية والاحترام ، وابتهجنا بما اشتمل عليه من استقرار قواعد ملكه ، وانتظام الأحوال على كل ما فيه مسرة نفسه ونفوذ كلمته ، ووافق حضور رسله توجهنّا للفزاة والجهاد وطلب التتار الذين لم تزل

(١) الرسالة موجهة خطأً إلى الفونسو ، بدلاً من فرناندو الرابع الذي تولى عرش

قشتالة سنة ١٢٩٥ .

(٢) يقصد به الفارس إن برنارد ريقارد .

رقابهم لسيوفنا من الاغمار ، فرسمنا بأن يقيم رسول الملك أبقاه الله ، المشار إليه ، ومن معه بأبوابنا العالية ، في إنعامنا وإحساننا إلى أن يعود ركابنا من الغزاة المبرورة ، ونستحضرهم ، ونسمع رسالتهم ، ونصفي إلى مضمون مشافهتهم المباركة ، ونأمر بقضاء أشغالهم ، ونعيدهم إلى الملك أبقاه الله بجوابه الكريم ، ونجهز معهم رسلنا إلى حضرة الملك أطال الله بقاءه ليتحقق ماله في خواطرنا من المكاة الجليلة والمزلة الرفيعة . ويتأكد ما بيننا من الصداقة والمحبة والمودة الموروثة عن أسلافنا وأسلافه من الملوك الماضين ، سقى الله عهدهم ، ورسمنا للنواب بالأبواب العالية باعتماد الوصية الثامنة برسل الملك المشار إليهم ، وإنزالهم في أجل مكان ، وتعاهدهم بالإحسان والإكرام والاحترام إلى أن نعود . وكان قد اتفق من أمر التتار المخذولين أنهم طرّفوا أطراف مملكتنا الشامية (١) ، وتطرقوا إليها ، وعساكرنا في ذلك الوقت غير مجتمعة ، ولما حلت ميسرة من كان حاضرا من عساكرنا المنصورة على المخذولين كسرتهم كسرة شديدة ، وقتلت منهم نحو عشرين ألف فارس ، ولم يقتل من أصحابنا قدر مائة فارس ، لكن كان كثير من عساكرنا متفرقا لم يجتمع بعد ، فافتضى الحال تأخيرهم في ذلك الوقت . ولما كان الآن ، فإننا رسمنا بجمع الجيوش المنصورة ، ومضاعفة أعدادها ، وفتحنا خزائن الأموال ، وأنفقنا النفقات الجزيلة في العساكر المنصورة بحيث عرضنا في مايتى

(١) يشير الناصر هنا إلى الهزيمة التي لقيها المماليك في أوائل عام ٧٠٠ هـ في موقعة الخازندار على أيدي جيوش التتار بقيادة غازان خان ، وفي هذه الموقعة انهزمت ميسرة عساكر الناصر وتمكنت ميسرة الجيش المملوكي من مواجهة التتار فقتلهم ، ولكنها اضطرت في النهاية إلى التراجع بسبب هزيمة الميسنة .

ألف فارس . وتجهزنا للركوب في طلب النار الخذولين (١) ، وحين تمحققوا النار عزمنا في قسدهم وركوب جيوشنا المنصورة في طلبهم ، ولوا الادبار ، وركنوا الى الفرار ، وانزهوا لا يلاوى بعضهم على بعض . وقد ركبنا الآن جيوشنا المنصورة لإدراكهم ولحاقهم أين كانوا واستئصال شأفتهم ، وتطهير الأرض منهم بالسكينة ، بقوة الله تعالى وعونه . ولما عزمنا الآن على الركوب في طلب العدو الخذول ، استحضرننا رسل حضرة الملك أطال الله بقاءه إلى بين أيدينا ، وأقبلنا عليهم ، ووقفنا على مضمون كتابه الجليل ، وعلنا مضمون ما معهم من المشافهات والرسائل ، وتحققنا ما اشتملت عليه من عاقبة الملك أبقاه الله تعالى على المودات السالفة ، والعهود القديمة ، وما تؤثره من تأكيد الصداقة ، وتجدد المحبة ، وإدامة المراسلات ، بما يضاعف الصلابة والصفاء ، ويوالى المحبة والوفاء ، وقابلنا ذلك بأكل قبول ، فإننا مازلنا نكافئ المودات بأمثالها ، ونقابل من تمسك بمحبتنا من الوفاء بكل مارجاء منا ، وقد استقرت هذه القواعد من الالفة والصداقة على ما بسر الخواطر وعلنا من مضمون كتابه ومشافهته ما قصده في معنى التجار والمنمردين من بلاده بالضايغ ، وما سألهم من أن يكونوا يترددون من بلاده إلى بلادنا ، ومن بلادنا إلى بلاده آمنين مطمأنين . وأجبناه إلى ما قصده في ذلك ورسمنا بأنه أى من حضر من بلاده إلى بلادنا من التجار وغيرهم يحضروا آمنين مطمأنين ، مكرمين محترمين ، يبيعون بضائعهم على ما يختارون ، ويتعوضون بما يختارون ، ويعودون إلى أمما كنهم سالمين محفوظين ، وتقدمنا إلى نوابنا بذلك ،

(١) يشير إلى حمله الثانية التي وجهها ضد النار ، وهي الحملة التي انتهت باسترداد

الناصر لدمشق بعد أن انتصرت جيوشه على جيوش غازان في موقعة مرج الصفر في رمضان

وأن يعرفوا النجار أن بلاد الملك قد صارت بلادنا ، وبلادنا بلاده ، وقد علم كل أحد حال التجار المترددين الى مملكتنا الشريفة من البحر وغيره ، وما يعاملون به من الكرامة والاحترام ونشر المودة والاحسان ، والأمن ، وأنهم يترددون آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم . وأما ما تضمنته المشافهة التي على يد رسوله الفارس المذكور في معنى من يختار الحضور من بلاده لزيارة القدس الشريف ، وما سأله من تمكينهم من ذلك ، وأن يكونوا آمنين مطمئنين ، فقد علمنا ذلك وأجبناه إلى ما قصده من هذا الأمر . ورسنا بأنه أى من اختار الحضور من بلاده للزيارة فيحضره آمنين مطمئنين ، ورسنا الثواب بالقدس الشريف وغيره بإعطاء الوصية التامة بكل من يحضر من بلاده لذلك ، وأن يكونوا مكرمين محترمين في حالتهم ورودهم وصدورهم ، وعند ركوننا الآن في طلب العدو المخذول ، أعدنا رساله وهم الفارس المحتشم أنيرناد ريقاد ومن معه ، وجهازهم رسلنا ، وهم المجلسان الساميان الأمير الأجل الكبير ، الأوحده ، الأكل ، الفضل ، النصير ، المحي ، المختار ، المقدم ، فخر الدين ، والقاضي الأجل ، الصدر ، الرئيس الماضل ، الكامل ، الأوحده ، المرتضى ، المختار ، حميد الدين ، بجدا الاسلام ، شرفا الأمراء والقضاة ، عدنا الملوك والسلاطين ، أعزهما الله تعالى ، وحلناهما من المشافهات الشريفة ما يعيدانه على حضرة الملك ، وقد سيرنا لحضرة الملك على سبيل المودة والصداقة من خزانتنا العالية من القماش ، ما تشهد به الورقة المسيرة طيهما ، ليعلم أن المحبة بيننا تأكدت ، والمودة تقرر ، وأنا قد أجبنا سؤاله إلى ما طلبه في العصبه والمودة ، فخط عليه بذلك ، ويواصل بكتبه وأخباره ، والله تعالى يحرس من الغير مهجته ويديم سروره وبهجته ، ان شاء الله تعالى .

كتب في خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وتسعين وستماية حسب المرسوم الشريف (١) . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه . حسبنا الله ونعم الوكيل .

ثانياً — عقد زواج مؤرخ في ١٥ جمادى الأولى سنة ٤١٩ هـ

(نقل عن كتاب ، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أصدق صلاح بن موسى الشعيرى كريمة ابنة على بن رجا الطحان ، عندما خطبها إلى نفسها وهي يومئذ امرأة أيم بكر بالغ في صحة العقل والبدن جايزة الأمر لها وعليها ، وأبدلها بالصدق العاجل والآجل ديتارين وازنين جيديين ، أقدعها منها دينار واحد مقبوضاً عند عقده نكاحها ، قبضته منه تاماً وافياً ، وأبرأه من ذلك براءة قبض واستيفاء ، وعلى أن الدينار الآخر الذي هو بقية صداقها مؤخر لها عليه إلى انقضى سنة واحدة ، وأولها في النصف من جمادى الأولى من سنة تسع عشر وأربعمائة ، وعليه أن يتق الله الكريم فيها ويحسن صحبتها ومماشرتها ، ولا يضارها كما أمر الله عز وجل به في كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الامساك بمعروف أو التدريح بإحسان به الظاهرين أبا مولانا أمير المؤمنين الظاهر لأعزاز دين الله ..) (٢)

(١) Los Documentos arabes diplomaticos del archivo de la

Corona de Aragon, ed. por Maximiliano Alarcon Y Santon,

Madrid, 1940, p. 344-346

(٢) جروسان ، أوراق البردى العربية ص ٩٢ ، ٩٨

ثالثا — عقد اتفاق خاص بحائط مملوك لشخصين في سنة ٢٧٤ هـ

(نقلا عن كتاب : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)
(بسم الله الرحمن الرحيم . شهد الشهود المسمون في هذا الكتاب على إقرار
الحسين بن صالح الزجاج وقامة ابنه إدريس ، الساكني مدينة أشمون أن الحائط
الذي بحرى منزل الحسين بن صالح وقبلى منزل قامة بنت إدريس فيما بينهما بنصفين
ليس لاحد منهما أن يمنع صاحبه من وضع خشبة أو جريدة على هذا الحائط ،
ولهما . . . كل حقه ومتى أصاب هذا الحائط عدم أو استمر فعلى الحسين بن
صالح بناءه ، وترمه من ماله ، وخدر شهد على ذلك سليمان بن داود المؤذن على
إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا الكتاب . وكتب في ذى الحجة سنة أربع وسبعين
ومائتين ، شهد فلان بن فلان على إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا الكتاب . وكتب
شهادته في ذى الحجة من سنة أربع وسبعين ومائتين . شهد عثمان بن . . . على
إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا الكتاب ، وكتب شهادته في ذى الحجة سنة أربع
وسبعين ومائتين . شهد . . . بن جوهر على إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا
الكتاب وكتب شهادته في ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين . . .) (١)

رابعا — رسالة من قرة بن شريك وإلى مصر إلى بسيل صاحب أشقوه سنة ٩٠ هـ

(نقلا عن كتاب Arabic Papyri ، الجزء الثالث)
(بسم الله الرحمن الرحيم من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه ، فإنى
أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك قد علمت الذى كتبت إليك به من جمع

المال ، والذي قد حضر من عطاء الجند وعبائهم وغزو الناس ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ في جمع المال ، فإن أهل الأرض قد حموا منذ أشهر ، ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالاول فالاول ، ولا أعرفك ما حبستنا بما قبلك ، فإن أهل الأرض قد فرغوا من الحراثة وعلوا ما عليهم ، وصلحت أفراطهم لبيع ما ازدادوا منها ، فمجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم إلى المال قد أمرت للجنه بمطائهم إن شاء الله ، فلا تكونن آخر العمال بمشا بما قبله ، ولا ألو منك في ذلك ، والسلام على من اتبع الهدى ، وكتب يزيد يوم الجمعة (١)

خامسا- رسالة من قرة بن شريك الى بسيل صاحب أشقوه

يطلب منه أن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جستال كورته (٢) ،
وال موازيت القرى (٣) ، سنة ٩٠ / ٩١ هـ

(نقلا من : Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(. . .) الأجل أعاقبه أشد العقوبة ، وأغرمه أثقل الغرامة ، ولا أخال ذلك إلا قد كان بلغك وبلغ أهل كورتك ، ولعمري حال الأجل منذ أكثر من شهرين

(١) وثيقة رقم ١٤٨ ، ص ١١-١٣

(٢) المشرف على مالية الكورة أي مندوب ديوان الحراج والأموال (راجع : سيده كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ص ٢٥) ، والقدنظة مشتقة من الكلمة البيزنطية أوجستاليوس

(٣) رؤساء أو معاين القرى ، والكلمة مشتقة من الكلمة البيزنطية ميزوتروس (نفس المرجع ، ص ٢٥)

وقد كتبت إليك قبل كتابي هذا آمرك أن تعجل إلينا بما قد جمعت من جزية كورتك ، وأردت أن أرفق بهم وأنجسوز عنهم بما قد قبضت منهم على نحو الذى كانوا يؤدون فى بيت المال كل سنة ، فلا أظن كتابي هذا قادما عليك إن كان فيك خير إلا وقد بعثت بالذى قد جمعت من جزية كورتك . فإذا جاءك كتابي هذا فلا أعرفن ما استوفيت من الجزية بعد الذى ترسل بما قد جمعت من الجزية ديناراً ولا نصفاً ولا ثلثاً إلا ما كان على وزن بيت المال ، ونفذت فى ذلك إلى جسطال كورتك وإلى موازيت القري ، فإنك (...) (١)

سادساً — عقد بيع دار بطليطة مؤرخ فى ابريل ١٠٩٣ م

(نقلا من كتاب Los Mozarabes de Toledo (٢))

(اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار الذى له بحومة رجة القشالى ، حد الدار فى الشرق : دار خطف بن جواد ، وفى الغرب دار جليبارت الفرنجى ، وفى القبلة دار أبى الحسن بن زكرى ، وفى الجوف دار مفرج بن عثمان ، بثمن عدته اربعون ديناراً من الدينارات الجارية بطليطة حين هذا التاريخ فى شهر ابريل الكاين فى سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر وشهود الاصل فيه وفرج بن عبد الله ، ومسمود زرقون شهد وكتب ، عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك ، وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره

(١) وثيقة رقم ١٤٩ ، ص ١٥ — ١٧

(٢) Angel Gonzalez Palencia, Los Mozarabes de Toledo, en

los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid 1926, p.3

وعيشون بن يحيى شاهد ، هذيل حكم شاهد وكتب ، زكري بن عثمان شاهد وكتب عنه ، وبالأعجمي يشتش فليش بطرة تشتش. صحت هذه النسخة في العشر الأوسط من شهر شتبر سنة ثلاثين ومائتين وألف للصفري يوان بن يليان السفلى شهد ، ديوانش بن مقابيل بن عبد العزيز المشناري ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس) .

سابعاً — نص وقفية جامع طينال بطرابلس الشام

(نقلا عن Répertoire Chronoloigque d'Epigraphie Arabe (١))

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا المعز الأشرقي العالی المولوى الكافلى السيدى المالكى المجدومى السيمى طينال المالكى الناصرى ، كافر الممالك الشريفة الطرابلسية ببلغه الله آماله ، وتقبل فى الصالحات أعماله ، ووقف عليه لمصالحه المعينة فى كتاب وقفه جميع البستان المعروف بانحوى بظاهر طرابلس ، وجميع الخانوتين الملاصقين لبابه ، وجميع البستان المعروف قديما بالطنطاش بسقى طرابلس ، وجميع الخانوتين الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمام المعروف بأسندمر ، وهى الآن ملك الواقف ، وجميع ثلث الخان بدار الوكالة القديمة ، وجميع القرية المعروفة بأزرورية من

R. G. E. A. , t. XV, p. 60 (١)

السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٧ ،

عمل عرقا بيجون طرابلس ، وشرط أنه مهما فضل من ربيع هذا الوقف عن أرباب
وظائفه ومصالحه المعينة في كتاب يصرف للفقراء والمساكين المقيمين بطرابلس
والواردين إليها حسب ما يراه الناظر في ذلك من غير أن يرتب لأحد مرتبا في
كل شهر أو كل يوم ، ومن غير ذلك أو بدله ، أو رتب شيئا مستمرا ، كانت
عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .

(٢)

الكتابات الأثرية أو النقوش

النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام ، والاسلامى بوجه خاص ، لأن أكثر ما وصل إلينا عن العصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام فى المصادر العربية المدونة لا يبدو أن يكون روايات يغلب عليها الطابع الاسطورى ، وتختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والنقوش الكتابية لذلك تلى الوثائق السياسية فى الاهمية التاريخية ، لأن الكتابات الأثرية بما تتضمنه من أخبار تعد مادة أساسية للتاريخ الاسلامى والحضارة . ولا شك أن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار وناق أصيلة يستند عليها المؤرخ فى تأريخه للحوادث ، فهى كتابات محايدة غير مفرضة ، وهى كذلك معاصرة للأحداث التى تسجلها ، لم تشوهها الروايات والنقول (١) ، ولذلك فطن الباحثون فى التاريخ الاسلامى حديثا إلى أن فى الإمكان تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية التى وقع فيها بعض الاخباريين والمؤرخين فى العصر الاسلامى ، وإمطة اللثام عن حقائق تاريخية جديدة كانت عافية عنهم ، عن طريق النقوش الكتابية التى وصلت إلينا ، وما أكثر ما يجمل منها على الآثار . فالنقوش الكتابية التى تدور حول قباب المحراب والبهو بجمامى

(١) ذكر محمد حسن ، دواست فى مناهج البحث ، والمراجع فى التاريخ الإسلامى ،

ص ١٦٢ - سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٦٣ .

من المعروف أن النقوش الأثرية تثبت حقائق ثابتة وتضمن توافقا صحيحة وأعلاما يقل فيها التحريف ، بينما كان الكتاب والمؤلفون كثيرا ما ينحرفون عن ذكر الحقائق لعوامل عضوية أو عاطفية ، وقد ينحيز المؤلف للأسرة التى يكتب فى ظلها فأو قد يتمصب لمذهبها .

القيروان والزيتونة بترس ، والكتابات التي نطالعها على واجهة المحراب وحول قاعدة قبة بجامع قرطبة ، وآلاف النقوش المسجلة على آثار القاهرة المعزية والإيربية والملوكية ، وعلى الأسوار وأبواب القلاع ومدخل الفنادق والقصور في مصر والشام والعراق والمغرب ، تتضمن تراثا ثابته لهذه المنشآت ، كما تتضمن في كثير من الأحيان أسماء منشئها من الأمراء والحكام والملاطين والخلفاء . وفي بعض الأحيان أسماء العرفاء والمهندسين والمزوقين الذين أشرفوا على إنشائها وتزيينها ، وهي أمور غفلت الوثائق التاريخية عن ذكرها على هذا النحو من الدقة .

ولا تقتصر أهمية الكتابات الأثرية على النواحي السياسية لحسب ، بل تتجلى أهميتها في النواحي الدينية والاقتصادية أيضا : فصلاح الدين قضى على الدولة الفاطمية وقضى في نفس الوقت على مذهبها الشيعي الإسماعيلي في مصر (٢) ،

(١) عثر على كتابة نسخية في لوحة على باب الفرافة (برج الإمام حاليا) من أبواب قلعة صلاح الدين نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والسور المتصل به الملك الناصر جامع كلمة الإيمان ، فامع عبدة الصليب صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين أبو المنظر يوسف بن أيوب بن شادي ، بحسب الدولة أمير المؤمنين في شهور سنة ست وسبعين وخمسة)

Répertoire Chronologique d'Epigraphie arabe, t. IX, p.108
وعلى باب المدرج من أبواب القلعة نقتل تأسيي نصه (بسم الله أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمروسة القاهرة بالزمنة الى جمعت قضا ونحسنا وسنة على من التجي الى ظل ملكه ، ونحسنا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المنظر يوسف بن أيوب ، بحسب دولة أمير المؤمنين ، في نظر أخيه وول عهده الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ، خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ، ومعين دوله قراقوش بن عبد الله الملك الناصر في سنة تسع وسبعين وخمس مائة) Répertoire, p.123 .

ويجمل ذلك في كثير من النقوش . ومن الساحة الاقتصادية ، كان سلاطين المماليك يسجلون مراسيمهم الخاصة بإلغاء بعض الضرائب أو تخفيف بعض المكوس ، على جدران الآثار (١) .

وعلى الرغم من أن الكتابات الأثرية العربية ينقصها التنوع ، ويكثر فيها التكرار ، فإنها تعتبر مصدرا هاما للباحث في التاريخ الاسلامي ، ولذلك اهتم المستشرقون بالنقوش العربية اهتماما خاصا ، فصنفوا فيها الكتب والتوايف ، واهتموا بجمعها وترتيبها . ومن أشهر المشتغلين بالكتابات الأثرية العربية من المستشرقين الاساتذة ماكس فان برشم (٢) ، وادمون فانيسو (٣) ، واثنين

Sobernheim, Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, (١)

1909, pp. 62 - 69 - السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، ص ١٢٢ ، ص ١٧٧ .

Max Van Berchem, Matériaux pour un Corpus (٢)

Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, dans M. M. A. F. C. , t. 19. 1894,

..... : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. II, Syrie du Sud, 1922

..... : Matériaux pour un Corpus, t. II, Syrie du Nord.

..... : Matériaux pour un Corpus, t. III, Asie Mineure.

Max Van Berchem & Edmond Fatio, Voyage en (٣)

Syrie, 2 vols , dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37, 1^{er} Caire, 1914 - 1915.

کومب (۱)، وجاستون فييت (۲)، وليبي بروفنسال (۳)، وجان سوفاجيه ،
وسورنهایم (۴)، وامادور دی لوس ریوس (۵)، وفيل (۶)،

Combe, Sauvaget, Wiet : Répertoire Chronologique (۱)
d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931 - 1944.

Wiet, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum (۲)
Arabicarum, l'Egypte, vol. II, Mémoires I. F. A. O., t.
52, 1930.

Wiet, une inscription d'un prince de Tripoli de la dynastie des
Banu Ammar, dans Mémorial H. Basset, par l'Institut de H.E.M.,
t. XVIII, Paris 1928 .

Lévi - Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne, (۳)
Paris, 1931.

Sobernheim (Moritz) : Corpus Inscriptionum Arabicarum, (۴)
t. XXV, 1909

Amador de los Rios, Inscripciones árabes de Sevilla, (۵)
Madrid, 1875.

Amador de los Rios Inscripciones árabes de cordoba, Madrid, 1879

Amador de los Rios:Epigrafia árabe :Capiteles con inscripciones
descubiertos en Cordoba, Revista de Archivos, II, 1898

Weill, les bois à Epigraphes jusqu' à l'époque (۶)

Mamelouke, Catalogue générale, de Musée arabe du Caire,
2 vols., 1931, 1936.

وبل (١) ، ومانويل أوكاية (٢) .

-
- A. Bell, Inscriptions arabes de Fès, J. A. 1917—1919. (١)
M. Ocaña Jimenez, La inscripcion Fundacional de la (٢)
Mezquita de Ibn Adabbas en Sevilla, al-Andalus, vol. XII,
fase. I, 1947.

(٢)

العملات أو النميات أو المسكوكات

السكة على حد قول ابن خلدون الختم على الدينارين والندراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقروبة . ويضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدينارين بوزن معين صحيح يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا ، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا . ولفظ السكة كان اسما للطابع ، وهي الحديدية المتخذة لذلك ، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدينارين والدراهم ، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته ، وهي الوظيفة ، فصار علما عليها في عرف الدول ، وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها الفش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ، (١) . وقد أشار الماوردي في الأحكام السلطانية إلى أن السكة ه الحديدية التي يطبع عليها الدرهم ، ولذلك سميت الدرهم المضروبة سكة ، (٢) . وفرد الميرزى في كتاب الأوزان والأكيال الشرعية السكة بأن ه الدينار والدرهم المضروبين سمي كل منهما سكة لأنه طبع بالحديد الملعبة ، ويقال لها السكة ، (٣) . وأول من سك العملات العربية الإسلامية الخالصة

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٦٣٩

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ص ١٤٠

(٣) الميرزى ، الأوزان والأكيال الشرعية ، ندرة نيشن ، Tychem ، روستوك

هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ هـ ، الذي رأى في ضرب عملات عربية إسلامية ضرورة لازمة لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي للدولة العربية ، ومن الملاحظ أن عمر عبد الملك شهد ظاهرة جديدة هي صبغ الدولة بصبغة قومية عربية في جميع الشؤون الإدارية والمالية ، فإنه يرجع الفضل الأعظم في تعريب الدواوين ، وإليه يرجع الفضل أيضا في تعريب السكة الإسلامية ، وكان ذلك ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة الاستمرار التي أعقبت مرحلة الفتوحات (١) .

وتعتبر دراسة العملات الإسلامية أساسا هاما لدراسة التاريخ السياسي والاقتصادي للدولة الإسلامية ، فالكتابات المنقوشة على السكة تتضمن أسماء الخلفاء والسلطين وألقابهم ، وتاريخ الضرب ، وبعض عبارات خاصة بالمذهب الديني السائد ، والمدينة التي ضربت فيها العملة ، ولذلك فإن العملات سجل للألقاب والنوع التي توضح كثيرا من الأحداث السياسية ، وتثبت أو تنفي تبعية الولاية والحكام للخلافة ، كذلك تفيد دراسة العملات في تحقيق كثير من الحوادث السياسية المتعلقة بفتح البلاد عنوة أو صلحا وذلك عن طريق ظهور اسم الخليفة على سكة لإقليم من الأقاليم ، فإن الدراسين للعملات يطالعون أسماء حكام وأسرار حاكمة قد تسد فراغا في جداول الأسرار الحاكمة في الشرق (٢) ، وتفيدنا العبارات الدينية المنقوشة على وجه العملة أو على ظهرها في بيان المذهب الديني للأسرة الحاكمة . وكثيرا ما تساهم النقوش المسجلة على العملات في تصحيح بعض

(١) عبد الرحمن فهمي ، فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف الفن الإسلامي ،

القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢

الأخطاء التاريخية المعروفة ومثل ذلك أن بعض المصادر العربية تؤكد على أن إدريس ابن إدريس بن عبدالله بن حسن هو الذى أسس مدينة فاس فى سنة ١٩٢ هـ ، فى حين أن مصادر أخرى تؤكد أن فاس من بناء إدريس الأول بن عبدالله ، وأنه أسسها فى سنة ١٧٢ هـ . وقد كان ذلك الاختلاف فى تأريخ إنشاء فاس سببا فى حيرة المؤرخين المحدثين ، إلى أن عثر على عملات ضربت فى مدينة فاس فى سنتي ١٨٥ ، ١٨٩ هـ الأمر الذى يقطع بصحة النظرية القائلة بإنشاء فاس فى سنة ١٧٢ هـ ، ويفسر الأستاذ لبنى بروفسال كيف استقر التاريخ الخاطئ لبناء فاس فى سنة ١٩٢ هـ وحل محل التاريخ الحقيقى الصحيح وهو سنة ١٧٢ هـ بأنه من المحقق وقوع لبس أساسه يرجع إلى خطأ يسير فى القراءة بين رقمي سبعين وتسعين ، وهو خطأ أدى الى تحريف سنة ١٧٢ إلى ١٩٢ هـ (١) .

أما من الناحية الاقتصادية فإن العملات طالما كانت تستخدم فى التداول الداخلى أى فى التجارة الإقليمية ، وطالما كانت مادتها ووزنها مختلفا فى العصور المختلفة حسب ما يصدر من قوانين مالية ، ففى الإمكان معرفة الحالة الاقتصادية للعصر الذى كانت تستعمل فيه هذه العملات للتداول الداخلى (٢) ، وإلى أربع النقد الذى كان يشهد الإقبال عليه فى العصور المختلفة وأسبابه الاقتصادية . ثم إن العثور على عدد من العملات المضروبة فى عصر ما ، فى بلاد مختلفة إسلامية وغير إسلامية ، يشير إلى الآفاق التى كانت تمتد إليها التجارة الإسلامية فى هذا العصر .

(١) لبنى بروفسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) راجع مقدمة : المغريزى ، إغاة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ، والدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧ .

ولقد وصلتنا ، لحسن الحظ ، بالاضافة إلى العملات العديدة المختلفة التي كشف عنها البعث الأثرى في البلاد الاسلامية ، كتب خاصة بالنقود الاسلامية . تعتبر مصادر هامة للباحثين في علم النميات ، وأهم هذه الكتب ما يلي :

- كتاب « الخراج » ، لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ) (١) ،
وكتاب « فتوح البلدان » ، البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) (٢) ، وكتاب « الأحكام
السلطانية » ، الباوردى (٣) (ت ٤٥٠ هـ) ، وكتاب « قوانين الدواوين » ، للأسعد
ابن عمار (ت ٦٠٦ هـ) ، (٤) وكتاب « الحيوان » ، للدميرى (٥) (ت ٨٠٨ هـ) ،
وكتاب « المحاسن والمساوى » ، للبيهقى (٦) (ت ٤٥٨ هـ) ، ومقدمة ابن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ) ، وكتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، لتقى الدين المقرئى (٧)
(ت ٨٤٥ هـ) ، وكتاب « شذور العقود في ذكر النقود » (٨) ، وكتاب « الأوزان
والأكيال الشرعية » (٩) .

(١) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، بولاق ١٣٠٢

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٧ ،

ج ٣ ص ٥٧١ - ٥٧٨

(٣) الباوردى ، الأحكام السلطانية ، بولاق ١٣٢٨

(٤) ابن عمار ، كتاب قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ،

القاهرة ١٩٤٣ هـ

(٥) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ١٩٥٤ (جزآن) وطبعة مصر ١٣١٩ هـ

(٦) البيهقى ، المحاسن والمساوى ، القاهرة ١٣٢٥

(٧) المقرئى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زبادة والدكتور

جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧

(٨) المقرئى ، شذور العقود في ذكر النقود القديمة والاسلامية ، تحقيق الطباطبائي ،

النجف ، ١٣٥٦ هـ .

(٩) المقرئى ، الأوزان والأكيال الفرعية ، نشره تيش ، روستوك ١٢٩٧ .

ولقد اهتم المؤرخون المحدثون بدراسة علم النقود العربية اهتماما كبيرا لكثرتها ، وتنوعها ، وتعود أشكالها . فأخرج العالم العراقي الآب أنستاس مارى الكرمل فى سنة ١٩٣٩ كتابا بعنوان : « النقود العربية وعلم النميات » (١) ، جمع فيه أهم ما كتبه المؤرخون العرب أمثال المقرئى فى « شذور العقود فى ذكر النقود » ، وفى إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، والبلاذرى فى « فتوح البلدان » ، والدميرى فى « حياة الحيوان الكبرى » ، والبيهقى فى « المحاسن والمساوى » ، وأبو المحاسن فى « النجوم الزاهرة » ، وابن خلدون فى « المقدمة » ، والقلقشندى فى « صبح الأعشى » . وأضاف الآب أنستاس الكرملى تفسيرات كثيرة وتعليقات هامة لأسماء الرجال والنعموت والألقاب الواردة فى النقوش ، والمواد التى تتخذ منها الموازين والمكاييل والمقاييس والأثمان ، مما يكشف النقاب عن كثير من الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وهناك بحوث أخرى كثيرة كتبها مستشرقون وعرب متخصصون فى دراسة النقود الإسلامية نذكر منهم : لافوا Lavoix (٢) ، ولين بول (٣) ، وسوفير (٤) ،

(١) طاح بالقاهرة فى سنة ١٩٣٩

Lavoix (H.), Catalogue des Monnaies Musulmanes de la (٢)
Bibliothèque Nationale, 3 vols , Paris 1887—1891 .

Lane - Poole (S), Catalogue of the Oriental coins in the (٣)
British Museum, London, 1875—1890.

Lane - Poole, Catalogue of the Mohammadan coins preserved in the
Bodleian Library at Oxford, Oxford, 1888.

Lane - Poole, Essays in Oriental Numismatics, 3 vols , London 1874-1892,

Sauvage, Matériaux pour servir à l'histoire de la (٤)

Numismatique et de la métrologie Musulmanes, Paris, 3 vols .,
1882 - 1887 .

وما يلز (١) ، وكاستو ماريا دل ريفيرو (٢) ، والدكتور عبد الرحمن فهمي (٣) ،
وناصر السيد محمود النقشبندى (٤) ، والدكتور عبد المنعم ماجد (٥) .

Miles, Coinage of the Umayyads of Spain, 2 vols., New (١)
York, 1948.

..... Contributions to arabic Metrology, New York, 1958.
Casto Maria del Rivero, La Moneda arabigo espanola, (٢)
Madrid, 1833 (2 vols.)

(٣) عبد الرحمن فهمي ، منج السكة في فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٥٧
..... الثارات المسيحية والرووز القطبية على السكة الاسلامية ، عاضرة في المؤتمر الثالث
للآثار في البلاد العربية بفاس ١٩٥٩ ، القاهرة ١٩٦١
..... النقود العربية : ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ، عدد ١٠٣ ، القاهرة ،
١٩٦٤ .

..... فجر السكة العربية ، مطبوعات متحف الفن الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٥ .
(٤) ناصر السيد محمود النقشبندى ، الدينار الإسلامى في المتحف العراقى ، ج ١ ، الدينار
الأموى والعباسى ، بغداد ، ١٩٥٣
(٥) عبد المنعم ماجد : النقود الفاطمية ، مقال بحوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ،
مايو ١٩٥٣ .
..... : تاريخ الحضارة الاسلامية في المصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

(٤)

الآثار المعمارية والتحف

تعتبر الآثار الباقية سواء الثابتة منها كالنقوش المعمارية ، أو المنقولة كالتحف المعدنية والخشبية والعاجية والحزفية ، وأدوات الزينة والترق ، من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في كتابته التاريخية ، ذلك لأن الوثائق المكتوبة لا تكفى وحدها لهذا الغرض ، إما لندرتها ، أو لتسايف ما جاء فيها ، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالخرص والاساطير ، أما الآثار فتتضمن نقوشا كتابية أصيلة معاصرة للأحداث ، وغير قابلة للتصحيف والتحريف ، وهو أمر شائع في المصادر المكتوبة التي تتعرض مادتها في بعض الأحيان لأهواء الكاتب وميوله ، كما تتعرض في أحيان أخرى للتشويه والتحريف .

والآثار في حد ذاتها تفيد المؤرخ في الوقوف على درجة الاتقان المهني التي وصل إليها الفنانون المسلمون في العصور المختلفة ، كما تفيده في معرفة التيارات الفنية التي كانت تترك بصماتها في إنتاج الفنان المسلم ، ومعادير هذه التيارات ، والآثار على هذا النحو تعتبر سجلا تاريخيا حيا للأعمال التي قام بها الولاة والأمراء والسلاطين والخلفاء في العصور الإسلامية المختلفة ، وشاهدا ماديا ماثلا على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم أو تأخر ففي هذه العصور . وكثيرا ما تعبر بعض الآثار عن نواحي سياسية هامة ، فالتفوذ الأندلسي على المغرب الأقصى في عصر دولة بني أمية في الأندلس يتجلى بصورة واضحة في مسجدى القرويين والأندلس بمدينة فاس ، وسيطرة المرابطين والموحدين على الأندلس يعبر عنها الأسلوب الفني المشترك السائد في كل من المغرب والأندلس في هذين العصرين ،

وغلبة الطابع الفرناطى على آثار المغرب كله منذ أوائل القرن الرابع عشر ، يعبر عن أثر العلاقات السياسية بين بنى مرين وبنى الأحرافى الفنون المعمارية والصناعية ، كما يعبر أيضا عن حقيقة تاريخية ثابتة ، هى هجرة الفن الأندلسى الفرناطى الى المغرب بعد انتهاء دولة الإسلام فى الأندلس (١) .

كذلك يعبر استخدام الخوذة المفصصة التى تشبه العمامة والتى تكسوها زخرفة خزفية خضراء بأعلى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلمة ، واستخدام الزخارف المعروفة بالمدالات فى إحدى هاتين المئذنتين ، عن توافد تأثيرات مغولية إيرانية على مصر ، كما يعبر شكل مئذنة أحمد بن طولون الملوية ، وتشابها بمئذنة جامع أبى دلف بسامرا ، واستخدام الزيادات فى تخطيطه ، والدعائم الآجرية فى البناء ، والزخارف النباتية المحفورة حفرا مائلا فى الجص ، عن تأثير عراقى فارسى واضح كل الوضوح ، ولا مجال لانكاره (٢) . ومن المعروف أن مؤسس هذا الجامع من أصل تركى . ولد بسامرا ، وعاش فيها ، وتأثر بها شاهده من منشآت ، فنقل هذا الطابع السامرائى العراقى فيما أسسه من منشآت معمارية فى مصر .

كذلك تفيد الآثار فى دراسة تاريخ العمران المدينى ، لأن الآثار تحدد المعالم البارزة من المدينة الإسلامية ، وتخطيطها فى العصور الوسطى ، كما تحدد الأسوار المتنوعة والأسوار التى أقيمت فى عصر لاحق عن تطور الاتساع العمرانى فى المدينة المراد دراستها .

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٩٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٥

وعلى هذا النحو أصبحت دراسة الآثار ضرورة لازمة لدراسة التاريخ السياسى والحضارى ، وعالم الآثار يعنى بترتيب مخلفات الحضارات القديمة ، وبتفسيرها ، واستنباط الحقائق التاريخية منها . وهو لا يقف فى دراسة هذه المخلفات عند ما له قيمة فنية منها لحسب ، بل انه يفحصها جميعا ، ويعمل على معرفة تاريخها ، وتحديد مستوى الحضارة التى أنتجتها ، والأغراض التى كانت تستعمل فيها ، وهو يصل إلى هذا كله بأساليب علمية ، قوامها المشاهدة والمعاينة والمقارنة والاستنباط (١) .

وقد تنبه العلماء المستشرقون فى العصر الحديث إلى أهمية الدراسة الأثرية بالنسبة للتاريخ ، فتناوبت بحوثهم الدلية تلقى أضواء على نواحي تاريخية كانت غامضة ، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين : جورج مارسيه ، وهنرى تيراس ، وإيل لامبير ، ونوريس بلباس ، وبوريس ماسلو ، وهنرى باسيه ، وميجون ، وسلادان ، وزاره ، وهرتسفيلد ، وكونسل ، وكرسويل ، وآرثر لين ، وجاستون فييت ، وسوفاجيه ، وديماند ، وجروهمان .

ومن أشهر علماء الآثار الإسلامية العرب والمشتغلين فى هذا الميدان الاساتذة : الدكتور أحمد فكرى (٢) ، والدكتور فريد شافعى ، والدكتور عبد العزيز مرزوق ، والدكتور جمال محرز

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث ، ص ١٥٤

(٢) للأستاذ الدكتور أحمد فكرى فضل عظيم فى تكوين عدد من الباحثين فى الآثار من تلاميذه ، فعليه أخذ الدكتور محمد توفيق بليغ والدكتور عثمان اسماعيل والأستاذ حلمي سالم ومؤلف هذا الكتاب ، كذلك كان لأبحاله الأصيل فى الآثار الإسلامية فى المغرب =

والمرحوم الدكتور زكي محمد حسن، والمرحوم الأستاذ حسن عبدالوهاب، والأستاذ
حسن حسني عبدالوهاب. والأستاذ إبراهيم شيوخ ، والأستاذ عبدالعزیز بن عبدالله،
والأستاذ عبد الهادی التازی ، والدكتور موریس شهاب ، والأستاذ أحمد كمال ،
والأستاذ مصطفى جواد ، والأستاذ ناصر النقشبندی ، والأستاذ كوركيس
عواد ، والأستاذ كاظم الجنابي.

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١) القرآن الكريم والحديث والتفسير

(٢) كتب الطبقات والانساب

(٣) كتب الجغرافية

(٤) كتب الرحلات

(٥) الشعر العربي والكتب الادبية

(٦) كتب الخراج والحسبة والمخطوط

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١)

القرآن الكريم والحديث والتفسير

يعتبر القرآن الكريم ، أساس التشريع الاسلامي ومصدره الاول ، مصدراً تاريخياً هاماً ، بل أقدم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب في عصر الجاهلية ، وأصدقها على الإطلاق لأنه أنزل من الله تعالى لاسيلا إلى الشك في صحه نصه (١) .
ففيه ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والدينية ، وفيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة (عاد وثمود) ، وفيه أخبار عن أصحاب القيل (أبرهة الحبشي وجيشه) ، وسيل العرم (وهو السيل الذي أصاب سد مأرب) ، وأصحاب الأخدود (أهل نجران الذين أحرقهم ذو نواس الحميري في أخاديد) ، هذه الاخبار أوردها الله تعالى في كتابه العزيز عبرة وموعظة للعرب بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص لتكذيبهم الرسل والانبياء ، وقد أثبتت الحقائق التاريخية الثابتة والكشوف الاثرية صحة ما جاء في القرآن الكريم من أخبار العرب البائدة ودقتها ، ومن المعروف أن الشعوب العربية البائدة انقرضت لعاملين: الرمل الزاحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط شبه الجزيرة العربية وفي

(١) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٨ - جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، القسم السياسي ، ج ١ ، بغداد ١٩٥٠ ص ٣٥ - صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢ ص ٣٩٣ - عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٩٦٤ ص ١٦

الاحقاف ، وهياج البراكين وماترتب عليه من تدمير شامل لمدين كانت مزدهرة .
ولقد ورد في القرآن الكريم أن قبائل عاد وثمود بادت بصاعقة دسرت كل شيء .
وأن الله أرسل عليهم ريحاً صرصراً عانية أتت على كل شيء ، وفي عاد وثمود
يقول الله تعالى : « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد
منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا
يجمعون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخصى وهم لا ينصرون . وأما ثمود فهديناهم
فاستجبوا للمعنى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » (١) .
وقال تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ما نذر من شيء أنت عليه
إلا جعلته كالرميم ، وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فعتوا عن أمر ربهم
فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » (٢) ،
وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبعوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم
يغنوا فيها . ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود » (٣) . ونستدل من هذه الآيات
القرآنية على أن قوم ثمود وعاد هلكوا على أثر ربح عانية أو على أثر تفجر
بركان صحبته رجفة عنيفة . ويذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن
عاد كانت تقوم في الاحقاف من اليمن . بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر ،
استناداً إلى قوله تعالى : « واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف » (٤) . ولكن
القرآن الكريم لم يحدد موضع الاحقاف من بلاد العرب ، وإنما حدده المفسرون ،

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤١ آية ١٥ — ١٧

(٢) القرآن الكريم ، سورة النازعات ٥١ آية ٤١ — ٤٥

(٣) القرآن الكريم ، سورة هود ، ١١ آية ٦٧ — ٦٨

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأحقاف ٤٦ آية ٢١

ولما كانت لفظة الاحقاف تعنى الرمال ، فقد اندفع معظم الاخباريين يلتمسون مواضع عاد في الصحراء ، وأخذوا ينسجون حولهم القمص والاساطير ، غير أن بطليموس الجغرافى يذكر أن شعب Oaditae أو عاد كان يسكن فى المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، وفى منطقة حسمى بالذات ، على مقربة من منازل ثمود « Thamydeni » . وما يؤكد صحة ما ذكره بطليموس أن عاد اقترن ذكرها فى القرآن الكريم بشمود ، « الذين جابوا الصخر بالواد » (١) ، والمقصود بالواد وادى القرى ، وهو أحد الاودية التى تتخلل سلسلة جبال حسمى ، ومن بينها جبل إرم (٢) ، الذى يعرف اليوم باسم جبل رم (٣) فى الاردن ، كما أن منطقة حسمى الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع مساكن ثمود من مناطق الاحقاف الرملية التى حدد المفكرون موقعها بين اليمن وساحل عمان ، ونضيف إلى هذه القرائن مارواه البكرى فى معجمه إذ يذكر أن الاحقاف التى كانت منازل عاد جبل بالشام أو هى حشاف من حسمى ، والحشاف الحجارة فى الموضع السهل واسم الاحقاف « حشاف » ، نجد اليوم فى المنطقة الجنوبية الغربية من مدين (٤) .

كذلك لم يحدد القرآن الكريم منازل ثمود تحديدا دقيقا ، ولكن ورد فيه ما يشير إلى أنهم نحتوا بيوتهم فى الصخر بالوادى « وثمرد الذين جابوا الصخر

(١) القرآن الكريم ، سورة الفجر ٨٩ آية ٩

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، طبعة بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٤٤

(٣) الويس موصل ، شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد الحسن المسينى ، الاسكندرية

١٩٥٢ ص ١٣٠ - جواد على ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ . وجبل رم يقع على

بعد ٢٥ ميلا شرق القبة قريبا من عين ماء ، وقد عثر فى هذا الموضع على آثار من العصر

الهاملى (جواد على ، ج ١ ص ٢٣٥) .

(٤) الويس موصل ، شمال الحجاز ص ١٣٧ .

الكهوف في بلاد سدير وزعيمهم كدر لعومس الواردة أخبارهم في التوراة (١) .
ويعتقد برسفال أن التهوديين هم الحوريون سكان بلاد سدير حتى برية فاران
ويملل خلط الاخباريين بينهم بأن التهوديين كانوا يسكنون في مناطق مجاورة
للحوريين (٢) .

وسيل العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يقصد به السيل الذي أدى
إلى انهيار سد مأرب الشهير ، أم سدود اليمن في عصر الدولتين السبئية والحيرية
الأولى ، وإلى هذا السد يرجع النخل الأعظم في تحويل مأرب ، حاضرة السبئيين
إلى جنة يانعة ، وإلى تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيدة (٣) ، وبالبلقة
الحضراء والأرض الخضراء ، والخضراء لكثرة مزارعها وأشجارها وثمارها (٤) ،
بل أننا نعتقد أن بلاد اليمن التي ورد اسمها في النصوص الجنوبية باسم يمانات
ويمنت ومعناها الخير واليمن (٥) . وما زالت آثار السد وآثار الجنتين الواقعتين
على يمينه وعلى يساره ظاهرة حتى اليوم ، تؤكد صحة ما جاء في القرآن الكريم :
« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال » (٦) .

أما في عصر النبوة فتجلى أهمية القرآن الكريم التاريخية ، في أنه يبين

(١) سفر التكوين ، اصحاح ١٤/٤

(٢) Caussin de Perceval, l'essai sur l'histoire des Arabes, (٢)

Paris, 1847, t, I, p. 26.

(٣) عرفها اليونان باسم Arabia Felix .

(٤) المسدان . سفرة جزيرة العرب ، ص ١٠

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الربيع الجاهلية ، ص ١٢٧ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة سبأ . آية ١١ - ١٦ .

بالوادي ، وقد فُتِرت الآية بأن قوم ثمود نفروا بيوتهم في صخور الجبال في وادي القرى . ويذكر المسعودي أن منازلهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبيشي ، وأن ديارهم بفتح الناقة ، وبيوتهم كانت مائتال في عصره منحوتة في الجبال ، ورسومهم باقية وآثارهم بادية في طريق الحاج لمن قدم من الشام بالقرب من وادي القرى (١) ، ويؤكد ابن خلدون أن ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام . وأن الرسول مر على خرائب ديارهم في غزوته لثبوك ، ونهى عن دخولها (٢) ، كذلك ورد اسم ثمود في كتب اليونان ، وحددها بليسيوس فيما بين مدينتي دومة الجندل Domata ومدينة الحجر Haegra ، كما حددها بطليموس بالقرب من ديار عاد في أعالي الحجاز (٣) . ومن المعروف أن الحجر كانت من المحطات التجارية الهامة في الطريق التجاري بين اليمن والشام ومصر والعراق (٤) . وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من الكشف عن عدد من النقوش التمودية في أرض تبوك ومدائن صالح وتيما ، وفي جبل رم ، وفي الطائف (٥) . ويعتقد كوسان دي پرسفال أن هناك ثمة تقارب بين التموديين الذين نحتوا بيوتهم في الجبال وصاحبهم قدار الأحمر الذي تسبب في نكبتهم حتى قيل (أشأم من أحمر ثمود أو أشأم من عافر الناقة) وبين الحوريين أو سكان

- (١) المسعودي ، مروج الذهب ، طبعة عيسى الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٤٢ . وفي موضع آخر يشير إلى أنهم كانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز (ج ١ ص ٤٢) .
 (٢) ابن خلدون ، كتاب العبر ، مجلد ٢ ص ٤١ (طبعة بيروت ١٩٦٥)
 (٣) جواد علي ، ج ١ ص ٢٤٨
 (٤) موسل ، شمال الحجاز ، ص ١٣١ - جواد علي ، ج ١ ص ٢٤٨ وما يليها ،
 (٥) جواد علي ، ج ١ ص ٢٥٠

تطور الدعوة الإسلامية ، وبشير في مناسبات كثيرة الى اليهود المضنية التي بذلها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام وتأسيس الدولة الاسلامية ، والعقبات التي صادفته ، لأن كل سورة فيه ترتبط بفترة معينة من حياته .

ومع ذلك فإن عدداً من المستشرقين لا يعتبرون الكتب المقدسة ومن بينها الكريم مصادر تاريخية يعول عليها ، لأن ما جاء فيها لا يتضمن تفصيلات تاريخية ، كما أنها تهدف الى عبرة أخلاقية ، بالإضافة الى أن بعض أخبارها لا يزال غير واضح وينقصه التحديد الزماني والمكاني (١) . وعلى الرغم من ذلك فإن القرآن الكريم يعتبر مصدراً لا يرقى اليه الشك للتأكيد على وقوع بعض أحداث في الجاهلية مثل حادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة سيل العرم ، وقصة أصحاب الفيل ، ثم انه مرآة صادقة للحياة الجاهلية ، بصور الحياة الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعقلية أيضاً أصدق تصوير (٢) .

أما الحديث ، وهو المصدر الثاني للشرعة الاسلامية لأنه يتضمن أحكاماً وقوانين للجماع الاسلامي المتطور ، فيعتبر أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم ، على الرغم من أن الحديث لم يدون بالعدل الا في أواخر القرن الثاني الهجري ، في خلافة عمر بن عبد العزيز لأن الأحاديث كانت تحفظ في صدور الرجال أو تكتب في صحائف متفرقة . والحديث يمثل أقدم الروايات الشفوية التي وصلت الينا عن طريق التدوين وأدقها ، لاعتماده على الاسناد ، ثم أن الأحاديث كانت تتعرض لكل ما كان قائماً من نظم الحياة الدينية والفكرية

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ١٦ ،

(٢) احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية ، ولما كان كثير من هذه الاحاديث موضوعة ، انتحلت لنلية حاجة البدع والثرعات التي بعدت عن مقاصد الرسول ، فلا بد للباحث في الاحاديث من الاعتماد على المجموعات الصحاح كجامع الصحيح البخارى (ت ٢٥٧) وصحيح مسلم (ت ٢٦٢) ، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥) وسنن الترمذى (ت ٢٧٩) .

ويل القرآن والحديث في طبقات المصادر التاريخية كتب التفسير التي تتضمن شروحا تفصيلية لما ورد في القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن بعض الاحداث في الجاهلية وفي عصر النبوة الاول ، ولما أغلق علينا فهمه من تشبهات واستعارات . وقد نشأ التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أول شارح للقرآن الكريم ، ثم تولى صحابته من بعده هذه المهمة ، باعتبارهم الواقفين على أسرارهم ، المهتمين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس ، وعن الصحابة أخذ التابعون ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، لجمعوا أقوال من تقدمهم ، وصنفوا التفسير ^(٢) ، ثم اتجه العلماء في تناسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى بالتفسير المأثور ^(٣) ، ومن أشهر كتب هذا التقسيم التفسير التاريخي المعروف بتفسير الطبرى ، ويسمى

(١) صحيح الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٣٣١

(٢) صحيح الصالح ، نفس المرحوم ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣

(٣) يعرف أيضا بالتفسير الثقل ، لأنهم لجأوا فيه الى طريقة النقل من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (راجع عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، ص ١٦٦)

كتابه . جامع البيان في تفسير القرآن ، (١) ومنها أيضا تفسير ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) (٢) .

وكان هناك ما يسمى بالتفسير بالرأى ، ويعتمد المقر في اللغة ومعاني الالفاظ ولذلك عرف أيضا بتفسير الدراية أو التفسير العقلي ، وفيه تعددت المناهج وكثر الاختلاف . وأشهر التفاسير بالرأى تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨) ويعرف بالتفسير اللغوي ، وتفسير غر الدين الرازي (١) (ت ٦٠٦) وهو تفسير عقلي ، عني فيه ببحث الكوّنات ، ويقسم الآيات التي يتولى تفسيرها إلى عدد من المسائل ، يقدم بتأويلها مدافعا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٥) ، ومنها تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥) المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » (٦) ، وفيه يعني بآثبات الأدلة على أصول أهل السنة . ومنها تفسير أبي السعود ، وتفسير النسفي ، وتفسير الخازن .

(١) طبعة بولاق في ٣٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٢١ هـ

(٢) طبعة مصر ، في ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٦ هـ

(٣) عنوانه : « حقائق غوامض التنزيل وعمود الأوابل » طبعة مصر في جزأين ،

١٣٠٧ هـ

(٤) عنوانه « مفاتيح الباب » أو التفسير الكبير ، طبعة القاهرة في ٨ أجزاء ، ١٣٠٨ هـ

(٥) صبحي الصالح ، المرحوم السابق ص ٣٣٦ - عمر فروخ تاريخ الجاهلية ص ١٧

(٦) طبعة بولاق ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ في جزأين

(٢)

كتب الطبقات والأنساب^(١)

يقصد بكتب الطبقات الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء أو القضاة أو الصحابة ، أو الأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم ، جيلاً بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة . أما كتب الأنساب فتجمع تراجم وسير أشرف العرب حسب أنسابهم ، فهي دراسة لتاريخ الأرسنقراطية العربية على حسب أنسابها (٢) . ودراسة الأنساب لها أهميتها الخاصة للدراسة التاريخية كما سبق أن تحدثنا عن ذلك ، وكان الاهتمام السياسي بالقرشين ، والطائفي بآل علي ، والاهتمام القديم بالقبائل العربية ، واعتزاز الحكام والأشراف بأحسابهم وأنسابهم عندما قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعرية ، في أواخر العصر الأموي ، كان كل ذلك من العوامل التي ساعدت على الكتابة في الأنساب (٣) .

ومن أشهر كتاب الأنساب محمد بن السائب الكلبي وابنه أبو المنذر هشام ، والزبير بن بكار ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو اليقظان السابة ، وعلي بن محمد المدائني ، وقد كتب كل من مصعب بن عبد الله الزيري ، وعلي بن محمد المدائني ، والزبير بن بكار والجمحي وابن عبده كتاباً عن أنساب قريش ، وصلنا منها كتاب نسب قريش لمصعب وبعض ما كتبه الزبير بن بكار . وينسب إلى البلاذري كتاب

(١) فيما يختص بكتب السيرة والمغازي والفتوح باعتبارها مصادر هامة للتاريخ الاسلامي ، ارجع إلى الفصل الذي ألفناه لها في صفحات ٥٣ - ٧٠ من هذا الكتاب .

(٢) راجع ما سبق ص ٧١

(٣) روزتال ، ص ١٤٠

وأنساب الاشراف ، . وهو كتاب كبير يبحث فيه تاريخ أشراف العرب في الجاهلية والاسلام حتى عصره ، وقد وصلت اليها نسخة كاملة من أنساب الاشراف بخطوط في اسطنبول ، وقام الاستاذ محمد حميد الله بنشر الجزء الاول منه في سلسلة ذخائر العرب (عدد ٢٧) . ويبدأ البلاذري فيه بذكر نسب نوح عليه السلام ، ثم يصل إلى عدنان ، ويتدرج بعد ذلك نزولا إلى ذكر أخبار الرسول وسيرته حتى وفاته ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أبي طالب وأولاده ، ويخص بالحديث على بن أبي طالب ، فيذكر وقائمه وحروب ، وىرى سير ولاده ، ثم يتحدث عن أبي العباس السفاح وأبي جعفر والخلفاء من بنى العباس حتى هارون الرشيد ، ويعود مرة ثانية لاستكمال رواية أنساب القرشيين ، أمثال بنى نوفل وبنى أمية وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة ، وبنى هميم بن كعب ، وينتهى من نسب قريش في المجلد الرابع ، ثم يتبع نسب بنى كنانة بن خزيمه بن مدركه وينتهى منه في المجلد ١٢ ، ويبدأ بعد ذلك بتتبع نسب قيس ولد إلياس بن نصر حتى يصل إلى ثقيف ، ويبدو أنه توفي قبل أن ينهى من بقية قبائل قيس (١).

ولكن الكتابة في الأنساب على النحو الذى أداه البلاذري لم تعد بعد ذلك أداة ملائمة لكتابة تاريخ المدينة الاسلامية المعقدة ، فلم تلبث أن تركت المجال لغيرها من الكتابات في مناحى متعددة من الحياة ، ووجدت الكتابة في الأنساب لها مجالا خصبا في أرض الاندلس لغلبة الصفة الإفريقية في هذا القطر الاسلامى المنطرف ، بالاضافة الى اصطدام العنصرية العربية هناك بعنصريات بربرية وصقلية ، اتاحت الفرصة لظهور طوائف متعددة . واشتال جذوة المنافسات العنصرية بين العرب وبين البربر والصقالبة . ونتج عن ذلك اهتمام الكتاب

بالكتابة في أنساب العرب ، وأهم كتب الأنساب في الأندلس : كتاب لأحمد بن محمد الرازي عن « أنساب مشاهير أهل الأندلس » ، في خمسة أسفار ضخمة ، وكتاب لابن عبد البر بعنوان « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ، وكتاب لابن حزم القرطبي بعنوان « جمهرة أنساب العرب » . كذلك ظهرت كتب في أنساب البربر مجارة لأنساب العرب ، منها كتاب عن مفاخر البربر لمؤرخ مجهول ، نشر الأستاذ ليفي بروفنسال نبذة تاريخية منها (١) ، ومنها كتاب عن العشائر وأصحاب المهدي ابن تومرت بعنوان : « كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » (٢) .

ثم كثرت العناية بكتاب الطبقات في المشرق والمغرب بوضع معاجم لطوائف الرجال ولفروع العلوم وذلك عندما اتسعت آفاق المعارف وأصبحت هناك ضرورة إلى وضعها ، وتعتبر هذه المعاجم من المصادر الهامة للتأريخ الاسلامي ، إذ هي تزود الباحث في التاريخ بمادة تاريخية قيمة .

ومن بين كتب الطبقات والتراجم الخاصة بالفقهاء والصحابه والقضاة والصوفية ، والأدباء والأعيان والعلماء والشعراء والأطباء والنحويين المصنفات الآتية :

١ — ابن الأثير (علي بن أحمد) ت ٦٣٠ : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٦ أجزاء طبعة القاهرة ١٢٨٠ هـ - ١٢٨٦ ، وهو تراجم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت ٤٩٣ : تاريخ علماء

(١) ط . الرباط ، ١٩٣٤ .

Lévi - Provençal, Documents inédits d'histoire almohade, (٢)

Paris, 1928

الاندلس ، مدريد ١٨٩٢ ، في مجلدين (المجلدان السابع والثامن من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا) ويعتبر هذا الكتاب أقدم معجم وصل اليه عن علماء الاندلس .

٢ — الحسنى (محمد بن حارث) ت ٣٦١ هـ : تاريخ فضاة قرطبة ، تحقيق ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ .

٤ — النباهى (أبو الحسن بن عبد الله) : تاريخ فضاة الاندلس المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره الاستاذ ليني بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٩ .

٥ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن احمد) ت ٥٧٨ : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعدائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٢ .

٦ — ابن الزبير (أبو جعفر احمد) ت ٧٠٨ : كتاب صلة الصلة في تراجم أعلام الاندلس ، نشره الاستاذ ليني بروفنسال ، باريس ١٩٣٨ .

٧ — ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى) ت ٦٥٨ : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، في جزأين (المجلدان ٥ ، ٦ من المكتبة العربية الاسبانية) ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٧ — ١٨٨٩ .

٨ — : المعجم في أصحاب الامام أبي على الصدفى . المجلد ٤ من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ .

٩ — : الحلة السيرة . جزآن ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣

١٠ — الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٧ : جذوة المقتبس في

تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق الأستاذ محمد بن ناوي الضنحي ، القاهرة
١٢٧١ هـ (١٩٥٢) .

١١ — الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى) ت ٥٩٩ : بنية الملتبس في تاريخ
رجال الأندلس ، نشرة كوديرا ورييرا ، مدريد ، ١٨٨٥

١٢ — ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد) ت ٦٨١ : وفيات
الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الأستاذ محمد يحيى الدين عبد
المجيد ، في ستة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

١٣ — السكتي (محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي) ت ٧٦٤ : فوات الوفيات ،
جزأين ، القاهرة ١٩٥١ .

١٤ — الشمراني (عبد الوهاب) : لوائح الأنوار في طبقات السادة الأخيار ،
في جزأين ، القاهرة ١٨٨١ .

١٥ — : الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .

١٦ — السلي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين) ٤١٢ : طبقات الصوفية .

١٧ — السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) : ت ٧٧١ هـ : طبقات الشافعية
الكبرى ، ٦ أجزاء القاهرة ١٣٢٤ هـ

١٨ — ابن القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) ت ٦٤٦ : إخبار العلماء بأخبار
الحكام ، القاهرة ١٣٢٦ .

١٩ — ابن أبي أصيبعة (أبو العباس أحمد بن القاسم) ت ٦٦٧ : عيون
الانباء في طبقات الأطباء ، جزآن ، القاهرة ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ هـ .

٢٠ — ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي) ت ٨٥٣ : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، حيدرآباد ، الهند ،

١٣٥٠ هـ .

٢١ — الشوكاني (محمد بن علي) ت ١٢٥٠ هـ : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة ١٢٤٨ هـ .

٢٢ — السنخاوي (شمس الدين محمد) ت ٩٠٢ هـ : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ .

(٢)

كتب الجغرافية

اهتم العرب بالجغرافية اهتماما خاصا منذ أقدم العصور ، لارتباطها بحياتهم ، كان عليهم أن يعلموا شيئا عن النجوم الثابتة ، ومسير الكواكب المتحركة ، ومتابعة تغيرات المناخ (١) ، ومصادر هبوب الرياح ، وأوصافها ، كما كانوا يهتمون بالسحب وأنواعها لمعرفة نزول الغيث الذي يعتمدون عليه في السقيا والمرعى (٢) . وبدأت حركة التأليف في الجغرافية في نفس الوقت الذي بدأت فيه الكتابة التاريخية . فكان أول من كتب في التاريخ العربي هم أنفسهم ان الذين كتبوا في الجغرافية العربية ، ذلك أن التاريخ والجغرافية كانا في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يطلقون عليها اسم « الأدب » بوجه عام (٣) ، ومثل ذلك أن هشام بن محمد الكلبي الذي ألف في جملة ما ألفه من الكتب التاريخية كتابا في البلدان وفي قسمة الأرضين ، وفي الأنهار ، وفي الأقاليم ، وفي عجائب البحر ، وكذلك ألف أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٥٢١٧) كتابا في النبات والشجر ، وفي الأخبية والبيوت ، وفي الأنواء ، وفي وصف جزيرة العرب ، وفي مياه الأرض ، كما ألف أبو حنيفة الدينوري كتابا عنوانه « البلدان » . وذكر ياقوت في معجم الأدباء للنظر بن شميل ابن مالك القيمي (ت ٢٠٤) كتاب الأنواء وكتاب الشمس والقمر ، إلا أن معظم ما كتبه هؤلاء كان قاصرا على الجزيرة العربية والبادية .

(١) نخبه احمد ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة الأستاذ فخر عثمان ، مجموعة

الآلاف كتاب ، عدد ٢٧٢ ، ص ٢٥

(٢) الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ص ١٩٩ ، ٢٢٠

أما في المغرب والأندلس ، فقد نشطت حركة الكتابة الجغرافية في عصر مبكر ، متصلة مع الحركة التاريخية ، فكتب عن الأندلس والمغرب أحمد بن محمد الرازي ، وابن النظم ، والبكري ، وابن سعيد .

وزاد اهتمام العرب ، منذ أن اتسعت رقعة الدولة العربية في العصر العباسي بالفتوحات الجديدة ، خاصة فيما وراء النهر والسند . وتركستان ، بوصف الأقاليم الإسلامية ومدنها ، وذكر مسالكها والطرق المؤدية إليها وحاصلاتها ، ومناخها ، ويعزرون هذا الاهتمام بالمنافسة الواضحة بين الأقاليم المختلفة حيث توزعت مراكز الثقافة من الأندلس حتى تخوم الصين ، وعاون على ذلك انتشار الإسلام واللغة العربية عقب الفتوحات ، وأدى ذلك إلى نمو الثقافة العامة . هذا إلى الاهتمام بتقدير ثروات هذه البلاد ، لمعرفة قدرتها على دفع الجزية والخراج ، فظهرت لذلك الجغرافية الإدارية أو السياسية . ويمثل هذا النوع من الكتب الجغرافية في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة الفارسي (ت ٣٠٠ هـ) ، وفي كتاب الخراج وصنعه الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) (١) .

وزادت عناية العرب والمسلمين في أوائل القرن الرابع الهجري بعلم تقويم البلدان ، وذلك لكثرة الاسفار والحلات التي كان يقوم بها التجار وأهل العلم والرحالة والحجاج من سائر أنحاء الدولة العربية الإسلامية ، بقصد التجارة ، أو لطلب العلم ، أو لمجرد الرغبة في المشاهدة والمماينة ، أو حبا للمغامرة ، أو للحج إلى مكة ، فكثر المصنفات الجغرافية التي تحررت من القيود السابقة ، وأصبحت الرغبة في المعرفة هي أساس الكتابة الجغرافية .

وكانت الكتب الجغرافية العربية إما كتباً في الجغرافية الوصفية ، أو كتباً في

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، الجزء السادس ، تحقيق دى غويي . لندن ١٨٨٩ .

التفسير الجغرافي ، أو كتباً خاصة بعلم الخرائط ، أو كتباً في الجغرافية الفلكية أو الرياضية . ولقد تأثر الجغرافيون المسلمون قبل القرن الرابع الهجري بجغرافية اليونان عندما بدأوا ينقلون كتبها الى العربية ، وهم في ذلك تلاميذ للاغريق ، واتخذوا من كتابي بطليموس القلوزي وهما : جغرافية بطليموس ، والماجسطي المترجمان إلى العربية (١) مثالا احتذوه في كتاباتهم الجغرافية ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نسمي هذه المجموعه الأولى من الكتب الجغرافية بمدرسة الجغرافية اليونانية العربية (٢) أو مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان ، ويمثل هذه المدرسة جمهور كبير من الجغرافيين العرب نذكر منهم :

١ — ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله ، ت. ٢٠٠ هـ) في المسالك والممالك . كان ابن خردادبة من أصل فارسي ، اشتغل عاملاً على البريد في إقليم الجبال بفارس ، وقد أقام من وظيفته في الحصول على قدر كبير من المعلومات عن الاقاليم البعيدة ، ولذلك فقد ضمن كتابه كثيراً من المعلومات والبيانات الوافيه عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها . وقد أقام ابن حوقل ، وابن الفقيه

(١) قام بترجمة المجسطي أو الماجسطي المجاج بن يوسف بن مطر الحاسب ، وقيل في رواية أخرى أن سهل بن ريان الطبري (ت ٢٣٦) هو الذي قام بترجمته ، وواجه المجاج ، ثم تولى مراجعته بعد ذلك حنين بن اسحاق (ت ٢٦٠ هـ) ثم ثابت بن قرة (ت ٢٨٩) ، ومن بعدها محمد بن جابر بن سفيان القبانى (ت ٣١٧ هـ) راجع : أوليري ، مسالك الثقافة الاغريقية إلى العرب ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨)

ويعتبر كتاب المجسطي ذروة ما بلغة اليونان من جهود في علم الجغرافية ، ويضمز ملخصاً لكل ما كتب فيها يختص بحجم الأرض ، وكرويتها ، واختلاف عروض البلدان وأوقات ترول الشمس في قطبي الاعتدال وقطبي الانقلاب . . . الخ

(٢) نقول زيادة ، الجغرافية والرسائل عند العرب ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٧ وما فيها

الهمداني ، والمقدسي من كتاب ابن خرداذبة .

٢ — المروزي (جعفر بن أحمد ، ت ٢٧٤) في كتابه المسالك والممالك ، ذكره ابن النديم في الفهرست .

٣ — المرخسي (احمد بن محمد بن الطيب ، ت ٢٨٦) في كتابه المسالك والممالك ، وفي رسالة في البحار والمياه والجبال ، والمرخسي كان تلميذاً للكندى .

٤ — الخوارزمي (محمد بن موسى ، ت في منتصف القرن الثالث) في كتابه « صورة الأرض » . وقد أرفق المؤلف بكتابه خريطة كانت فيما يبدو تعريفا لخريطة بطليموس ، ويعتبر الخوارزمي لذلك أول صانعي الخرائط من المسلمين .

٥ — اليقوبى (احمد بن أبى يعقوب بن واضح ، ت ٢٨٤) في كتابه « البلدان » . هو من أشهر الجغرافيين والرحالة العرب ، وكتابه المذكور من الكتب الهامة في الجغرافية الإقليمية الوصفية لأنه يتضمن معلومات هامة عن البلاد التي زارها . وقد اهتم اليقوبى في هذا الكتاب ببغداد وسامرا ، ووصفها وصفا تفصيليا في بداية كتابه ، ثم وصف إيران وطوران ، ووصف جزيرة العرب الوسطى والجنوبية ، والشام ، ومصر ، والنوبة ، والمغرب . ولم يكن اليقوبى رجل جغرافية لحسب ، فقد كان إلى جانب حبه للجغرافية حريصا على تدوين ملاحظاته عن المجتمعات التي تعرف إليها ، وتواريخ الاسرات الحاكمة .

٦ — الكندى (أبو يوسف يعقوب ، ت ٢٦٠) : ألف كتابا في الجغرافية عنوانه « رسم المعمور من الأرض » ، وهو اقتباس من كتاب بطليموس (١) ، كما ألف كتابا في « أبعاد مسافات الأقاليم » .

٧ — ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ، ت في أوائل القرن الرابع الهجري) في كتابه الأعلاق النيسة : وهو كتاب ضخيم يتكون من بضعة مجلدات ، صدر منه جزء في المكتبة الجغرافية العربية (١) ، والأثر اليوناني يتمثل في نزوعه في الكتابة إلى ناحية الملك وامتداد الأرض والبحار والأنهار ، وتقسيم الأرض وعلاقتها بالفضاء . ومع ذلك فإن تفسيره العلمي لسكروية الأرض بعيد عن أي أثر للتفسير اليوناني (٢) .

٨ — ابن الفقيه الهذلي (ت في أواخر القرن الثالث الهجري) في كتابه ومختصر كتاب البلدان ، وصف فيه الهذلي الأرض والبحار في الهند والصين وبلاد العرب ، وأفاض في وصف البصرة والكوفة ، وقد نقل عنه كل من المسعودي وياقوت .

٩ — ابن فضلان (أحمد بن عباس بن رشيد بن حماد ، ت في النصف الأول من القرن الرابع) . أوفده الخليفة المقتدر بالله العباسي في سفارة إلى ملك البلغار بالقولجا في صفر سنة ٥٣٠٩ هـ ، وقد أتيح له أن يسجل رحلته في كتاب استفاد منه ياقوت والاصطخري والمسعودي (٣) .

١٠ — القزويني (زكريا بن محمد ، ت ٦٨٢) : ألف كتابين . أحدهما عن نظام الكون ، يتضمن معلومات جغرافية هامة في وصف المعالم البارزة من جزر وجبال وبحار وأنهار يسمى عجائب المخلوقات (٤) ، والثاني عن الجغرافية وتقسيم

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، الجزء السابع ، تحقيق دي غويه ، ليدن ١٨٩٢

(٢) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(٣) زكي محمد حسن ، الرحلة السلجوقية في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٤٥

ص ٢٧ ، ٢٨ — نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٤٦

(٤) القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، جوتنجن ، ١٨٤٩

البلدان ، بمنوان « آثار البلاد وأخبار العباد » (١) . وصف فيه أقاليم الأرض وفقاً لتقسيم البطليموس للأقاليم ، واعتمد في القسم الخاص بالانديلس على الغرناطى والعذرى ، وفي القسم الاوروبى الخاص بـمدن أوروبا على ابراهيم الطرطوشى (ت ٤٧٧) وأبى الربيع سليمان الملتانى الرحالة (٢) .

١١ — قدامة بن جعفر (أبو الفرج ، ت ٣٢٠ هـ) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة . وقد تحدث فيه عن أقسام العالم الاسلامى وعن الجباية وطرق البريد .

١٢ — الرازى : (احمد بن محمد : ت ٣٤٤) مقدمة كتاب أخبار الاندلس ، وقد استعرض فيها الرازى مسالك الاندلس ، ومراسيها وأمهار مدنها وأجنادها وخواص كل بلد منها ، وقد تأثر الرازى في هذه المقدمة بجغرافية هيرودس (٣) .

• • •

وبلى هذه المدرسة العربية المتأثرة بجغرافية اليونان مدرسة عربية خالصة تمثل دور النضج في الجغرافية عند العرب في القرن الرابع الهجرى وما تلا ذلك . ونلاحظ في نتاج هذه المدرسة أربعة اتجاهات :

أ — الاهتمام الشديد بوصف أقطار العالم الاسلامى أو البلدان أو الممالك .

ب — التخصص فى قطر واحد .

(١) الفزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ، ١٨٤٨

(٢) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣١

(٣) طالع الفصل التالى الخامس الجغرافية فى الاندلس

ج — الميل إلى وضع معاجم جغرافية .

د — كتابة الموسوعات الكبرى (١) .

ويمثل هذا الاتجاه في وصف أقطار العالم الاسلامي ، وهو الميل إلى الكتابة في المسالك أو البلدان أو الأقاليم أو وصف الأرض ، وقوامه المشاهدة والمقارنة والتحقيق ، البلخي والإصطخرى وابن حوقل والمقدسي والادريسي .

١ — البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل ، ت ٣٢٢ هـ) : أصله من بلخ ، ويمتاز عن غيره من الجغرافيين السابقين عليه بأنه لم يتأثر بالجغرافية اليونانية ، بل هو أول من استقل عن بطليموس من جغرافيين المسلمين . فقد ذكر المقدسي أنه قسم الأرض إلى ٢٠ قسما ، في حين قسمها بطليموس إلى سبعة أقاليم ، وفي هذا انفصال واضح عن التقسيم البطليموسي (٢) .

وقد ألف البلخي كتاب الأشكال ، أو صورة الأقاليم ، انذى يتضمن مجموعة من الخرائط مع شروحاتها ، كما ألف كتاب المسالك والممالك الذي لم يصل إلينا . ويعتبر البلخي من رواد المسلمين في صناعة الخرائط .

٢ — الإصطخرى (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي ، ت في القرن الرابع) في كتاب المسالك والممالك الذي اعتمد فيه على كتاب المسالك والممالك للبلخي ، وقد زود الإصطخرى كتابه بعدد من الخرائط ، على نفس النظام الذي اتبعه البلخي في كتابه السالف الذكر ، وذلك توضيحا لما أورده في كتاب من وصف للأقاليم (٣) .

٣ — ابن حوقل (أبو القاسم محمد ، ت ٣٨٠ هـ) في كتابه المسالك والممالك والمقارن والممالك أو صورة الأرض ، هذا فيه حذو الإصطخرى . وكتابه

(١) قولاً زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٢ ، ١٣

(٢) المقدسي ، ص ٤ — قولاً زيادة ، ص ٣٢

(٣) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ص ٣٦

بلمنص رحلته الطويلة التي بدأها في سنة ٢٣٦ هـ من بغداد طلباً لدراسة الممالك والبلدان ، ورغبة في الارتزاق عن طريق التجارة ، واتفى منها بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً زار خلالها ديار الإسلام من الشرق إلى الغرب ، كما زار أثناءها مناطق أخرى من أوروبا مثل بلاد البلغار (١) . واتصل في إفريقية بالفاطمين ، واصطنعوه لهم عينا يعمل لحسابهم ضد الأمويين في الأندلس ، إذ كانوا يتطلعون إلى غزو الأندلس ، والقضاء على دولة بني أمية فيها (٢) . وقد رحل ابن حوقل إلى الأندلس وطاف بدينها وكتب في مقدمة دراسته للأندلس في كتابه تقريراً عنها ، جاء فيه : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، ونفوس تقو لهم ، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية واليسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الأنجاد والبطال . وعلم موالينا عليهم السلام بحلها في نفسها ، ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها » (٣) . ثم ينتقد جيوش الأندلس فيقول : « وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها ، وإن شجعت أنفسهم ، ومرتوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تنصرف على الكيد والحيلة ، وما رأيت ولا رأى غيري بها إنساناً قط جرى على فرس فاره أو برذون هجين ورجلاه في الركابين ، ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغني عن أحد منهم لحوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم . وهم يفرسون

(١) نفس المرجع ، ص ٤٠ — قولاً زيادة ، المرجع السابق ص ٣٢

(٢) عود على مكن ، التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمطريد ،

المجلد ٣ ، ١٩٥٤ ص ١١٥ — مختار العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ،

صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطريد ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٥ — السيد عبد العزيز سالم ،

المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، طبعة بيروت ١٠٤ ، ١٠٥

على الاعراء من الخيل ، وما أطبقت قط جريدة عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه ، لانه مكفى المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ، ولا عدو عليه سواهم وقلما بكثر بهم ... (١) .

وال جانب اعتماد ابن حوقل على الاصطخرى (٦) ، نراه يعتمد أيضا على كتب أخرى للجغرافيين السابقين عليه أمثال ابن خرداذبة وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير السامانيين .

٤- المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ، ت ٣٨٧ هـ) فى كتابه ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . يعتبر المقدسى من كبار الجغرافيين العرب فى القرن رابع للهجرة . فان كتابه المذكور هو خلاصة ماشاهده وعاينه فى رحلاته وأسفاره لمويلة فى ديار الإسلام ، وخدماته للبلوك ، وبجالتة للقضاة ، وتحصيله العلم على علماء والعلماء . وقد اعتمد فيه أيضا على الجغرافيين العرب السابقين عليه أمثال: ابن خرداذبة والجيهانى والبلخى والهمذانى والجاسطى والهمذانى وابن رسته ، الذين انتقدم بقوله ، وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التى قصدتها ، ولا طلب الفوائد التى أردتها ، أما أبو عبد الله الجيهانى ، فانه كان وزير أمير خراسان ، وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيتة ، فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها ، وارتفاع الخنس منها ، وقياس الظل فيها ليتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ، ويعرف دخلها ، ويستقيم له علم النجوم ودوران

(١) نفسه . ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) راجع له ابن حوقل كتابه وخرائطه بناء على طلبه

الملك ، ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل إقليم كوكبا ، مرة يذكر النجوم والمهندسة ، وكرة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة ، وتارة ينعت أوصاف الهند ، وطورا يعصف عجائب الهند ، وحينا يفصل الخراج والرد ، ورأيت ذكر منازل مجهولة ، ومراحل مهجورة ، ولم يفصل الكور ، ولا ترتب الاجناد ، ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها . . . وبذلك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الاجناد ووصف المدائن الجياد . وأما أبو زيد البلخي ، فانه قصد بكتابه الامثلة وصورة الارض بعد ما قسمها على عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال واختصر ، ولم يذكر الاسباب المفيدة ولا أوضح الامور النافعة في التفصيل والرتيب ، وترك كثيرا من أمهات المدن فلم يذكرها . . . وأما ابن الفقيه الهمداني فانه سلك طريقة أخرى ، ولم يذكر إلا المدائن العظمى ، ولم يرتب الكور والاجناد ، وأدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم . . . وأما الجاحظ وابن خردادبة فان كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة . . . (١).

ويمتاز المقدسي بالدقة في كتابته ، والناية بتسجيل الاخبار الغريبة ، وقد سجل منهجه في مقدمة كتابه ، فقال : « فرأيت أن أقصد علما قد أغفلوه ، وأنفرد بفن لم يذكره إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ، ووصف أمصارها المشهورة ، ومدنها المذكورة ، ومنازلها المسلوكة ، وطرقها المستعملة ، وعناصر العقاقير والآلات ، ومعادن الحبل والتجارات ، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ، ومذايبهم ومكاييلهم وأوزانهم ، ونقودهم وصروفهم ، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم ، وما يحمل من عندهم وإليهم ، وذكر

مواضع الأخطار في المغازات ، وعدد المنازل في المسافات وماتم لى جمعة
إلا بعد جولاني في البلدان ، ودخول أقاليم الاسلام ، ولقاء العلماء وخدمتي
للبوك ، وبجالتى القضاء ، ودرسى على الفقهاء ، واختلافى إلى الأدباء والقراء ،
وكتبة الحديث. ومخالطة الزهاد والمتصوفين، وحضور مجالس التماسر والمذكرين،
مع لزوم التجارة فى كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد وقد ذكرنا ما رأيناه ، وما
حكينا ما سمعناه ، فما صح عندنا بالعمانية وأخبار التواتر أرسلنا به القول ، وما
شككنا فيه أو كان من طريق الآحاد أسندناه الى الذى منه سمعناه ، ولم نذكر
فى كتابنا إلا صدرا مشهورا ، أو عالما مذكورا ، أو سلطانا جليلا . . . (١) .

هـ - الشريف الإدريسي (أبو عبد الله محمد ؛ ت ٥٦٠ هـ) فى كتابه صفة
المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى
اختراق الآفاق .

زار الإدريسي كثيرا من نواحي الاندلس والمغرب ومصر والمغرب وآسيا
الصغرى وصقلية وفى صقلية اتصل بملكها الزرمنى روجار الثانى ، فأعجب بعله ،
وطلب منه روجار أن يؤلف له كتابا عن صورة الأرض ، مؤلفا عن مشاهدة
مباشرة ، غير مستخرج من الكتب ، فلما انتهى من تأليفه ، سماه نزهة المشتاق
أو الكتاب الجارى (٢) . وقد لقب الإدريسي باسترابون العرب ويعتبر لذلك
أعظم جغرافى العرب فى العصور الوسطى ، وكتابه يزخر بالمعلومات الصحيحة ،

(١) المقدسى ص ١ - ٨

(٢) Pons Bons Poigues, op. cit. p. 231 - جنتاكت بالنيا ، ص ٣١٣ -

نفس أحد ، ص ٨٢ - حسين مؤنس ، ص ٢٥٧ - ٢٧٥ (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية
فى مدريد ، مجلد ٩ ، ١٠ ، مدريد ، ١٩٦٢)

كما أنه يتضمن مادة وافرة عن بلاد إسلامية وأوربية . ويقال أنه صنع للملك روجار أول كرة أرضية في التاريخ ، رسم عليها خريطة بجميع بلاد العالم ، رسماً غائراً مشروحاً (١) .

ثانياً - الجغرافيون المتخصصون في قطر واعد :

ويمثلهم ثلاثة : الهمداني ، والبكري ، والمهلي ، والبيروني .

١ - الهمداني (أبو محمد الحسن بن يعقوب ، ت ٣٣٤) في كتابه وصف جزيرة العرب ، ، وقد تحدث فيه عن بلاد العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وآثارها ومعادنها (٢) .

٢ - البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز القرطبي ، ت ٤٨٧ هـ) ، في كتابه المسالك والممالك ، الذي وصلت إلينا قطع كثيرة منه ، ويتضح لنا من دراسة ما وصلنا من هذا الكتاب أن البكري اعتمد في الفصل التمهدي على كتابي بطليموس : الجغرافية والمجسطي (٣) . وقد وصلتنا قطعة أخرى من المسالك والممالك ، اعتمد عليها البازون دي سلان في نشر كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . وقد استفاد البكري في كتابه هذا من كتاب مسالك إفريقية وممالكها لأبي عبد الله محمد بن يوسف الوراق (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) (٤) ، ويذهب

(١) سنمود لل الحديث عن العريف الإدريسي عند دراستنا الجغرافية في المغرب والأندلس .

(٢) راجع ما سبق أن ذكرناه عنه في صفحة ٥١

(٣) حنين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩

(٤) جتالك بالنتيا ، ص ٣٠٩

دوزى إلى أن البكرى أكبر جغرافى أنجبهته بلاد الأندلس ، وعلى الرغم من أنه لم يبرح قط أرض الأندلس ، وأنه اعتمد فى نصيبه لكتاب المسالك على مؤلفات من سبقوه من الجغرافيين ، فإن كتابه المذكور يعتبر من أعظم وأجل ما كتب فى جغرافية المغرب ، وقد أظهر البكرى فى تأليفه قدرة على تنظيم المادة وتنسيقها .

٣ — المهلبى (أبو الحسن على بن أحمد ، ت ٣٨٥) ، ألف كتابا فى الجغرافية عن السودان ، أهداه فى سنة ٣٨٥ هـ للخليفة الفاطمى العزيز بالله . وقد اعتمد عليه ياقوت بعد ذلك (١) .

٤ — البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى ، ت ٤٤٠ هـ) فى كتابه ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، المعروف بكتاب الهند ، الذى يعتبر من أقيم الكتب الجغرافية عن الهند وتاريخها . وقد اعتمد فيه البيرونى على مشاهداته فى الهند عند مرافقته لسلطان محمود الغزنوى فى حملاته على الهند ، وأتيح للبيرونى أثناء ذلك تعلم اللغة السنسكريتية وتحصيل علوم الهندوس ، ويمتاز كتابه عن الهند ، الذى عالج فيه موضوعات تتعلق بعضها بعلم طبقات الأرض ، وبعضها بوصف بلاد الهند وموقعها وطبيعتها والحياة الحيوانية والنباتية فيها ، بعمق فى الملاحظات التى أبداهها البيرونى . كما يمتاز بتأملات نفاذة فى ميدان الجغرافية الإقليمية (٢) .

والبيرونى الفضل فى العودة بعلم الجغرافية عند العرب إلى قواعده الأولى القائمة على المشاهدة والرحلة والتجربة الشخصية (٣) .

(١) نفيس أحمد ، ص ٦٣

(٢) نفسه ، ص ٦٩

(٣) حنين مؤنس ، ص ٢٠٣

ثالثا - المعاجم الجغرافية :

ويمثل أصحاب المعاجم التي وضعت في جغرافية المدن : البكري وياقوت .

١ - البكري : في كتابه «معجم ما استعجم» أول ما ألفه البكري في الجغرافية (١)، وأورد فيه « جملة مما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأحصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة ، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة » (٢) . ويعتبر «معجم ما استعجم» أول معجم جغرافي عربي ، وتأليفه لذلك السبب يعد حدثا في تصنيف الكتب الجغرافية عند العرب (٣) .

٢ - ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحوي الرومي ، ت ٦٢٦) في كتابه «معجم البلدان» (١) ، ويتجلى في هذا الكتاب معرفة ياقوت الواسعة بالعالم وتجربته من خلال تجارته وأسفاره في أنحاء العالم الإسلامي ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر . ومع ذلك فياقوت يعتمد في معجمه على النقل من كتب الجغرافية العربية وكتب التاريخ الموجودة في حوزته ، وهو أمين في نقله ، إذ ينسب كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها التي نقل منها .

(١) نفس المرجع ، ص ٣١٨

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥

ص ١٠٣ .

(٣) مؤنس ، ص ٣١٩

(٤) طبعة بيروت ، ١٩٥٥ . (٥ مجلدان)

وقد اختصر السيوطي « معجم البلدان » لياقوت ، في كتاب سماه « مختصر معجم البلدان » ، كذلك استخلص صفي الدين عبد المزن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩) من معجم البلدان مادته الجغرافية ، ووضعها في كتاب أسماه « مرصد الاطلاع في أسماء الامكنة والبقاع » (١) .

ويمتاز معجم البلدان بترتيبه على حروف الهجاء مما يساعد على سهولة الارتفاع بمادته ، كما يمتاز بانساع مادته وغزارتها ، وبالجمع بين المادة الجغرافية والمادة التاريخية والأدبية . وقد قدم لياقوت معجمه بخمسة فصول تناول فيها صورة الأرض ، ومعنى الاقليم والكورة والخلاف والامتان والرساتيق والطوج والاجناد ، واصطلاحات جغرافية ، كالبريد والفرسخ وحكم الارضين من حيث الفتح والخراج والشرع في ذلك (٢) .

٣ - الحبري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت بعد ٨٦٦ هـ) في كتابه الروض المطار في خبر الاقطار ، وهو معجم جغرافي تاريخي مرتب على حروف الهجاء ، وقد نشر المستشرق لبني بروفسال القسم الخاص بالاندلس بعنوان « صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار » (٣) .

رابعاً - الموسوعات العامة :

يمثل هذا النوع من الكتب العامة ثلاثة من كبار الكتاب في عصر المماليك :
التويري ، والعمرى ، والقلقشندي :

(١) طبعة جونيل Juyneboll ، في ٤ أجزاء ، لندن ١٨٥٣

(٢) راجع « تدمية لياقوت في المجلد الأول من معجم البلدان

(٣) القاهرة ١٩٣٧

١ - النورى (شهاب الدين أحمد ، ت ٧٢٣ هـ) فى كتابه الكبير ، نهاية
الارب فى فنون الأدب ، ويتألف من واحد وثلاثين مجلدا ، طبع منها ١٨ مجلدا (١) ،
وبقية الموسوعة ما زالت مخطوطة (٢) . والكتاب يشتمل على مواد أدبية ولغوية
وجغرافية وإدارية ودينية وتاريخية ، وقسمه إلى خمسة فنون ، أفرد الفن الاول
منها لعلم الجغرافية ، وقسمه إلى خمسة أقسام :

الاول - تحدث فيه عن السماء والكواكب .

الثانى - تناول فيه موضوع الآثار العلوية ، فتحدث عن السحاب وسبب
حدوثه والثلج والبرد ، ثم تحدث عن الصواعق والنيازك والرعد والبرق ، وعن
الرياح وأنواعها ، وعن النيران وأسمائها .

الثالث - تحدث فيه عن الليالى والايام والشهور والأعوام والفصول
والمواسم والأعياد .

الرابع - وخصه لدراسة الأرض وما تشتمل عليه من جبال وبحار
وجزائر وأنهار وعيون ، واهتم بالبحث فى طول الأرض ومساحتها وبتقسيماتها
السبعة .

الخامس - وتحدث فيه عن طبائع البلاد وخصائص المدن والمباني (٣) .

٢ - العمرى (شهاب الدين بن فضل الله ، ت ٧٤٨ هـ) ، فى كتابه «مسالك

(١) نشرته دار الكتب المصرية ، وصورته وزارة الثقافة والإرشاد القومى

(٢) الأجزاء من ١٩ إلى ٣١ ، مخطوطة ومصورة بدار الكتب المصرية تحت

رقم ٥٤٩ .

(٣) راجع : النورى ، نهاية الأرب ، ج ١ ص ٤ - ٥ .

الابصار في ممالك الامصار ، . ويتبع في نحو عشرين مجلدا ، ابتداء فيه بالشرق واختتمه بالغرب . وقد نشر الاستاذ أحمد زكي باشا الجزء الاول من هذا الكتاب (١) ، كما نشر الاستاذ حسن حنى عبد الوهاب القسم الخاص بوصف إفريقية والمغرب والاندلس (٢) ، أما القسم الاعظم من ممالك الابصار فما يزال مخطوطا ، ودار الكتب المصرية نسخة مصورة من كتاب ممالك الابصار (٣) .

ومن المعروف أن هذا الكتاب ينقسم إلى قسمين كبيرين : الاول أفرده المؤلف للأرض وما يتبعها ووصف أقاليم الأرض ، وممالك الممالك والرياح ، ومواقع مشاهير المدن وأعظمها ، أما القسم الثاني فخصصه لدراسة سكان الأرض مغاربة ومشاركة ، ويبحث في هذا القسم عن المعادن والحيوانات والنباتات .

٣ — القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) في كتابه « صحيح الاعشى في صناعة الإنشا » (٤) ، الذي كتبه بديوان الإنشاء بمصر ، ورتبه على مقدمة وعشر مقالات وغائمه . ففي الفصل الثالث من المقالة الاولى يتحدثنا عن الازمنة والافاق وأيام الشهور والسنين ، وفي المقالة الثانية يتحدثنا عن الأرض : شكلها وأقاليمها الطبيعية وأنواع البحار .

* * *

(١) نشر في القاهرة ، ١٩٢٤

(٢) نشره في تونس ، من مطبوعات مجلة البدر

(٣) محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٦٨ تاريخ ،

(٤) نشر في القاهرة في ١٤ جزءا ، سنة ١٩١٣ - ١٩١٥

كتب الجغرافية في الأندلس والمغرب :

اهتم الأندلسيون بالتأليف في الجغرافية اعتماداً خاصاً ، لانقطاعهم عن العالم الإسلامي ، واحتكاكهم بالعالم الأوربي ، وهو عالم كان لازماً عليهم أن يعرفوا مسالكه الموصلة إلى بلادهم ، وطبيعته الجغرافية وسكانه . وبدأ التأليف في الجغرافية في الأندلس في نفس الوقت الذي ظهرت فيه التواليف التاريخية . وكان الجغرافيون الأولون في الأندلس مؤرخين وجغرافيين في آن واحد ، على النحو الذي كان شائعاً في المشرق الإسلامي ^(٢) ، فكا كان هشام بن محمد السكلي واليعقوبي مؤرخين وجغرافيين في وقت واحد ، كان أحمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤ هـ) أول مؤرخ في الأندلس مؤرخاً وجغرافياً ، ويعتبر أبو الجغرافيه الأندلسية كما يعتبر أبو التاريخ الأندلسي ^(٣) .

وقد عرف الجغرافيون الأندلسيون كيف يفتقدون من مصنفات الاغريق واللاتين في وصف جزيرة الأندلس وما اتصل بها من الأقطار الأوربية المجاورة ، ومع ذلك فلم يفتقدوا دائماً بهم في المذهب الفلكي في الجغرافية أى التقسيم البطليموسي إلى أقاليم ذات خصائص فلكية ، ولكنهم أخذوا عن بطليموس ما ذهب إليه في الوصف العام المثلث أو المركز لجزيرة الأندلس ، كما أخذوا عن هرودوت ^{Horosius} آراءه في شكل شبه الجزيرة . وأضافوا إلى ذلك ما أمكنهم جمعه من مادة عن طريق السماع أو المشاهدة والمعاينة ^(٤) .

(١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ص ١٩٩

(٢) قس المرجع ، ص ٢٢١

(٣) قس المرجع ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

وأول من كتب في جغرافية المدن في الأندلس محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ) الذي صنف «كتاب الرأيات»، وهو كتاب تاريخي وجغرافي، ولكن ابنه أحمد الرازي هو أول من كتب كتاباً جغرافياً حقيقياً عن الأندلس، ولذلك يعدونه الرائد الأول لعلم الجغرافية في الأندلس. واعتبروه أيضاً شيخ المؤرخين، ولقبوه بالتاريخي.

تتلذد أحمد بن محمد الرازي على قاسم بن أصبغ البياضي (ت ٣٤٠ هـ) (١) الذي اشترك مع الوليد بن خزيان في ترجمة كتاب تاريخ هرويش (٢). وبفضل هذه الترجمة العربية اطلع الأندلسيون في مقدمة الكتاب على وصف المعمور من العالم، ومن هذه المقدمة أفاد المؤرخ الجغرافي أحمد الرازي ونهج منهج كتاب هرويش في كتابه «أخبار ملوك الأندلس»، فبدأه بمقدمة جغرافية هامة، أعقبها بدراسة لتاريخ الأندلس، وفي هذه المقدمة تأثر بهرويش في وصفه لجزيرة الأندلس كما تأثر ببطليموس في تصويره العام لشكل البلاد المثلث، وأضاف إلى ذلك ما استطاع جمعه من مادة عن طريق السماع والمشاهدة، بحيث تألف مما كتبه موضوع جغرافي متكامل يتناول الوصف الطبيعي من الشكل العام للبلاد، والموقع ودراسة السطح وما يقوم عليه من جبال أو يشقه من أنهار. ثم دراسة كل قسم إداري على حدة، مع العناية بمصادر الثروة وأوجه الانتفاع منها. وذكر المسالك والمراسي وأمهات المدن والأجناد، وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره (٣): وقد

(١) راجع ترجمته في Pons Boigues, op. cit. p. 59 - 60

(٢) Lévi Della Vida, la traduzione arabe della Storie de

Orosio, Al Andalus, vol. XIX, pp. 257-265, 19٢4 — ح. بن مؤنس،

راجع السابق، ص ٢٣٥

(٣) الحيدى (أبو عبد الله محمد بن فنوح) جذوة المقيس في ذكر رجال الأندلس،

تغني عن محمد بن ناوي الطنجي، القاهرة ١٣٧١ هـ، ص ٩٧

نقل عن الرازى فى مقدمته الجغرافية كثير من الجغرافيين الاندلسيين أمثال
البكرى والإدريسى وابن غالب الأندلسى .

وبلاحظ أن الرازى تأثر فيما كتبه بهرويش ، فقل عنه أن جزيرة الأندلس
« ذات ثلاثة أركان » (١) ، وأن شكلها « مثلث » ، وهى معتمدة على ثلاثة أركان :
الأول هو الموضع الذى فيه صنم قانس المشهور بالأندلس ، ومنه مخرج البحر
المتوسط الشامى الآخذ بقبلى الأندلس . والركن الثانى هو بشرقى الأندلس بين
مدينة ربونة ومدينه برديل بما بأيدى الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتى ميورقة
ومنورقة . والثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل
الموفى على البحر ، وفيها الصنم العالى المشبه بصنم قانس وهو الطالسع على بلد
برطانية (٢) . وقد نقل الجغرافيون من بعده العبارة الدالة على « تركين الأندلس
وتثليتها » . فأبو بكر عبدالله بن الحسك المعروف بابن النظام يقول : « وصفا
الأندلس شكل مركان على مثال الشكل المثلث ... » (٣) . وذكر ابن سعيد
المغربى أنهم « اتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا فى الركن
الذى فى الشرق والجنوب فى حيز أربونة . فمن قال إنه فى أربونة ، وإن هذه
المدينة تقابلها مدينة برديل التى فى الركن الشرق الشمالى أحمد بن محمد الرازى وابن
حيان ، وفى كلام غيرهما أنه فى جهة أربونة ، وحقق الأمر الشريف (يقصد

(١) ابن غالب الأندلسى « قطعة من كتاب « فرحة الأناضول فى تاريخ الأندلس » ،

تتبع الدكتور لطفى عبد البديع ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٢

(٢) المقرئ ، فتح الطيب ، ج ١ : ص ١٢٨

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٠

الادريسي) وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار برا وبحرا إليها ، وتفرغه لهذا الفن . . . وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح ما ذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة غير داخلتين في أرض الأندلس ، (١) وذكر الخبيري أن جزيرة الأندلس سميت بجزيرة ، لأنها شكل مثلث وتضيق من ناحية شرق الأندلس حتى تكون بين البحر الشامى والبحر المظلم المحيط بالأندلس خمسة أيام . . . ، (٢) .

وبتعرض الرازى لذكر مناخ الأندلس ، فيشير إلى اختلاف هبوب الرياح وجريان الأنهار في شرق الأندلس عن غربها فيقول ، « الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان أنهارها : أندلس غربي ، وأندلس شرقي ، فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي ، وتطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية الشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شتمرية طالعا إلى حوز لغريطة المجاورة لطليطلة ، مائلا إلى الغرب ، ويجاورا البحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة ، والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى ، وتجري أوديته إلى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حد جبل البشكنش ، هابطا مع وادي إمبرة إلى بلد شنت مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر تيران ، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض ، ويسمى البحر الكبير ، (٣) .

(١) المقرئ ، المصدر السابق ص ١٢٦

(٢) الخبيري (أبو عبد الله محمد) صفة جزيرة الأندلس منقبة من كتاب الروض المطاوع

في خبر الأقطار ، تحقيق ليفي برونفالن ، القاهرة ١٩٣٧ ص ٢

(٣) المقرئ ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٩

ووصف الرازي لجبال الاندلس وأنهارها يعتبر من أدق وأضبط ما كتب عنها ، وعند معالجتة للندن نراه يهتم بدراسة مواقعها وحصونها وخصائصها . من حيث الوقوع على البحر أو الاتصال بسهل أو نهر ، وحاصلاتها ، وثرواتها المعدنية .

وإذا كان أحمد بن محمد الرازي هو أول من كتب في جغرافية الاندلس فإن أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت ٣٦٣ هـ) ، وكان معاصرا له ، اختص بالكتابة في جغرافية المغرب ، فقد كان أندلسيا من وادى الحجارة ، ثم هاجر إلى إفريقية ، ونزل القيروان وأقام بها فترة صباه إلى أن عاد إلى الاندلس في عصر الحكم المستنصر ، فكتب له كتابا ضخما في مسالك إفريقية وممالكها ، كما ألف في أخبار ملوكها والغالبين عليهم كتب كثيرة ، وألف كتابا في أخبار تيمرت ووهران ونفس وبجلماسة ونكور والبصرة^(١) وقد استوعب البكري مادة الوراق الواردة في المسالك في كتابه المسالك والممالك ، ، وتمتاز كتابة الوراق في كتابته - استنتاجا مما ورد في المغرب في أخبار إفريقية المغرب للبكري - أنها تجمع بين الكتابة التاريخية والجغرافية (٢) أي أن المادة التاريخية تنزج في المادة الجغرافية في صياغة متسقة . وتلا هذا الجيل من جغرافي الاندلس جيل آخر عاش من النصف الأول من القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس ، ومنهم أحمد بن عمر بن أفس العذري الدلائي . (ت ٤٧٦ هـ) صاحب كتاب نظام المرجان في المسالك والممالك ، نشر منه الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني قطعة عن الاندلس تشتمل على كور تدمير وبلنسية وسرقطة ووشقة وقرطبة

(١) حسين - مؤنس ، ص ٢٦٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧١

والبيرة وإشبيلية ولبلة وشذونة والجزيرة الخضراء ، (١) ويتضح لنا مما لشر من نظام المرجان ، أن العذرى كان ينهج في كتابته منهج الرازى من تزويد المادة الجغرافية بمادة تاريخية . وتمتاز كتابة العذرى بالدقة البالغة في استخدام الاصطلاحات كالسكورة والقاعدة وعنصر النهر والساقية والناعورة .

ومنهم أبو الوائيد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضى (ت ٤٠٢ هـ) الذى عرف بمعجمه فى التراجم الموسوم بتاريخ علماء الأندلس ، ولم يصل إلينا كتابه المطول فى تاريخ علماء الأندلس عن طريق مدينتهم . ولكن وصلتنا منه فقرات أوردها المقرئ فى نفح الطيب .

ومنهم أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان (ت ٤٦٩ هـ) الذى ذاع صيته عند علماء التاريخ بأنه عمدة مؤرخى الأندلس وأعظم من أنجبته الأندلس من علماء التاريخ ، ويدد أنه مهد لكتابه المقتبس الذى اشرنا إليه عند تعرضنا للتاريخ المحلى فى الأندلس بفصل جغرافى تمهيدى على النحو الذى اتبعه الرازى من قبل فى كتابه وأخبار ملوك الأندلس ، ونستدل على ذلك من الاقتباسات ، الواردة فى نفح الطيب عن إسبانيا وعن جسر قرطبة وعن مدينة الزهراء ، بالإضافة الى ما تتضمنه القطع المشورة من المقتبس من معلومات جغرافية كثيرة (٢) .

(١) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المذرى المعروف بابن الدلائى ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مطبوع ١٩٦٥ .

ومنهم أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام ، وأبو بكر أحمد ابن سعيد بن أبي الفياض ، وأبو عبيد الله البكري ، وعبد الله بن إبراهيم بن وزر الحجاري (١) . ونصل بعد ذلك الى الشريف الإدريسي ، وهو قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد قول الدكتور حسين مؤنس (٢) لأنه لم يكن أول جغرافي متخصص في هذا العلم فحسب ، بل لأنه فاق في الحقل الجغرافي من سبقه من الجغرافيين القدامى والمعاصرين له ، بل فاق يظلموس نفسه وزاد عليه ، ثم لأنه أنتج في الجغرافية التي وهب حياته لها مالم ينتجه السابقون عليه ولا اللاحقون له (٣) ، وسد هو والبكري الجفرائي ثغرة في علم المسالك والممالك كانت واضحة في جغرافية المغرب الاسلامي (٤) . لقد قضى الإدريسي معظم حياته سائحا في بلاد العالم وأقطاره العربية وغير العربية مثل آسيا الصغرى وصقلية وجنوب فرنسا وإيطاليا ، ويبدو أن الإدريسي بدأ نشاطه في التأليف بكتابه « الجامع لأشتات النبات أو كتاب المفردات أو كتاب الأدوية المفردة » قبل أن يفسد على صقلية ، قاصدا بني حمود الادارسة بها ، ويبدو أيضا أن رجاء الثاني ملك صقلية سمع بشهرته في علم النبات ، فقر به إليه ، وأدناه منه ، وعمل على الاستفادة من علمه ، ثم اكتشف موهبته في علم الجغرافية ، فحاول أن يرغبه في البقاء بصقلية وعمل صورة مجسمة للأرض ، ويرجح الدكتور حسين مؤنس أن الإدريسي وافق على ذلك ، وأنه

(١) حسين مؤنس ، ص ٢٩٨ - ٣٥٩

(٢) حسين مؤنس ، الجغرافيه والجغرافيون في الأندلس ، صحيفة مهادلراعات الإسلامية

بمريد ، المجلدان ٩ ، ١٠ ص ٢٥٧

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٥٩

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة

المغاربية في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد

٨ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٩٥

بادر بإكمال رحلته إلى المغرب حيث استكمل ما أراد من دراسة جغرافية المغرب، ثم ذهب إلى الاندلس للدراسة والمشاهدة، وعاد بعد ذلك إلى صقلية، وبدأ العمل مع رجار، (١)، فألف له كتابه المشهوره نزعة المشتاق في اختراق الآفاق، وامتدح رجار في مقدمته بقوله، «فإن أفضل ما عني به الناظر، واستعمل فيه الأفكار والخواطر، ما سبق الملك العظيم رجار المعز بالله، المقtedir بقدرته، ملك صقلية، وإيطالية، وأنكبره، وقاورية، لإمام رومية، الناصر اللة النصرانية، إذ هو خير من ملك الروم بسطا وقبضا، وصرف الأمور على إرادته إبراها ونقضا، ودان في ملته بدين العدل، واشتمل عليهم بكشف التطول والفضل، وقام بأسباب مملكته أحسن قيام، وأجرى سنن دولته على أفضل نظام، وأجل القيام، وافتتح البلاد شرقا وغربا، وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بعدا وقربا، بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد، وأساطيل متكاثفة متناصرة المدد...» ويمضى في مدحه، وإحصاء آثره فيقول في جملة ما يقوله: «ثم جمع إلى كرم الانطلاق، طيب الاعراق، وإلى جميل الفعال، حسن الخلال، مع شجاعة النفس، وصفاء الذهن، وغور العقل، ووفور الحلم، وسداد الرأي والتدبير، والمعرفة بتصاريف الأمور، من نهاية النهم الناقب، ومراهم كالسهم الصائب، ومقفلات الخطوب مستفتحة لديه، وجميع السياسات وقف عليه، ونوماته يقطات الانام، وأحكامه أعدل الأحكام، وعطاياه البحار والزواجر، والفتوح المواطر. وأما معرفته بالعلوم اثرياضيات والعمليات فلا تندرك بعد، ولا تحصر بحد، لكونه قد أخذ كل من فن منها بالخط الأوفر، وضرب فيه بالقدح الممل، (٢). ويشرح الإدريسي بعد ذلك الظروف التي دفعته إلى تأليف كتابه

(١) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٨٢

Michele Amari, Biblioteca Arabo - Sicula, Lipsia, (٢)

« نزهة المشتاق » ، فقال : « فأمر عند ذلك (يهـ سـ د ر جـ) أن يفرع له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، في وزن أربعمائة رطل بالرومي ، في كل رطل منها مائة درهم واثني عشر درهما . فلما كملت أمر النحلة أن ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وسيفها وريفها ، خلجانها وبحارها ، وبحار مياها ، ومواقع أنهارها ، وعامرها وغارها ، وما بين كل بلد من بلدانها وبين غيرها من الطرقات المطروقة ، والأقاليم المحدودة ، والمسافات المشهودة ، والمراسي المعروفة على نص ما يخرج إليهم ممثلا في لوح الترسيم ، ولا يغادروا منه شيئا ، ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه ، وأن يؤلفوا كتابا مطابقا لما في أشكالها وصورها ، غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين في خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها وأنهارها ومماواتها ومزدرعاتها وغللاتها وأجناس نباتها وخواصها ، والاستعمالات التي تستعمل بها ، والصناعات التي تنفق بها ، والتجارات التي تجلب إليها وتحمل منها ، والمعائب التي تذكر عنها وتنسب إليها ، وحيث هي الأقاليم السبعة مع ذكر أحوال أهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزينهم وملابسهم ولغاتهم ، وأن يسمى هذا الكتاب بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وكان ذلك في العشر الأول من ينير الموافق لشهر شوال الكاين في سنة ثمان وأربعين وخمسة ، فامثل فيه الأمر وارسم الرسم ، وأول ما ابتدئ به الكلام على صورة الأرض ، (١) .

وذكر المصنف في كتابه الوافي بالوفيات أن رجلا استفد الشريف الإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق من العدة إليه ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم ، فلما وصل إليه أكرم نزهة وبالف في تعظيمه ، فطلب منه شيئا

من المعادن لبضع منه ما يريد ، فحمل اليه من الفضة الحجر وزن أربعمائة الف درهم ، فصنع فيها دوائر كثيرة الأفلاك ، وركب بعضها على بعض ثم شكلها له على الوضع المخصوص ، فأعجب به رجار ، ودخل في ذلك ثلث الفضة ، وأرجح بقليل ، وفضل له ما يقارب الثلثين ، فتركه له إجازة ، وأضاف لذلك مائة الف درهم ومركبا موسقا كان قد جاء إليه من برشلونة بأنواع أجسلاف الرومية التي تجلب للوك ، وسأله المقام عنده . وقال له أنت من بيت الخلافة ، ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ومتى كنت عندى أمنت على نفسك ، فأجابه الى ذلك ، ورتب له كفاية لاتكون الا للملوك ، وكان يحىء اليه راكب بغلة ، فاذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معا ، وقال له أريد تحقيق أخبار البلاد بالمدينة لا بما يتقل من الكتب ، فوقع اختيارهما على اناس ألباء فطناء أذكاء ، وجهزم رجار الى اقليم الشرق والغرب جنوبا وشمالا ، وسفر معهم قوما مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عيانا ، وأمرهم بالتعصى والاستيعاب لما كان لابد من معرفته ، فكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبتة الشريف الإدريسي ، حتى تكامل له ما اراد ، وجعله مصنفًا ، وهو كتاب نزهة المشتاق الذى للشريف الإدريسي ، (١) ونستنتج مما ذكره الشريف الإدريسي في مقدمته لكتاب « نزهة المشتاق » ، وما ذكره الصفدى فى « الوافى بالوفيات » ، ان الإدريسي بدأ عمله بصنع خريطة من صفائح الفضة ركبت على كرة تمثل الأرض ، ونقش على هذه الصفائح ما كان قد رسمه بطليموس فى الأقاليم السبعة ، ثم قسم محيط الكرة طولًا الى عشرة اجزاء متساوية بخطوط تبدأ من القطب الأعلى الى الأسفل ، تقاطع مع خطوط العرض ، فتولف ما يشبه المستطيلات . وما إن تم له ذلك حتى نزع هذه الصفائح وبسطها ،

محولاً على هذا النحو الخريطة الكروية إلى خريطة مسطحة (١) ، مع مراعاة ما يترتب على هذا التحويل من عمليات رياضية وحسابية دقيقة ، وجعل التقاشين ينقلون على مستطيلاتنا محتويات كل مستطيل من مستطيلات الخريطة المسطحة ، واستعان في ذلك برجال ألباء فطناء وجههم إلى أقاليم الأرض للتقصى ، وتزويده بالمعلومات اللازمة . وأقام الإدريسي ١٥ سنة يعمل في هذه الخريطة حتى أتمها على لوح الترسيم ، ثم نقل لوح الترسيم على كرة أرضية عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، ثم اختتم عمله بتأليف كتاب ضخيم يطابق ما جاء في هذه الخريطة من معلومات ، وأزاد عليها بوصف أحوال البلاد الطبيعية والاقتصادية من ذكر نباتاتها وسطحها وصناعاتها وتجاراتها ، مع الاهتمام بالإشارة إلى أحوال سكانها من شكل ومذهب وزينه وزى ولغة (٢) .

(١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٠١ وما يليها

(٢) راجع البحث القيم الذى قام به الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عن الإدريسي في

مقاله السابق .

(٤)

كتب المرحوم

فإن العرب في ميدان الرحلة والكشف الجغرافى غيرهم من الشعوب ، فلقد كانت الرحلة من أهم عوامل الرباط وتواصل بين أنحاء العالم الاسلامى في عصور القوة ، كما كانت من أهم خصائص المجتمع العربى الاسلامى في عصور الازدهار الحضارى ، وساعد على الرحلات اتساع رقعة الدلة العربية بعد الفتوحات ، وانطلاق المسلمين الى مراكز العلم المختلفة في سائر أقطار العالم الاسلامى (١) . كذا رحل الناس للتجارة بين الأقطار الاسلامية في المشرق والمغرب ، (كسليمان السمراني الناجر) ، أو لاداء فريضة الحج الى مكة (كناصر خدرو وابن جبير) ، أو للتجسس (كأبن حوقل) ، أو طلبا للاستطلاع وحبا في الاستزادة من معرفة شعوب العالم الاسلامى (كالمقدسى) ، أو لقيام مهمة ، كأن يكون الرحالة سفيرا للخليفة أو السلطان (كأبن فضلان . والوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني) .

ولا ننسى أن العرب كانوا قد اعتادوا على الرحلات التجارية في عصر الجاهلية . فكانت قوافلهم التجارية تنقل المتاجر من اليمن إلى الشام ، والعكس بالعكس ، برا وبحرا (٢) . ولقد انفتحت أمام العرب بعد الفتوحات الاسلامية المجالات الواسعة للتجارة العالمية ، فاتسعت آفاق الرحلات التجارية ، وارتبطت

(١) ذكر محمد حسن ، الرحالة المسلمون و العصور الوسطى ، ص ٦ .

(٢) جورج فاضلو حورانى ، العرب والملاح في المحيط الهندي ، ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٣ وما يليها — Aly Mohamed Fahmy, Muslim sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, p. 41

السيد عبد العزيز سالم ، عصر ما قبل الاسلام ، ص ١٦٨

الأسواق الإسلامية في المشرق والمغرب فيما بينها ، وأصبح تجارا الأندلس يرحلون إلى الهند وتركستان ، كما أصبح التجار الترك والفرس يرحلون إلى الصين وحتى إلى بلاد المغرب والأندلس (١) .

وكان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وانتشار الإسلام في الأقطار المفتوحة أثر عظيم في قيام المراكز العلمية في البصرة والكوفة وبغداد ، وبخارى وسمرقند ومرو ونيسابور ، وقوص والفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس الشام ودمشق وبلبك ، وجدة وعدن ، وتونس والقبروان وبجاية ووهران وسجلماسة وفاس ، وقرطبة وغرناطة وإشبيلية والمرية ومالقة ، وغير ذلك من المدن الإسلامية التي عرفت بازدهارها الحضارى في العصر الاسلامى . وكان من الطبيعى أن ينتقل المسلمون من مركز علمى إلى آخر في هذه الدولة الإسلامية ، مترامية الأطراف ، التماسا للعلم ، ورغبة في تحصيله على شيوخه في المشرق والمغرب . ولقد عقد المقرئ في كتابه « نفع الطيب » بابين كبيرين أفردهما لذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، وفي الوافدين إلى المشرق من الأندلس (٢) ، ويمكن

(١) ذكر المقرئ قلا عن ابن حبان أن تجارا من الشرق (من عدن) ، كانوا يقدون إلى قرطبة في زمن المنصور بن أبى عامر للتجارة في الجواهر والأحجار النفيسة (نفع الطيب ، ج ١ ص ٣٨٨) . ويستدل من شواهد القور التي كشف عنها البحث الأثرى في المرية على أن تجارا من مصر والشام ومن بغداد كانوا يشتغلون بالتجارة في المرية (Romon Revilla Viéva , Patio arabe del Museo Arqueológico nacional de Madrid, Madrid, 1932, p. 120 - Lévi - Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, t. I, p. 116.)

(٢) المقرئ ، نفع الطيب ، الباب الخامس في ذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، ج ٢ ص ٢١٣ - ٤٣٣ ، ج ٣ ص ٤ - ٤٥٨ ، والباب السادس في ذكر الوافدين إلى المشرق من الأندلس ، ج ٤ ، ص ٤ - ١٤٥ .

أن تذكر من أمثلة ذلك العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي رحل من تونس إلى مصر حيث استقر بها واتخذها مركزاً ثابتاً له (١) ، وإن كان ذلك لم يمنع من قيامه برحلة إلى الحجاز ورحلة إلى الشام ، والفقيه محمد بن نورث مؤسس دولة الموحدين يرحل من قريته في السوس من بلاد المغرب في طلب العلم ، وينتهي إلى بغداد حيث يأخذ فيها شيئاً من أحوال الدين ، ثم يرحل إلى الشام ، ثم إلى مصر ، ويجوب عواصم المشرق الإسلامي زهاء إحدى عشرة سنة قبل أن يعود إلى موطنه بالسوس (٢) . كذلك كان الحج من بواعث الرحلات ، فقد ظل الدين الإسلامي واللغة حتى بعد أن تفتت الوحدة السياسية للعالم الإسلامي (٣) ، بربطان الشعوب الإسلامية ، وتابع الرحالة المسلمون رحلاتهم لتأدية فريضة الحج على الرغم من الانفصال السياسي الذي شمل أقطار العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة .

وكان معظم الرحالة المسلمين يحرصون على تدوين مشاهداتهم ، وتسجيل أخبار رحلاتهم وأسفارهم ، والمسالك والطرق التي ساروا فيها ، والمسافات التي قطعوها في تنقلاتهم ، ويصفون المدن التي نزلوها ، ويذكرون الصعوبات التي

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ورحلته غرباً وشرقاً ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاووت الطنجي ، القاهرة ١٩٥١ — ولترج . قتل ، نشاط ابن خلدون في مصر الملوكة ، مقال في « دراسات إسلامية » ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة وآخرين ، بيروت ، ١٩٦٥ ص ١٧٧ — ١٩٧ .

(٢) أبو بكر الصنهاجي ، كتاب أخبار المهدي بن نورث ، تحقيق الأستاذ ليلى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٥٢ — ليلى بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حليم ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٦٥-٢٦٩ . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٧ وما يليها .

(٣) سمد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ٩٦ .

وأجهتهم في رحلاتهم ، ويصفون ما عاينوه من مظاهر الحضارة في كل بلد طرقوه ،
كالمنتجات الزراعية والصناعات والتجارة . كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر
الحياة الاجتماعية في الأقطار المختلفة التي مروا بها ، ولعل ذلك يوضح لنا الفارق
بين الجغرافى والرحالة ، فالرحالة يعتمد على المشاهدة والمباشرة ، ولذلك فإن
كتابه لا يتجاوز وصف ما شاهده في أثناء رحلته ، أما الجغرافى فيعمل على تغطية
كل الإقليم الذى يتناوله بالبحث فيسأل ويستقصى ، ويجمع المعلومات من الحجاج
وطلبة العلم والمغامرين والتجار والملاحين ، وليس من الضروري أن يكون
الجغرافى رحالة .

وعلى الرغم من تعدد دوافع الرحلات في الإسلام ، فإن ما وصلنا من كتب
الرحلات قليل إذا قيس بالمصنفات الخاصة بالرحلات (١) ، ولعل السبب في ذلك
يرجع الى ضياع معظمها ، وإلى أن كثيرا من الرحالة آثر أن يدمج مشاهداته فيما
ألفه من كتب تاريخية أو جغرافية كإن حوقل واليعقوبى والمسعودى . وأقدم
ما وصلنا من أخبار الرحالة المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجره تشير إلى أن
تجارا من العرب من عمان وسيراف والبصرة كانوا يصلون إلى الصين ، ويروى
المسعودى أخبار بعض هؤلاء الرحالة . فيذكر أن تاجرا من سمرقند خرج من
بلادهم وقد حمل من المناع أحمالا كثيرة ، فوصل إلى العراق ، ورحل إلى البصرة ،
ثم ركب البحر حتى وصل إلى عمان ، وركب من هناك إلى بلاد كلاء الواقعة في
منتصف الطريق إلى الصين (٢) . ولستنتج من أقوال الرحالة سليمان السيرافى ،

(١) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٤٨

(٢) المسعودى ، صوح الذهب ، ج ١ ص ١٤٠

الذى ينسب إليه كتاب أخبار الصين والهند (١) ، وجود جاليات إسلامية بالصين (٢) كانت تتمتع في زمانه بامتيازات خاصة . ولقد ذيل رحالة عربي هو أبو زيد الحسن بن اليزيد السيرافي على كتاب سليمان السيرافي ، وأضاف إليه معلومات استقاها من أحاديثه مع التجار والملاحين في سيراف . وفي منتصف القرن الرابع الهجري يروي الرحالة الفارسي بزرگ بن شهريار في كتابه الموسوم بكتاب عجائب الهند ، كثيرا من القصص التي جمعها من أفواه الملاحين والتجار في سيراف والبصرة وعمان عن الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا (٣) .

ويمكننا استنادا إلى مارواه هؤلاء الرحالة أن نستنتج بأن الرحالة المتجهين إلى الهند والصين كانوا يبحرون من الأبله ميناء البصرة ، وتقع على مصب دجلة . ولكن الصعوبات التي كانت تعترض طريق الملاحة عند رأس الخليج العربي كانت جافزا على قيام سيراف على ساحل إيران ، جنوبي شيراز ، وقد ازدهرت التجارة البحرية في سيراف ازدهارا جعلها تنافس البصرة في المكان الأول وفي الأهمية الاقتصادية . ومن سيراف كان التجار يبحرون إلى الهند وإلى خانفو (كانتون) أعظم مراكز التجارة في الهند الصينية (٤) .

ومن الرحالة العرب الذين كان لهم شأن كبير في القرن الرابع الهجري أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان ، الذي أوفده المقتدر العباسي إلى ملك

Relation de la Chine et de l'Inde, éd. par Jean Sauvaget, (١)
Paris, 1948

ibid. p. 19 (٢)

(٣) جورج فانلو حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ص ٢٠٤

(٤) نفس المرجع ، ص ٢١٦

البغداد بالفلج في سنة ٣٠٩ هـ . وابتدع دون ابن فضلان وصفاً لرحلته في كتاب .
كان مرجعاً أساسياً للجغرافيين أمثال المسعودي والاصطخري وياقوت (١) .
ومن الرحالة العرب الذين برزوا في القرن الرابع الهجري المسعودي ، الذي
اكتسب شهرته كمؤرخ وجغرافي ورحالة . وقد جاب المسعودي الآفاق ، وزار
فارس ومناطق من الهند (الملتان وسيلان والسند والبنجاب) وزار مليار والصين
ومدغشقر وآسيا الصغرى والشام ، واستقر بهر حيث توفي في سنة ٣٤٦ هـ (٢) .
ويعتبر كتابه « مروج الذهب » سجلاً هاماً لرحلاته وملاحظاته ، ففيه دون
خلاصة تجاربه وخبراته التي اكتسبها في رحلاته ، ولذلك فإن هذا الكتاب على
حد قول الدكتور نقولا زيادة « كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلم
وملاحظة وأخبار وأساطير » (٣) .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري ، أصبح في إمكاننا أن نميز من الرحالة
العرب والمسلمين فريقين :

١ - رحلة مشاركة ٢ - رحلة مغاربة .

مع العلم بأن رحلات المغاربة إلى المشرق فاقت كثيراً رحلات المشاركة إلى المغرب .

أولاً - الرحلة المشاركة ومصنفاتهم :

(١) ناصر خمر وعلوى (٤٨١ هـ) ، سفرنامه :

(١) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون، ص ٢٦ وما يليها - نقولا زيادة ، الرحالة العرب ،
القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٤٤

(٢) زكي محمد حسن ، نفس المرجع ص ٣٦ وما يليها - نقولا زيادة ، ص ٤٧

(٣) نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص ٤٧

هو رحالة فارسي الأصل ولد في بلدة نباديان من أعمال مدينة بلخ في سنة ٣٩٤ هـ ، وقضى فترة طويلة من شبابه وهو يحب أنحاء إيران وتركستان والهند ، واستقر به المطاف في مرو ، وعمل في خدمة الغزنويين حينما حثوا دالت دولتهم ثم التحق في ديوان السلاجقة بمرو ، حيث انغمس في حياة اللهو والخلاعة والمجون في بلاط جفري بك السلجوقي حاكم خراسان حتى سنة ٤٣٧ هـ ، ثم استجاب لنداء هانف جاءه في نومه ونهاه عن المعاصي وعن شرب الخمر ، وأسر إليه بالحج ، فعزم ناصر خسرو على تلبية نداء الهاتف ، وبهذه صفحة جديدة من حياته ، ورحل لتأدية فريضة الحج ، فبدأ رحلته من مرو إلى الشام مارا بنيسابور والري وتبريز وميافارقين وآمد وحران ، ثم دخل الشام عن طريق منبج ، وزار أمم مدنها ، حتى انتهى إلى الرملة والقدس ، ومن هناك اتجه إلى مكة حيث أدى فريضة الحج ، وعاد إلى القدس ، واجتذبه مصر ، فخرج عليها ، واستقبله الخليفة المستنصر بالله الفاطمي استقبالا حسنا ، واتصل في مصر ببعض رؤساء الاسماعيلية ، ويبدو أنهم استمالوه إلى المذهب الاسماعيلي ، فترك مذهب السني وأصبح منذ ذلك الحين اسماعيليا متمصبا للفاطميين . ولما عاد إلى وطنه في سنة ٤٤٤ هـ وأبدى بعض آرائه في المذهب الاسماعيلي ، اضطهد وطورد ، واضطر إلى الفرار إلى مكان حيث قضى البقية الباقية من حياته (١) .

ولقد سجل ناصر خسرو أخبار رحلته وحوادثها يوما بعد يوم ، وذلك بعد عودته إلى خراسان ، ودون في هذا الكتاب مشاهداته في البلاد التي زارها في

(١) راجع : مقدمة كتاب سفرنامه ، تحرير الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ص ١ — خ ، وزكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٥٦ وما يليها — نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص ٤٨ .

طريقه الى مكة ومصر وفي أثناء عودته الى بلخ . وتبر ملاحظاته عن فهم عميق بحياة الشعوب ، وادراك كامل لمظاهر الحضارة فيها ، ووعى واضح بنظم الحكم والعادات والتقاليد ، ولهذا السبب يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما لحالة الشرق الأدنى الاسلامي قبيل الغزو الصليبي . وقد توسع ناصر خسرو في وصف مصر توسعا يدل عليه عظم ما يشغله هذا الوصف من مجموع ما جاء في الرحلة ، فهو يتجاوز نحو ثلث الكتاب ، ويبدو أن السنوات الأربع التي قضاه في مصر أتاح له الفرصة في أن يتغلغل في حياتها ، ويغوص في أعماقها ، وقد كان أمينا في وصفه لمظاهر الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية فيها .

(٢) المروى (أبو الحسن علي بن أبي بكر ، ت ٥٦١١ هـ) : كتاب

الاشارات الى معرفة الزيارات .

أصله من هراة ، ولكنه موصل الى المولد ، زار كثيرا من بلاد الاسلام ، فرحل الى العراق والشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد الروم وصقلية والمغرب وبعض جزر البحر المتوسط ، كما زار القسطنطينية والهند ، وقد عرف بكثرة أسفاره حتى أطلقوا عليه اسم المروى السائح (١) ، واتصل المروى في نهاية حياته بالملك الظاهر ملك حلب ، وأقام في رعايته بحلب حتى توفي في سنة ٥٦١١ هـ . وكتابه «الاشارات الى معرفة الزيارات» (٢) هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفاته ، وقد سجل فيه وصفه للزيارات والمساجد التي زارها وشاهدها في رحلته ، ولكننا نجد أن وصفه لكثير من هذه الآثار تتخلله القصص الجغرافية والأساطير .

(١) ذكر محمد حسن ، الرحالة المصلون ، ص ٩٠

(٢) المروى ، كتاب الاشارات ، تحقيق جايين سورديل - جومين ، دمشق ، ١٩٥٣

(٣) عبد الطيف البغدادى توفى فى القرن السابع الهجرى) : كتاب الافادة

والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، (١) .

ولد فى بغداد فى سنة ٥٥٧ هـ ، وإليها نسب ، وكان مفرما بالرحلة والسفر ، فزار الشام ومصر والعراق ، وتنقل بين حلب وأذربيجان وأرزن الروم وبغداد . وكتابه ، الافادة والاعتبار ، يتضمن وصفا لمشاهداته فى مصر التى زارها مرتين واشتغل بالتدريس فى جامعها الأزهر ، ويمتاز وصفه لمصر بالدقة العلمية والاهتمام بالنواحى الاجتماعية والعمرانية ، وقد شهد البغدادى الغلاء الفاحش والقحط الذى أصيب بهما مصر فيما بين عامى ٥٩٣ ، ٥٩٨ هـ فى زمن الملك العادل ، ووصف ما أصاب الناس من هذه المجاعة من وباء أدى إلى موت عدد كبير من أهلها ، وقد أشار عبد الطيف البغدادى الى الوباء الذى حدث فى الاسكندرية فى سنة ٥٩٣ هـ وكان يموت منه فى اليوم الواحد سبعةة شخص ، الامر الذى دعا كثيرا من أهلها إلى الهجرة منها الى بلاد برقة وأعمالها حيث قاموا بتعميرها (٢) . كذلك شاهد البغدادى الأعمدة المنكسرة التى رماها قراجا والى الاسكندرية فى أيام صلاح الدين ، بشاطئ البحر ، ليوعر على العدو سلوكه إذا قدم ، وقد استنكر البغدادى هذا العمل ، وعده من عبث الولدان ، ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة ، (٣) ، وهى ملاحظة دقيقة تدل تفهمه للامور . كذلك شاهد البغدادى قيام صلاح الدين بهدم الأهرامات الحجرية الصغيرة على يدى

(١) طبعة مصر ، القاهرة ١٨٧٠ ، طبعة بتحقيق وايت ، مع الترجمة اللاتينية ، نشرت

فى لندن فى ١٨٠٠

(٢) البغدادى ، الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ص ٥٨

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨

قراقوش واستخدمه لها في بناء قلعة الجبل (١) ، وهي ملاحظة هامة أشار إليها ابن جبير أيضا .

ثانيا - الرحالة المغاربة ومصنفاتهم :

(١) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسى ، ت ٦١٤ هـ) : كتاب

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف برحلة ابن جبير ، (٢) .

ولد ابن جبير في مدينة بلنسية في سنة ٥٤٠ هـ ، وتلقى العلم على شيوخ عصره في شاطبه وغرناطة وسبته ، والتحق بخدمة أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، وأولع بغرناطة وطاب له العيش فيها وسكنها . وكان سبب قيامه بالرحلة - على ما ذكره ابن الرقيق - أنه كتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شربه ، فد يده إليه بكأس ، فأظهر الانقباض ، وقال : ياسيدي ما شربتها قط ، فقال : والله لتشربن منها سبعا ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس ، فلأ له السيد الكأس من دنائير سبع مرات ؛ وصب ذلك في حجره ، لحمله إلى منزله ، وأخبر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب إلى السيد ، وأعلمه أنه حلف بإيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة ، فأسعهف ، وباع ملكا له تزود به ، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر ، (٣) .

والواقع أن ابن جبير قام بثلاث رحلات إلى المشرق الاسلامي ، وكتابه وتذكرة

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣ .

(٢) طبعة ليدن ، تحقيق وليم رايت ، ١٩٠٧ .

(٣) المنرى ، قلع الطيب ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

بالأخبار ، هو تسجيل لمشاهداته في الرحلة الأولى ، التي بدأها في شوال سنة ٥٧٨ هـ وانتهى منها بعودته الى الأندلس في ٢٢ من المحرم في ٥٨١ هـ ، ومن المعتقد أنه كتب أخبار هذه الرحلة فيما يقرب من سنة ٥٨٣ هـ بعد ان شاع خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي . ثم تأقت نفسه للرحلة مرة ثانية ، فرحل الى المشرق الاسلامي في سنة ٥٨٥ هـ ، وهي رحلة استغرقت سنتين وعدة أشهر ، عاد بعدها الى غرناطة في شعبان سنة ٥٨٧ هـ . ولكنه آثر أن يقيم في سبتة ، ويتزوج فيها ، ثم يعزف عن المقام بسببه بعد وفاة زوجته عاتكة أم المجد بنت أبي جعفر الوقيشي وكان كلاهما بها فيرحل الى المشرق مرة ثالثة (١) ، في سنة ٦١٤ ، وينزل بالاسكندرية ، ولم يطل به العمر بعد ذلك إذ توفي في نفس هذا العام بالثغر السكندري (في ٢٩ شعبان) ودفن بها ، ومن المعتقد أنه دفن في الموضع المعروف اليوم بسيدي جابر .

ورحلة ابن جبير أشبه بمذكرات يومية سجل فيها ملاحظاته وشاهداته لما شاهده في رحلة في الاسكندرية والقاهرة والفسطاط وقوص وعيذاب ومكة والمدينة والكوكة وبغداد والموصل وعكا وصقلية . وقد اهتم في كتابته بوصف المساجد والأضرحة والياكل والآثار ، كما عنى بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي زارها . ووصفه للآثار يدل على دقة الملاحظة ، وقدرة عجيبة على التعبير عن الفن الزخري والمعماري على السواء ، أما ملاحظاته وتعليقاته على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي زارها . فن أهم الوثائق التي تعين الباحث في تصور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الشرق الأدنى الاسلامي في عصره . وأرواح ما ذكره منها تصويره لتعايش السلى بين المسلمين والوطنيين في مملكة

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة و أخبار غرناطة ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ ، ج ٢ ص ١٦٩

بيت المقدس الصليبية ، على الرغم من حالة الحرب القائمة بين المسلمين والصليبيين .

(٢) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى ، ت ٦٨٥ هـ) : متمم

كتاب « المغرب في حلى المغرب » ، ومؤلف « المشرق في حلى المشرق » ، (١) .

ولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بقلعة يحصب من أعمال غرناطة في سنة ٦١٠ هـ وهي قلعة تعرف بقلعة بني سعيد ، وكانت تعرف قبل ذلك بقلعة أسطير وهو عين لها ، وبيت بني سعيد من أعظم بيوتات الأندلس وأشرفها إذ يرتفعون في نسبهم إلى عمار بن ياسر الصحابي ، وكان أبو عمران موسى ابن عبد الملك بن سعيد من أشهر كتاب عصره ، ولذلك ولأه المتوكل محمد بن هود علي الجزيرة الخضراء ، وناب ابنه علي عنه في أعمال الجزيرة (٢) . وكان علي بن موسى « وسطى عقد بيته وعلم أهله ، ودره قومه ، المصنف ، الأديب ، الرحالة ، الطرفة ، الأخباري . العجيب الشأن في التجول في الأقطار ، ومداخلة الأعيان ، للتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية ، أخذ من أعلام إشبيلية كأبي علي الشلوبين ، وأبي الحسن الدباج ، وابن عصفور وغيرهم ... » (٣) .

وكتاب « المغرب في حلى المغرب » ، ثمرة جهود أربعة من بيت بني سعيد ،

(١) عنهما آخزل جنتا بالثيا كتابا واحدا عنوانه « كتاب فلك الأرب ، المخطوطة بحل لسان العرب » ، ينقسم الى كتابين كبيرين : المغرب في حلى المغرب ، والمشرق في حلى المشرق ، الأول تاريخ المغرب والأندلس فيها بين عامي ٥٢٩ ، ٦٤٠ هـ (راجع تاريخ الفلكر الأندلس ، ص ٢٤٤)

(٢) المرقى ، فتح الطيب ، ج ٣ ص ٣٨

(٣) فقه ، ص ٣٨

أولهم عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، وقد بدأ فيه عبد الملك من سنة ٥٢٠ إلى أول سنة ٦٤١ هـ ثم أتمه ابنه محمد بن عبد الملك، ثم أزاذه فيه موسى بن محمد، ثم أربى عليهم جميعا في إتمامه أبو الحسن علي ابن موسى الذي يرجع إليه الفضل في إخراج الكتاب بصورته النهائية. وقد ضمن ابن سعيد هذا الكتاب قصبا عن مصر التي زارها في صحبة أبيه في سنة ٦٣٩ هـ في السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر. وفي الاسكندرية توفي أبوه بعد ستة أشهر من وصوله إليها. وأتيح لعل بن موسى بن سعيد أن يتصل في مصر بملعين من أعلام الفكر الاسلامي يومئذ هما جمال الدين موسى بن يغمور، والقاضي كمال الدين ابن العديم الحلبي (١). أقام على بن سعيد في مصر أربع سنوات، ثم انتقل منها إلى حلب في سنة ٦٤٤ هـ، وظل مقبلا بحلب متمتعا بنعم الملك الناصر صاحب حلب، إلى أن رحل عنها إلى دمشق في سنة ٦٤٧ هـ، وانتقل منها بعد ذلك إلى بغداد في السنة التالية مارا بأرمينية وأرجان، ثم أدى فريضة الحج، ورحل بعد ذلك إلى تونس في سنة ٦٥٢ هـ حيث قربه السلطان أبو عبد الله المستنصر بالله الحفصي. ثم رحل للمرة الثانية إلى المشرق في سنة ٦٥٦ هـ (٢)، ونزل بالاسكندرية وهناك بلغه ما فعله التارمع الملك الناصر صاحب

(١) ذكرى محمد حسن، مقدمة كتاب ابن سعيد، المغرب في حل المغرب، الجزء الأول من القسم الخامس بمصر، القاهرة، ص ١٦ م

(٢) ورد في المصادر العربية أنه رحل إلى المشرق رحلته الثانية في سنة ٦٦٦ هـ، ولكن يبدو أن هذا التاريخ غير صحيح، وأن موابه ٦٥٦ هـ، لأنه اتصل بهولاكو في هذه الرحلة عقب افتتاحه لمدينة حلب في أول سنة ٦٥٧ هـ. ومن الملاحظ أن هولاكو توفي في سنة ٦٦٣ هـ، فإن صدقنا التاريخ الأول، يصبح من المستحيل على ابن سعيد مقابلة هولاكو، لأنه يكون قد مات قبل سفره بثلاث سنوات.

حلب وكيف قتلوه بعد أن أعطوه ، الأمان فحزن لمقتله حزناً شديداً ، وعزم على السير إلى هولاكو ليؤثر عليه بعله ، وبثنيه عن مهاجمة الديار الإسلامية ، فضى إلى حلب ، ورحل منها إلى صحراء يوشن في طريقه إلى أرمينية ، حيث وافته الفرصة لمقابلة هولاكو ، وأقام بأرمينية فترة من الوقت ضيقاً على هولاكو ، حتى كانت هزيمة التتار في عين جالوت ، في سنة ٦٥٨ هـ ، فرحل ابن سعيد إلى إيران ، ثم عاد بعد ذلك إلى تونس ، وأقام بها بقية حياته حتى مات في سنة ٦٨٥ هـ .

والقسم الخاص بمصر من كتاب « المغرب في حل المغرب » ، ويعرف بكتاب « الإكليل في حل بلاد النيل » ، يبدأ بالحديث عن مصر وذكر فضائلها على النحو الذي اتبعه معظم من كتب عنها من مؤرخي العرب ، ثم يقسم كتاب هذا القسم المصري من بني سعيد السكور المصرية إلى أقسام ثلاثة هي المملكة العليا والمملكة الوسطى والمملكة السفلى (١) .

أما الكتاب الثاني لابن سعيد « المشرق في حل المشرق » فقد ألفه على بن سعيد استجابة لرأى أبيه وتنفيذاً لخطة ، وتوجد في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة لهذا الكتاب .

وتتميز كتابة ابن سعيد بالمبالغة في وصف مساوىء العمران المصري في الفساطط والتحامل على عادات المصريين ، ويتجلى ذلك في قوله : « ولما استقررت بالقاهرة تشوفت إلى معاينة الفساطط ، فسار معي إليها أحد أصحاب العزمة ، فرأيت عند باب زويلة من خمير المعدة لركوب من يسير إلى الفساطط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد ، فركب منها حماراً ، وأشار إلى أن أركب حماراً آخر ، فأنفت من ذلك جرياً إلى عادة ما خلفته من بلاد المغرب ، فأعلمني أنه غير معيب على أعيان مصر .

(١) ذكرى حسن ، مقدمة كتاب المغرب في حل المغرب ، ص ٢٨ م

وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشاردة الظاهرة يركبونها ، فركبت ، فعندما استويت راكباً أشار المكاري على الحمار ، فطار بي ، وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي ، وعمايت ما كرهته . ولقطة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعده ، وقلة رفق المكاري . وقعت في تلك الظالمة المثارة من ذلك العجاج ، قلت :

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكار يفوق الريا ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلاً فلا يرعوى إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوق رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعتم إلى المكاري أجرته ، وقلت له : إحسانك إلى أن تتركني أمشي على رجلي ، ومشيت إلى أن بلغتني ، وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط ، وحققته بعد ذلك ، نحو الميادين . ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة ، وتأملت أسواراً مثلية سوداء . وآفاقاً مغبرة ، ودخلت من بابها . وهو دون شلق ، يفضي إلى خراب مغمور بمبان مشقنة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأذكن والقصب والنخيل ، طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس التنظيف ، ويغض طرف الظريف . (١)

(٣) العبدري (محمد بن محمد بن علي البلنسي . ت في أواخر القرن السابع الهجري) :

الرحلة المغربية : يرتفع نسب العبدري إلى بني عبد الدار بن قصي ، وكانت بلنسية هي

(١) ابن سديد ، المغرب في حل المغرب ، الجزء الأول من القسم الخامس بمصر سنة ٦٠٥هـ -

الحري ، فتح الطيب ، ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٤

موطن أسرته في بلاد الأندلس ، وكان أبوه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدي (ولد في سنة ٥١٩هـ) قد رحل إلى المشرق ، ونزل بمصر وسمع من السلفي وابن عوف ، ذا حظ من علم اللغة (١) أما ابنه محمد صاحب الرحلة فقد حذا حذوه في السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في سنة ٦٨٨هـ ، وبدأ رحلته من حاحة في السوس الأقصى ، واخترق المغرب الأقصى إلى تلسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وتونس ، ثم اخترق بلاد ليبيا برا حتى الإسكندرية ، ثم سلك الطريق البري من الإسكندرية إلى مكة ، وعاد إلى المغرب عن طريق فلسطين ومصر وليبيا . وقد وصف العبدي مدن المغرب ومصر وذكر آثارها ومعلمها ، واهتم بوجه خاص بالنواحي الاجتماعية والعلمية ، فذكر الخصائص البارزة في سكان الأقاليم التي مر بها (٢) .

وقد تحامل العبدي على مصر والمصريين وسب أهلها ، بطريقة فاقت أسلافه من المغاربة أمثال ابن جبير وابن سعيد . ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن « ذم أهل مصر — إلى جانب فضائلها — أصبح موضوعاً تقليدياً هو الآخر ، بدأه الجاحظ ونقل عنه المتأخرون عندما قال : أهل مصر أعقل الناس صفاراً وأحمقهم كباراً » (٣) . وأول ما وجهه العبدي من سباب لأهل مصر عندما تعرض لوصف ما لقيه على أيدي مفتشى المكوس ، فيقول : « ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم أنهم يعترضون الحجاج ، ويحرمونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج ، ويأخذون على وفدهم الطرق والفتجاج ،

(١) القرى ، ج ٢ ص ٤١٩

(٢) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣٣ — نقولاً زيادة ، الرسالة العرب ،

ص ١٠٥

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١٠٨

يبحثون عما بأيديهم من مال ، وبأهرون بتفتيش النساء والرجال ، وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجبى ، وجعل الانفصال عنهم غاية أربى ، وذلك لما وصل إليها الركب جاءت شردمة من الحرس ، لاحرس الله مهجتهم الحسيسة ، ولا أعدم منهم لاسد الآفات فريسة ، فدورا في الحجاج أيديهم ، وفنشوا الرجال والنساء ، وألزموم أنراعا من المظالم ، وأذاقوم ألوانا من الهوان ، ثم استخلفوم وراء ذلك كله ، وما رأيت هذه العداة الذميمة ، والشيمة اللثيمة في بلد من البلاد ، ولا رأيت في الناس أقسى قلوبا ، ولا أقل حياء ومرورة ، ولا أكثر إعراضا عن الله سبحانه ، وجفاء لأهل دينه من أهل هذا البلد ، (١) .

وينقل البنا الأستاذ الدكتور سعد زغلول أمثلة من ذم العبدى لأهل مصر منها قوله في وصف القاهرة : « مدينة كبيرة القطر وساكنها يحاكي عدد الرمل ، وهى مع ذلك تمسخر عن أن يسطر ذكرها في سطر . إن نظرت إلى صورتها ذكرت قول القائل :

بغات الطير أطولها رقابا . . . ولم تطل البراة ولا الصقور

وإن تأولت معناها ذكرت قوله :

وقد عظم البعير بغير لب . . . فلم يستغن بالعظم البعير

وإن تأملت إفراط عمارتها ذكرت قوله :

خشاش الطير أكثرها فراخا . . . وأم الصقر مقلال نزور

... وحسبها شرا أنها جرين لحنالة العباد ، ودعاء لنفاة البلاد ... سم الغش ممزوج في عسل النحل . خرجت عمارتها عن الحد المألوف ، وزادت كثيرا على

القدر المعروف أما بفضهم الغريب ، وما ألزم على ذلك فأمر لا يحيط به علما إلا من عاينه ، ما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم ، (١) .

وبينها نراه يذم مصر والمصريين نراه يمدح تونس وأهلها ، ففي مدحه لتونس يقول : « ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمح الآمال ، ومصب كل برق ، ومحط الرجال من الغرب والشرق ، وملتقى الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك ، فان شئت أصحرت في موكب ، وإن شئت أبحرت في مركب ، كأنها ملك والأرباض لها إكليل ، وأرجاؤها روضة باكرتها ربح بلبل » . (٢) وفي أهل تونس يقول : « وما رأيت لأهلها نظيرا شرقا وغربا ، شيئا فاضلة ، وأخلاقا حميدة ، وقد كان الاخلو بن شاهد أخلاقهم أن يطنب في وصفهم ، ويضرب عنم لم ينحهم الرداد وينصفهم ، إذ ذلك من بعض واجبه ، وأقل مراتبهم ، ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق ، ولا يتعمد الفراغ إلا أهل العقوق ثم يقارن بين أهل تونس وبين بعض من لم يؤتوا من الفضل ، معنيا بذلك أهل مصر : « فسبحان من خلقهم وأهل تونس في طرفي نقيض ، أولئك في الأوج وأولاء في الخضيض » ، (٣) .

(٤) النوشريشي (أبو عمر عبد الله بن رشيد ، ت بعد عام ٧٠٠ هـ) : الرحلة .

النوشريشي من الرحالة المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي ، وجاب النوشريشي بلاد المغرب ومصر والشام فسيا يقرب من عام ٦٧٣ هـ ، وسجل ما شاهده في رحلته ، وترجم لمن لقيه في طريقه من أهل الأدب والعلم في كتابه

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٧٣

(٣) نقولا زيادة ، المرجع السابق . ص ١٧٦

« الرحلة » الذى وصلت إلنا نسخ مخطوطة منه (١) . وتألف الرحلة من خمسة أجزاء منها جزآن فى مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٣٩ هما الثالث والرابع (٢) .

(٥) ابن رشيد السبتي الفهرى (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت ٨٧٢١)
رحلة المغرب والأندلس . ولد فى سبتة فى سنة ٦٥٩ ، ونشأ فى بيئة علمية ، وكان خطيباً بليغاً وعالماً فى الحديث ، وقد رحل إلى المشرق الإسلامى فى سنة ٦٨٣ هـ لأداء فريضة الحج والإتصال بالمدارس العلمية فى الحجاز والشام ومصر ، فأبحر من ثغر المربة إلى إفريقيا ، فى رفقة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ، ومن إفريقيا رحل إلى مصر والشام ، وأدى فريضة الحج . وعند عودته من الرحلة تولى قضاء المناكح بقرناطة ، ولكنه لم يلبث أن زهد فى القضاء ، فرحل إلى فاس ، وتوفى فيها فى ٢٣ محرم سنة ٨٧٢١ هـ ، ودفن خارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس ، وقد سجل رحلاته فى رحلتين : إحداهما طاف فيها بتواحي إفريقيا . والثانية زار فيها بلاد الأندلس ، وقد ضمن مشاهداته ملاحظات خاصة بالأدب والتاريخ الطبيعى (٣) .

(٦) البلوى (أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى ، ت فى أواخر القرن الثامن الهجرى) : « تاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق » .

ولد البلوى فى بلدة قنتورية من حصون وادى المنصورة من أعمال قرناطة ، وكان من أهل الفضل والعلم ، فقصى ببلده وبغيره ، ثم رحل إلى الحجاز لتأدية فريضة

(١) آنخل جنتاك بالنيا ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

Pons Boigues, *Historiadores y geógrafos arabigo españoles*, (٢)

P. 314

(٣) Ibid. p. 317, 318 - آنخل جنتاك بالنيا ، ص ٣١٩

الحج في ١٨ صفر سنة ٧٢٦ هـ ، عن طريق بلاد المغرب ، مارا بتلسان وبجاية والجزائر وتونس . وهناك أبحر إلى الاسكندرية . فزل بها ، ثم رحل إلى القاهرة ، ومنها إلى بيت المقدس فالمدينة ومكة . وعاد من الحج إلى الاسكندرية ، وركب منها سفينة إلى طرابلس . ولكنه اضطر إلى العودة إلى الاسكندرية حيث أقام بها فترة طويلة ، إلى أن عزم على مغادرتها إلى تونس . وأقام بتونس زهاء عامين رحل بعدها إلى مسقط رأسه في أول ذي الحجة سنة ٧٤٠ هـ بعد أن مر على بونة وفستينة وبجاية والجزائر ، وهناك سجل أخبار رحلته في كتاب بعنوان « تاج المفرق في تحلية علماء أهل المشرق » وصف فيه مشاهدته في البلاد التي زارها ومن لقيه من علمائها وأدبائها ، معززا كتابته بنماذج من أسفارهم ونثرهم (١) ، ولكنه نقل كثيرا عن المواد الأصفهاني وصفه وان وابن جبير . وقد انتقده ابن الخطيب ، وعاب عليه سطوه على الرحالة السابقين ، وإدراج ذلك في كتابه (٢) . ولرحلة البلوي نسختان مخطوطتان في باريس ، ونسخة مخطوطة في مكتبة القرويين بفاس ، ونسخة في جامع الزيتونة بتونس ، ونسخة بمدرسة الآداب بالجزائر .

وقد وصف البلوي في رحلته آثار القاهرة ، فذكر مبانيها ومساجدها ومدارسها ومصانعها ، ووصف بعض المشاهد ، كما وصف مارستان القاهرة وهو مارستان المنصور قلاوون فقال : « ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا المارستان وحده ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا واتساعا ، لم يعمد مثله لقطر من الافطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل انتهاء في الحسن » (٣) ، ثم

(١) ابن الخطيب ، الاطحة في أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ج ١ ،

القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٠٨ — Pons Boigues, op. cit. p. 330

(٢) ابن الخطيب ، الاطحة ، ٥٠٨

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١١٠

يفرد صفحات كثيرة من رحلته في ذكر من لقيه من المشايخ في مصر . ويهتم البلوى بمدينة الاسكندرية اهتماما خاصا ، فيشير الى بنائها على أيام الاسكندر ، ويصف منار الاسكندرية المشهور .

(٧) أبو حامد الفراطى (أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، ت ٥٦٥ هـ)
تحفة الألباب ونخبة الاعجاب ،

ولد أبو حامد الفراطى بفراطة في عام ٤٧٣ هـ ، ورحل الى الاسكندرية في سنة ٥٠٨ هـ وسمع بها من أبي عبد الله الرازى ، وسمع بمصر من أبي صادق مرشد ابن يحيى المدينى وأبي الحسن الفراء الموصلى ، وأبي عبد الله محمد بن بركات ابن هلال النحوى وغيرهم . ثم رحل الى الشام ، وحدث بدمشق ، وسمع أيضا بها ببغداد (١) . وفى سنة ٥١١ هـ نزل بصقلية ، ثم عاد الى مصر ، وفى سنة ٥٢٥ طاف بكثير من الأنظار ، فاجتاز بحر قزوين ووصل الى ضفاف الفلجا ، وزار بلاد البلغار ، كما زار مدينة خوارزم .

وفى عام ٥٥٥ هـ زار بغداد مرة ثانية ، واستضافه الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة ، فألف له الفراطى كتابا بعنوان « المغرب عن بعض عجائب المغرب » ، ثم ألف بعد ذلك بعامين فى الموصل كتابه المشهور « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » الذى توجد منه نسخا كثيرة مخطوطة فى كثير من المكتبات الاوربية . ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب ، الاول منها فى صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها ، والثانى فى صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان ، والثالث فى صفة البحار وعجائب حيواناتها . والرابع فى صفات الحفائر والقبور (٢) .

(١) المرقى ، نفع الطيب ، ج ٣ ص ٥

Pons Boigues, op. cit. p. 229, 230 (٢)

(٨) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٠ هـ)
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (١) ، المعروف برحلة
ابن بطوطة .

هو أعظم الرحالة العرب وأشهرهم على الإطلاق وأكثرهم طوافا في آفاق
الأرض ، وعناية بسرد تفصيلات مشاهداته في الرحلات التي قام بها خلال
ثلاثين عاما ، ومراعاة لتسجيل ملاحظاته الخاصة بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية
للبلاد التي زارها .

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة في عام ٧٠٧ هـ ، ونشأ في بيئة علمية ، اذ كان
معظم أفراد أسرته ممن اتيح لهم تولى مناصب القضاء والنبوغ في العلوم الدينية .
وقد أولع ابن بطوطة بالسفر والرحلة وهو بعد شاب في مقتبل عمره ، فرحل
عن وطنه في سنة ٧٢٥ هـ لاداء فريضة الحج ، ولكن قدر له أن يقضى مايقرب
من ثلاثين سنة في رحلات متواصلة زار خلالها جميع ديار الإسلام بالإضافة الى
سيلان والهند والصين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد القرم والقوقاز وبلاد
البلغار ، كما زار خوارزم وبخارى وسمرقند من بلاد ماوراء النهر ، وترمز وبلخ
وهراة وطوس ونيسابور من خراسان ، وقد قطع هذه الرحلة للحج إلى مكة
أربع مرات .

ثم عاد في خاتمة رحلاته إلى تونس في صفر سنة ٧٥٠ هـ ، وركب من تونس
على مركب قطلاني، مرت بجزيرة سردانية ، وانتهى به الامر بعد مغامرات مثيرة
إلى مدينة فاس حيث اتصل بالسلطان المريني أبي عنان . واسكنه لم يلبث أن رحل

إلى الأندلس حيث زار مالقة وغرناطة ، ثم عاد إلى فاس ، وهناك أوفده السلطان المريني في سفارة إلى بلاد السودان الغربي في أول سنة ٧٥٣ ، واستمرت هذه الرحلة ما يقرب من عام ، وعاد إلى فاس في غضون سنة ٧٥٤ .

وفي بلاط السلطان المريني أملى ابن بطوطة كتاب الرحلة لمحمد بن جزي الكلبي (المتوفى سنة ٧٥٧ هـ) بإشارة من السلطان .

(٩) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد ، ت ٧١٨ هـ) : « رحلة التجاني (١) .

ينتسب عبد الله بن محمد التجاني صاحب الرحلة المعروفة إلى بيت التجاني من أعظم بيوتات تونس ، وكانوا في الأصل ينقسمون إلى قبيلة « تجان » المغربية ، وأول من قدم منهم إلى تونس هو أبو القاسم التجاني ، إذ اشترك في الجيش الذي سيره عبد المؤمن الموحدى لفتح إفريقيا ، ثم استقر التجانيون في تونس ، وشاركوا في النهضة العلمية التونسية في عصر الموحدين ثم في عصر بني حفص (٢) .

وظهر التجاني في عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة ، فاستصفاه شيخ الموحدين الأمير أبو يحيى زكريا بن اللحياني لنفسه ، وأذن منزله إليه ، وصحبه التجاني عندما عزم على تفقد بلاده استعداداً لمحاربة الأسبان المغتصبين لجزيرة جربة ، وذلك في سنة ٧٠٦ هـ ، ودامت رحلته التجاني عامين وثمانية أشهر وبضعة أيام .

وقد سجل التجاني في رحلته مشاهداته في البلاد الإفريقية ، ودون انطباعاته بأسلوب سلس ، واهتم بوصف العمران التونسي في رحلته في المدن والقرى مع

(١) تحقيق الأستاذ حسن حني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

(٢) راجع مقدمة الأستاذ حسن حني عبد الوهاب لرحلة التجاني من ٣ م - ١٩ م .

التعريف بأخبارها التاريخية وذكر النابيين من أبنائها . ويزور التجاني الساحل
التونسي ماراً بصفاقس ، ثم يتحدر جنوباً إلى قابس وجزيرة جربة ، فيصفها
وصفاً رائعاً ، ويتعرض لعادات أهلها ومذهبهم ، ثم يدخل في الواحات الجنوبية ،
ويقطع سبخة ناكرت ، ويصل بعد ذلك إلى طرابلس ، ويقوم فيها فترة من
الوقت ، يتصل خلالها بعلماء المدينة وأولى الفضل من أهلها ، ثم يعود إلى وطنه ،
واصفاً ما مر به في طريقه حتى يصل إلى تونس (١) .

(١) حسن حسني عبد الوهاب ، المقدمة السابقة ص ٤٩ م - ٤٤ م ،

(٥)

الشعر العربي وكتب الأدب

يعتبر الشعر العربي في الجاهلية من المصادر الهامة لتاريخ العرب وحضارتهم في ذلك العصر ، إذ يصور لنا كثيراً من أحوال العرب الاجتماعية والدينية ، كما يصور لنا طباعهم وأخلاقهم . والشعر الجاهلي « ديوان العرب » (١) لأنه سجل لأخلاقهم ، وعاداتهم ، وعقليتهم ، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، وفيه ذكر لأيام العرب ووقائعهم ، وهو لذلك السبب مرآة تنعكس عليها صور حياتهم في السلم وفي الحرب .

وعلى الرغم من أن الشعر الجاهلي تعرض للضياع ، إذ ترك يتناقل على ألسنة الرواة نحو قرنين من الزمان إلى أن دون في تاريخ متأخر ، وعلى الرغم من أن ما وصلنا منه على قلته مشكوك في أصالته ، منحول عليه (٢) ، لعوامل دينية وسياسية وجنسية (٣) ، فإن ما وصلنا من الشعر العربي الجاهلي منحولا كان أو أصيلا ، يعتبر مصدرا أساسيا لتصوير حياة العرب في الجاهلية ، ذلك أن القائمين بتزييفه كانوا يحرصون على أن يقلدوا خصائص الشعر الجاهلي المعنوية واللفظية في مهارة وحذق ، لدرجة أن الناقد يصعب عليه أن يفرق بين قول المازيف وقول الجاهلي .

(١) القرشي ، جبهة أشعار العرب ، بولاق ، ١٣٣٨ ، ص ٣ - أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٥٧ .

(٢) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٤

(٣) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٥١ - ضحى الإسلام ، ج ١ ص ٢٧٤ .

والشعر مصدرهام يعين الباحث في التاريخ على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومنزهات وبرك ومنايا ، وكثيراً ما يتضمن أسماء مواضع تعين أيضاً على تحديد المعالم الهامة المدينة المراد دراستها ، فهذا هو الوزير أبو الوليد ابن زيدون ، وقد ثار به الوجد والحب أثناء فراره من قرطبة يوم العيد ، يحن إلى ذكرياته مع ولادة بنت المستكفي بآث ، فيذكر معاهد كان يخرج إليها ويتفرج بها فيقول :

خيل لا فطر يسر ولا أضحي	فأحال من أمسى مشوقاً كما أضحي
لئن شاقى شرق العقاب فلم أزل	أخص بمحوض الهوى ذلك الفضا
وما انفك جوف الرصافة مشعري	دواعي بث يعقب الأسف البرحا
وبهتاج قصر المارسي صباية	لقلي لا بألو زناد الأسي قدحا
وليس ذمياً عهد محبس ناصح	فأقبل في فرط الورع به نصحا
كأنني لم أشهد لدى عين شهدة	نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانبها التجني فإن مشي	سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأبام وصل بالعقيق اقتضيته	فإن لم يكن ميعاده العيد فالقصحا
وأصال لهو في مناة مائك	معاطاة ندمان إذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصييك من صفحاته	قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبرة	أجلت المظلي في الأمان بها قدحا
ألا هل إلى الزمراء أوبة نازح	تقضى تنائبها عدامعه نزحا
أجل إن ليلى فوق شاطىء بيطنة	لأنصر من ليلى بآنة فالبطحا (١)

وتتضمن الأبيات السابقة أسماء مواضع كثيرة في قرطبة مثل العقاب ،

والرصافة ، والقصر الفارسي ، ومحبس ناصح ، وعين شهدة ، والعقيق ، ومسناة مالك ، وراكد ، والزهره ، أما بيطة فهو نهر قرطبة ، وآنة فهو وادي يشق وسط الأندلس وغربها ويصب في الجنوب قريباً من بلدة ولبة .

ويصف ابن قلاؤس السكندري (ت ٥٦٥ هـ) قصر بني خليف من قصور الاسكندرية ، وكان قصراً راسخ البناء ، عظيم الارتفاع ، قد رسا بناؤه ، وسما ارتفاعه ، فيقول :

قعر بمدرجة النسيم تحدث فيه الرياض برها المستور
خفض الخورتق والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية وأم في أرض من الكافور^(١)

أما كذب الأدب فقد تعرض الكثير منها لذكر روايات تاريخية خاصة بالبلدان ، وبيعض القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تعين الباحث في التاريخ والحضارة الإسلامية على الإلمام بهذه الجوانب من الحضارة . ومن الكتب الأدبية التي تعتبر مصادر هامة للتاريخ الإسلامي ما يلي :

١ - كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين ، وكتاب التبصر بالتجارة ، وكتاب التاج في أخلاق الملوك ، للجاحظ .

٢ - كتاب عيون الأخبار ، وكتاب الإمامة والسياسة ، وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري .

٣ - كتاب نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، وكتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقرئ .

- ٤ - كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني .
 - ٥ - كتاب طوق الحمامة لعلی بن أحمد بن حزم .
 - ٦ - كتاب فلائد العقيان ، وكتاب مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس ، للفتح بن خاقان .
 - ٧ - كتاب الاغانى لابن الفرج الاصفهاني .
 - ٨ - كتاب الكامل للبرد محمد بن يزيد .
- هذه الكتب الادبية لا تخلو من روايات تاريخية عن العرب وأبائهم ، وأديانهم ، وأشعارهم ، وأمثالهم ، وأغانيهم ، وسيرهم ، في الجاهلية والإسلام ، وهي لهذا السبب تعتبر مصادر رئيسية للتاريخ .

(٦)

كتب الخراج والحسبة والحفظ

وصلت إلينا بعض كتب تعالج النظم الإقتصادية للدولة العربية من الناحية النظرية أو الفقهية^(١). وهى كتب لها أهميتها لإيضاح الجانب الإقتصادى من الحضارة الإسلامية. والخراج ضريبة كانت تفرض على أراضى المغلوبين ، وتعنى ضريبة ماتخرجه الأرض ، وكان يطلق عليها ضريبة من قبيل التجاوز ، وكانت تدفع اما مالا أو عيناً من حنطة وعسل وزيت ، وتطبق ضريبة الخراج على الأرض المفتوحة عنوة إذا لم تقسم على الفاتحين ، وعلى الأرض الفىء التى ملكها المسلمون بعد أن صالحوا أهلها على خراج معلوم يؤدونه كل سنة إلى بيت المال. وكانت هناك أراض لم يشملها الخراج أو أعفيت منه إلا العشر من ثمارها ومحصولاتها وتعرف بالأراضى العشرية ، وهى الأراضى التى أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب ، والأرض التى فتحت عنوة وقسمها الخليفة على الفاتحين ، والأرض التى أخذت عنوة من المشرىكين وملكها المسلمون ودفعوا العشر من غلتها^(٢). وكان تحديد ضريبة الخراج يتوقف على حالة الأرض ومقدار خصوبتها ، وكانت أرض السواد أغنى مقاطعات الدولة العربية الإسلامية ، وكان حد السواد يبدأ من مخوم الموصل حتى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرق الدجلة ومن أرض

(١) عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ص ٣٧ .

(٢) راجع مولوى حسنى ، الادارة العربية ، ترجمة دكتور ابراهيم العدوى ، القاهرة

١٩٥٨ ص ٩٠ وما يليها - حسن ابراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٢٦٥ وما يليها .

حلوان إلى منتهى طرف القادسية المنصل بعذيب (١) .

ومن أهم كتب الخراج :

- ١ — كتاب الخراج لأبي يوسف (يعقوب بن إبراهيم ، ت ١٩٢ هـ) (٢) ، وهو كتاب يتضمن أخبارا هامة عن فتوح البلدان وما يتعلق بها من نظام الخراج .
- ٢ — كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (٣) . (ت ٢٢٧ هـ) الذى تناول فيه المصنف مملكة الإسلام وما جاورها ونظام الثغور .
- ٣ — كتاب الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) (١) . وقد تناول فيه عدة موضوعات كالخلافة والقضاء والنظام المالى .

٤ — أدب الكتاب لأبي بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٢٦ هـ) (٥) . وقد استعرض فى الجزء الثالث منه وجوه الأموال التى تحصل الى بيت المال وأصنافها وأحكام الأرضين ومبلغ الخراج فى مصر والسودا والقبالات .

أما كتب الخطط ، فهى كتب تبحث فى المواضع المحددة من الأرض التى تزلها الأسرة الواحدة أو القبيلة الواحدة أو أصحاب خرفة معينة ، وكتب الخطط تعين الباحث فى العمران المذنى وفى التخطيط ، وفى دراسة المنشآت المعمارية والمعالم الطبوغرافية فى العصر الإسلامى . ومن أقدم من كتب فى الخطط ابن عبد الحكيم (ت ٢٥٧) فى كتابه فتوح مصر والمغرب والاندلس ، الذى استعرض فيه خطط

(١) الصولى ، أدب الكتيب ، ص ٢١٩ .

(٢) طبعة بولاق ١٣٠٢ هـ .

(٣) نصح فى الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غوية ، ليدن ١٨٨٩ .

(٤) القاهرة ، ١٢٩٨ هـ .

(٥) تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

الفسطاط ، وروايته في خطط مصر أول مادة لكتابة الخطط (١) . وبلى ابن عبد الحكم في الاهتمام بالخطط من مؤرخي العرب البلاذرى (ت ٢٧٩) ، في فتوح البلدان ، إذ ضمن كتابه فعلا عن خطط البصرة وفصلا آخر عن خطط الكوفة . ومنهم الكندى (ت ٣٥٠) وابن زولاق (ت ٣٨٨ هـ) اللذان يعتبران أول من عنى بعد ابن عبد الحكم بكتابة تاريخ الخطط المصرية ، ولكن مؤلفيهما لم يصل إلينا . ومن المعروف أن ابن زولاق تناول موضوع الخطط بدرجة من الانفاضة والتوسع ، وكان أول من تناول من كتاب الخطط إنشاء القاهرة المعزية (٢) . وبلى ابن زولاق في طبقات كتاب الخطط المصرية المزرح الأمير عز الملك المسبحى (ت ٤٢٠ هـ) الذى ألف كتاباً بعنوان « أخبار مصر » ضمنه كثير من خطط مصر وآثارها ومعاهدا . ثم كتب القضاعى (ت ٤٥٤) عن خطط مصر ، فألف كتاباً بعنوان « المختار في ذكر الخطط والآثار » لم يصلنا منه غير نبذ نقلنا عنه بعض الكتاب المتأخرين أمثال القفشندي والمقريزى .

وأشار المقريزى أشهر كتاب الخطط المصرية إلى مؤرخ للخطط كان يعيش في العصر الفاطمى والأموى هو محمد بن أسعد الجوانى (ت ٥٨٨) ذكر عنه أنه ألف كتاباً بعنوان : « النقط بعجم ما أشكل من الخطط » . وفى هذا العصر كتب مؤرخ أرمنى هو أبو صالح الأرمنى كتاباً عن تاريخ الكنائس والأديرة فى مصر ، وصل إلينا جزء منه . ووضع منذ ذلك الحين الاهتمام بكتابة الخطط المصرية ، فظهر من كتابها محي الدين بن عبد الظاهر (٣) (ت ٦٩٢) ، وتاج الدين محمد بن

(١) محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١ ، ص ٣٢

(٢) نفسه ، ص ٣٥

(٣) ينسب إليه كتاب بعنوان « الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » لم يصل إلينا .

عبد الوهاب بن المتوج (١) (ت ٧٣٠ هـ) ، وابن وصيف شاه (ت في أواخر القرن السابع الهجرى) ، وابن الجيعان (ت في أواخر القرن الثامن) ، وابن دقاق (ت ٨٠٩ هـ) ، الذى وصل إلينا كتابه ، الانتصار بواسطة : قد الأمصار ، ثم الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي (ت ٨١١ هـ) الذى يزعم السخاوى أن المقرئى ظهر بمسودة له في خطط مصر ، نسبها لنفسه (٢) .

وأشهر كتب الخطوط المصرية على الإطلاق كتاب « المرائط والاعتبار » بذكر الخطوط والآثار ، لتقى الدين المقرئى (ت ٨٤٥ هـ) ، وكتابه سجل هام للدين المصرية وأحيائها ومنشأاتها وتطور عمراتها في العصور المختلفة ، وفيه ذكر للبناء والمؤسسين والأمراء الحاكمة في مصر . ومن أشهر كتاب الخطوط بعد المقرئى شمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) الذى ألف في جملة ما ألفه كتاباً بعنوان « تحفة الأجيال وبغية الطلاب في الخطوط والمزارات ، والبقاع المباركات » ، ضمنه وصفاً لخطوط المزارات والأضرحة والمشاهد المقدسة ، ووصف كثير من شوارع القاهرة وآثارها من زوايا ومدافن ومساجد وأسبلة وروابط ، وقد وصلت إلينا من هذا الكتاب نسختان خطيتان محفوظتان في دار الكتب المصرية . ومنهم أيضاً جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) صاحب كتاب « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » الذى ترمض فيه لذكر علماء مصر وخطوطها وآثارها ، ومنهم ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ) فى كتابه « نثق الأزهار فى عجائب الأقطار » ، وقد وصلت إلينا منه نسخة خطية بعنوان « خريدة العجائب وبغية الطالب » محفوظة فى دار الكتب

(١) ألف كتاباً بعنوان « إبقاء المنقول وإحياء النأمل فى الخطوط » استقى منه المقرئى كثيراً من مادته .

(٢) راجع الإعلان بالتوسيع ، ص ٦٤٧ من كتاب « علم التاريخ عند المسلمين » .

المصرية (١) .

هذا وقد أثرنا إلى كثير من كتب الخطط الخاصة ببلدان العالم الاسلامى المختلفة فى الفصل الذى أفردناه للتاريخ المحلى .

أما كتب الحسبة ، فوفات تعرض لنا صورا شيقة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى العصر الاسلامى ، ومن المعروف أن الحسبة فى الأصل كانت تعنى الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله (٢) ، ثم تعدت هذه الوظيفة هذا المعنى الدينى إلى أمور مادية تتفق مع مصالح المسلمين ، فأصبحت الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن مثل المحافظة على النظافة فى الطرق ومراقبة الأسواق ، والكشف عن صحة الموازين والمكاييل ، والرافة بالحيوان ، ومنع معلنى الصبيان من ضرب الأطفال ضربا شديدا ، ومنع الناس من شرب الخمر ، ولكن العمل الاساسى للمحتسب لم يلبث أن تطور بعد أن تعقدت الحياة فى المجتمع الاسلامى ، فأصبح عمله الاساسى اقتصاديا يقوم على منع الغش فى الصناعة والمعاملات وخاصة الاشراف على الموازين والمكاييل ومحتابا ونسبها (٣) ، وكان المحتسب يسير بنفسه فى الأسواق ومعه أعوانه من الخبراء فى شؤون الأسواق ، للكشف عن المايلين . ومعاقبتهم .

واقء وصلتنا بعض كتب فى الحسبة منها :

١ — كتاب معالم القرية فى أحكام الحسبة ، لمحمد بن محمد القرشى المعروف

(١) راجع : عبد الله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ص ٥٩ - ٦٤

(٢) إبراهيم دسوق الشهاوى ، الحسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٩

(٣) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحجابة الاسلامية ، ص ٥٥

بابن الاخوة (١) .

٢ — كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزرى (٢) .

٣ — كتاب آداب الحسبة لابن عبدون (٣) .

٤ — كتاب الحسبة في الاسلام ، لاحمد بن تيمية (١) .

(١) طبعة روين لينى فى مجموعة جب

(٢) نشره الدكتور الباز العربى ، القاهرة ١٩٤٦

(٣) النص العربى نشره ليفى بروفنسال تحت عنوان :

Un document sur la vie urbaine à séville, au début du XI,
siècle, Journal Asiatique Avril - Juin, 1934.

(٤) القاهرة ١٣١٨ هـ .

ملحقات

أولاً: مقتطفات من الكُتُبات التاريخية

- (١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي
- (٢) وهب بن منبه وعبيد بن شربة الجرهمي
- (٣) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني
- (٤) حمزة بن الحسن الأصفهاني وعريب بن سعد القرطبي
- (٥) ابن الأثير وبهاء الدين بن شداد
- (٦) عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري
- (٧) أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان

ثانياً: مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

- (١) أخبار الصين والهند للجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري
- (٢) كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأمدلس لمحمد بن أيوب بن غالب
- (٣) وصف مصر الفسطاط من كتاب سفر نامة لناصر خسرو طوى
- (٤) وصف مدينة سوسة من رحلة التجاني

مقتطفات من الكتابات التاريخية

(١)

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي

فصل عن فضل الخيل (من كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها) (١) .

« أخبرنا (٢) أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزار ،
إجازة ، قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن العباس بن المغيرة
الشيبياني الجوهري (من كتابه بيهقاد في منزله قراءة عليه) ، قال : حدثنا أبو
الحسن الأدي ، قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطاح (مولى جعفر بن سليمان
ابن علي بن عبد الله بن عباس) ، قال :

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه ، قال :

هذا كتاب نساب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام .

كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها ، وما جعل
الله تعالى فيها من العز ، وتشرافها ، وتصير على المخصصة والأواء وتخصها
وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك في أشعارها ، وتمتد لها .
فلم تزل على ذلك من حب الخيل ، ومعرفة فضلها ، حتى بعث الله نبيه
(عليه السلام) ، فأمره الله باتخاذها وارتباطها ، فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدوانه وعدوكم » ، فاتخذ رسول الله (عليه والسلام)

(١) تحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٤٦

(٢) بنى موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضرمي الجواليقي .

الخيل وارتبطها ، وأعجب بها ، وحض عليها ، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والثبينة ، وفضلها في السهمان على أصحابها ، فجعل لأفرس سهمين ، ولصاحبه سهما .

فارتبطها المسلمون ، وأسرعوا إلى ذلك ، وعرفوا ما لهم فيه ، ورجوا عليه : من الثواب من الله (عز وجل) والشمير في الرزق .

ثم راهن عليها رسول الله ، وجعل لها سبعة ، وتراهن عليها أصحابه . وجاءت الأحاديث متصلة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

حدثنا الأسدي . قال : حدثنا محمد بن صالح (بن النطاح) ، قال : قال هشام ابن محمد : فحدثنا إبراهيم بن سليمان عن الأحوص بن حكيم عن أبيه عن جبير بن نفير عن عبد الرحمن بن عائد الثمالي ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة . وأهلها معانون عليها . فامسحوا نواصيها ، وادعوا لها بالبركة » . وحدثنا الواقدي عن عبد الله بن عمر عن سبيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » (وأهلها معانون عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة) .

وحدثنا الواقدي ، قال : حدثنا أبو عبد الله القرشي عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن أبيه ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من هم أن يرتبط فرسا في سبيل الله بنية صادقة ، أعطى أجر شهيد » .

وحدثنا الواقدي ، قال : حدثنا أسامة بن زيد عن يحيى الغساني ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من ارتبط فرسا في سبيل الله ، كان له مثل أجر الصائم القائم والباسط يده بالصدقة ، ما دام ينفق على فرسه » .

وما جاء فيها من الأحاديث أكثر من ذلك ، مما قصرنا عنه . (١)

فصل في أشهر الخيول عند العرب

(من كتاب أنساب الخييل في الجاهلية والإسلام وأخبارها) .

« وكانت خيول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة أفراس :

لزاز ، ولخاف ، والمرجز ، وإنما سمي المرجز بحسن صهيله ، والسكب ،
واليعسوب (وكلها معدودة من خيل بني هاشم) .

وحدثنا الكلبي محمد بن السائب ، وأبو حمزة الثمالي ، وأبان بن تغلب ، وغيرهم
بأسماء الخيل المشهورة المعروفة المنسوبة ، وخيول العرب ، لا يختلفون في ذلك ،
ووجدنا في أشعار العرب دلالات على ما قالوا .

كان منها في قريش :

خيول رسول الله (عليه السلام) . ومنها الورد (من خيل بني هاشم) فرس
حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وهو من بنات ذى العقال ولد أعوج . وقال
في ذلك حمزة :

ليس عندي إلا سلاح وورد .: قارح من بنات ذى العقال
أتقى دونه المنايا بنفسى .: وهو دونى يفتى صدور العوال
(جرشع ، ما أصابت الحرب منه .: حين نحى أبطالها لأبال
فإذا ما هلك ، كان ترائى .: وسجالا محمود من سجال) .

أعوج كان سيد الخيل المشهورة ، وأنه كان لملك من ماوك كندة ، ففزا

بنى سليم يوم علاف فزهوه وأخذوا أعوج . فكان أوله لبنى هلال ، ولهم نتجوه .

وأمة سبل بنت فياض ، كانت لبنى جمعة .

وأُم (سواده أم) سبل مسامة . فرده بنو سليم الى بنى هلال ، فأجاد في نسله . ومنه انتشرت جياذ خيول العرب .

وكان فيما سموا لنا من جياذ فحولها وإنائها المنجيات : الغراب والوجيه ولاحق والمذهب ومكتوم ، وكانت هذه جميعا لثنى بن أعمر بن سعد بن قيس ابن عيلان . فقال طفيل القنوى :

بنات الغراب ، والوجيه ، ولاحق ، . . . وأعوج ، . . . تنمى نسبة المنتسب
وقال :

دقاق كأشال السراحين ضمير . . . ذخائر ما أبقي الغراب ومذهب
أبو من مكتوم وأعوج أنجبا . . . ورادا وحوا ليس فيهن مغرب
وفيه يقول جرير بن الخطمي :

إن الجياذ بيتن حول قبا بنا . . . من آل أعوج أودى العقال
ومنها جلوى (الكبرى وهي أم داحس) (من خيل بنى حنظلة) . وكانت لبنى
ثعلبة بن يربوع (لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع) .
ومنها داحس (من خيل غطفان بن سعد) ، وهو ابن ذى العقال ، وأمة
جلوى الكبرى . وله حديث طويل في حرب غطفان ، (١)

فصل في براءة عبادة الأصنام عند العرب : (من كتاب الأصنام) (٢)
قال هشام بن محمد الكلبي : حدثنا أبي وغيره — وقد أثبت حديثهم جميعا —

(١) هشام بن محمد ، أنساب الميمل ، ص ١٩ - ٢٤

(٢) تحقيق الأستاذ أحمد زكي ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ ، ونسخة مصورة

أصدرها دار الترمذية لطباعة والنشر ١٩٦٥ .

أن إسماعيل بن إبراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ، ونفوا من كان بها من العالين ، ضاقت عنهم مكة . ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بمضا ، فففسحوا في البلاد والتماس المعاش . وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الاوثان والحجارة أنه كان لا يظن من مكة ظاعن إلا احتمال معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيا للحرم ، وصباة بمكة ، فحيثما حلوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصباة بالحرم وحبا له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويمحجون ويعتفرون ، على إرث إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره . فعبدوا الاوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم . وانتجشوا ما كان يعبد قوم نوح (عليه السلام) منها ، على إرث ما بقى فيهم من ذكرهما . وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتسكنون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة . ومزدلفة ، وإهداء البدن ، والإهلال بالحج والعمرة — مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

فكانت نزار تقول اذا ما أهلت :

و لبيك اللهم لبيك ا

لبيك لا شريك لك ا . . الا شريك هو لك ا

تملكه وما ملك ا ،

ويوحدهونه بالتلبية ، وينسخون معه آلهتهم . ويجعلون ملكها بيده . يقول الله

(عز وجل) انذيه (صلى الله عليه وسلم): وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون،
أى ما يوحدوننى بهرقة حقى ، إلا جعلوا معى شريكاً من خلقى .

وكانت تلبيةك ، إذا خرجوا حجاً ، قدموا أمامهم غلامين أسودين من
غلمانهم ، فكانا أمام ركبهم .

فيقولان : نحن غراباك

فتقول لك من بعدهما :

لك اليك عاتية ، عبادك الهمانية ،

كياً نصح للشانية ا

وكانت ربيعة إذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف ، نفرت فى
النفار الاول ، ولم تقم إلى آخر التشريق .

كان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الاوثان وسب السائبة ،
ووصل الوصلة وبحر البهيرة وحى الحاميه عمرو بن ربيعة ، وهو لحنى بن حارثة
ابن عمرو بن عامر الأزدي ، وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحنى فبهرة بنت عمرو بن الحارث . ويقال فمعة بنت
معاذ الجرهمى . وكان الحارث هو الذى بلى أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن
لحنى نازعه فى الولاية ، وقاتل جرهما بنى اسماعيل ، فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ،
ونداهم من بلاد مكة . وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم إنه مرض مرضاً شديداً ، فقيل له إن باللقاء من الشمامحة إن أتيتها ،
برأت . فأتاها فاستحم بها ، فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال:
ما هذه ؟ فقالوا نستشفى بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه
منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة ، (١) .

(٢)

وهب بن منبه وهيب بن شربة الجرهمي

فصل في ملك شمر بن عيسى بن ناسر النعم : (من كتاب التيجان في ملوك حمير) (١)

وقال شمر بن أبي ناسر النعم :

بمغاني الأيك والسدر . . . ملك أشفي على قدر
ما على الأرضين إن وثقت . . . عن سنا الدنيا أبي شمر
ماتت الدنيا لميتته . . . ونأي بالسمع والبصر
يا منار المزدت صدى . . . بنهاوند ودينور

ثم قتل بالجيوش يريد أرض المغرب فأخذ على بابل ، ونزل بعمدان ، وولى الملك شمر بن عيسى وهو نبيع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم أحفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف أغنى وأقنى ، يتجاوز عن مسيئتهم ، ويحسن إلى محسنهم ، فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لأيامه ، وكان أحقل من رأوه من الملوك وأعلام همة ، وأبعدهم غورا ، وأشدهم مكرًا من حارب ، فضربت به العرب الأمثال ، وهو عندهم تبع الأكبر ، وإن كان قبله تبابعة عظماء أعظم منه ، ولكن لمحبتهم فيه ، وعظمت في قلوبهم . وإن الصفد والسكرد والخوز والوط والقوط كلهم بنو يافث بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى إخوانهم من بني يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا ، فقالوا لهم ألا تنضبون لما نزل بنا من ناسر النعم ، سبي منا مائة ألف بكر ، وقتل منا مائة ألف مقاتل ، فأجابهم إخوانهم من بني يافث :

إلى النصر والقيام ، وهم الترك والديلم والخور والفرس . وبلغ ذلك بنى فارس ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، فاجتمعوا للسان الأعجمي ، وكرهوا أيام التبابعة لما يكفونهم من السخرة في المغازي وغير ذلك من أصناف العمل من المتاع والسلاح . فقدم بنو فارس قباذ بن شيريار الفارسي في الملك ، وتوجوه ، وإن الصغد والكرد وأهل نهاوند ودينور عمدوا إلى قبر ناشر النعم فهدموه وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جزع وغيره ، وبلغ ذلك شمر يرعش ، فنذر لله نذرا ليرفعن ذلك القبر بمجامع الرجال حتى يعود جبلا منيعا شامخا كما كان ، وغضب غضبا شديدا ، وغضبت العرب اغضبته ، وكان بنى قبر أبيه ناشر النعم بالرغام الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلا منيعا شامخا ، وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه أو يقطنون حوله فيدمونه وما حوله ، فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت ، وخرج جميع أهل جزيرة العرب طوعا وغضبا لغضب شمر يرعش لمحبتهم فيه ، فخرج في عساكر لم يجمع أحد مثلها من التبابعة من بعد ذى القرنين ، وبلغ ذلك بنى يافث ، وقدمت فارس قباذ إلى قتال تبع شمر يرعش ، وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباذ ، وهم الترك والديلم والخور والفرس والتبت والصغد والكرد والزط والخور ، وبلغ ذلك شمر يرعش ، وكان انتصاب قباذ بن شيريار ومن معه من فارس وبنى يافث بجبال الرى ، فسار تبع شمر يرعش حتى نزل بالمشلل ، فخلف ابنه عمرا الأقرب بالمشلل في مائة ألف فارس ، وخلف ابنه صيفيا بعان في مائة ألف ، ثم سار فترك العراق الذي فيه جمع فارس وبنى يافث وقصد الجزيرة ، وأخذ على الفرات يريد أرمينية ، (١) .

فصل في العرب العاربة والعرب الحضرية (من كتاب أخبار عبيد بن شربة) (١).
 وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه
 مع معاوية — قال عبيد — سل يا أمير المؤمنين — قال مع — أوية ، فن العرب
 العاربة ومن العرب المستعربة — قال يا معاوية أتعلم أنت وغيرك من أولي
 العلم أنما هي عاد وثمود وطسم وجديس وإرم والعماليق وجرم وقحطان بن
 هود فهم كانوا أوائل الناس ، منهم يعرب الذي تكلم العربية كل أخذه من يعرب
 ابن قحطان بن هود ، واليه تنسب العربية ، ف قيل عربى لأنه يعرب ، أول من
 نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ، فهذه الاجناس التي سميت لك تكلمت
 بكلام يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان اسماعيل ونقله
 أبوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده ، فأنزله بمكة ، فكنا نحن جرهم أهل
 البلد الحرام ، فنشأ اسماعيل فينا وتكلم بكلام العربية وتزوج منا . فجميع ولد
 اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، واسماعيل وأبوه من — ا ، وأنتم
 يا قريش منا ، والعرب بعضها من بعض — ألم تعلموا أنكم من ولد اسماعيل
 ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، و ابراهيم نحن ولدناه ، وأبوه آزر واسمه تارخ
 ابن ناحور بن أرغو بن شارخ بن فالغ بن عابر ، وه — و هود فهو أبونا وأبؤكم ،
 فنحن ولدناكم ، وأنتم منا ونحن منكم قليل في كثير . قال معاوية : كأنك تحدث
 عن حديث الجاهلية . قال عبيد : يا أمير المؤمنين لك في الاسلام ما يفنيك عن
 ذلك ، فقد حق الإسلام ما كان قبله كما حق الشمس ضوء القمر . قال عزمت عليك
 ألا حدثتني عما أسألك عنه . قال : يا أمير المؤمنين كان من خبر أهل بابل وافتراق
 ألسنة الناس أنه لا أكثر ولد سام ويافت وحام أولاد نوح في بلاد الله ، وأراد

الله أن يفرقهم في البلدان ، ويخالف بين ألسنتهم ، فبعث عليهم الأرواح الأربع . قال معاوية : ما هذه الأرواح الأربعة ؟ قال الشمال والجنوب والصبا والدبور ، فضمنتهم الأرواح الأربع من أربع جوانب من كل ناحية كانوا بها . مسافتهم لجمعهم يبايل ، وكانوا بها ، ثم مكثوا ثلاثة أيام يموج بعضهم في بعض . وعلموا أن ذلك أمر من السماء ولا يدرون ما يراد بهم غير أنهم لا يشكون أن الله الذي فعل بهم ذلك ، والله مظهر إرادته . فلما كان اليوم الرابع سمعوا من قبل صوتا ينادى ألا إن الله مفرق بين ألسنتكم ومسكنكم أطراف الأرض ، فأيمأ قد توجهوا وجها فكلامهم ولسانهم واحد . قال معاوية : وما كان اللسان يوهده ؟ قال عبيد : سرياني أوله وآخره . وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وإدريس . (١) .

(٣)

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني

فصل في ذكر مأرب (من كتاب الاكليل)^(١)

ذكر مأرب وهي مسكن سبأ الذي قال الله فيه : (لقد كن لسبأ في مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) . وهي كثيرة العجائب . والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان (والغامر الـ سافى وكذلك السامر في كتب أصحاب الشروط في شراء الارضين بنامرها) وإنما عفتا لما ائدحق السد فارتفعتا عن أيدي السيول . قال الحسن الهمداني : وجدت في أحدهما عريق أراك ، وفي أحله جذع نخلة أسود قد كبست باقية السواق ، فقال بعض من كان معي لا أظنه إلا من بقايا نخل الجنتين . وما أحسب أنه بني من العصر القديم . وأما مقاسم الماء من مذاخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالامس . ورأيت بناء أحد الصدفين باقيا ، وهو الذي يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما كان ولا يتغير إلى أن يشاء الله عز وجل . وإنما وقع الكسر في العرم ، وقد بني من العرم شيء مما يصل إلى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا . قال تبارك وتعالى : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتهم جنتين ذوات أكل خبط وأثل وشيء من سر قليل) قيل الخط الأراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف

(١) الجزء الثامن ، تحقيق الدكتور نبيه أمين فارس ، برستن ، ١٩٤٠

المرج وهو العلب وجمعه علوب ، والواحدة علبة . ومن أمثال العرب في الرجل المتيع الجانب : هو رجل لا ينش علبه ولا يحلف دثله ودوميه (وهو الدوم وحله النبق والكبات) . وبها من الأراك ما ليس يبلد ، ومن الحمام المطوق في الأراك ما يجل عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواقع جمّة باليمن ، وقد ذكرناها مع انكسار السد في بعض كتبنا . وفيها يقول الأعشى :

فنى ذاك للسؤسى أسوة ومأرب قفا عليها العرم
رغام بناء له حمير إذا جاءه مقاوم لم يرم
فأروى الحروث وأعناهم على ساعة ماؤهم ينقسم
فماشوا بذلك في غبطة بخارفسهم جأرف منهزم
فططار القيول وقيالها يبهام فيها سراب يطم

ويروى : (وطار القيول وكياتها) . وكان العرم مستنداً إلى حائط وأثر ما بين عضاد بالمذاخر بمغازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر . ويقول بعض العداء أن بانيه لقمان بن عاد بن الكبر ، ويقول بعض العلماء أن بانيه حمير والأزد بن القوث ، من عقب كهلان . وقال أبو الطمحان يذكر مأرب :

أما ترى مأرباً ما كان أحصنه وما حوالبه من سور وبنان
وقال علقمة :

من يأمن الحداث بعد ملوك صرواح ومأرب
وكان بمأرب قصر سلحين والمجر والقشيب . قال علقمة : الذي بنى القشيب القشيب بن ذى حزف فسمى به على حد الاختصار ، يراد موضع القشيب ، (١)

(٤)

هجرة بن الحسن الأصغر إلى وهرزب به سمر

فصل في ذكر ذى نواس و ذى جهمه (من كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبيا) (١).

ثم ملك بعده (أى بعد ذى شنتر) ذو نواس في زمن فيروز بن يزدجرد وعصر قصي بن كلاب . وذو نواس هو صاحب الاخدود والداعى من باليمن إلى اليهود ، وكان نزل يثرب بمجازا بها ، فأعجبه اليهودية فتهود ، وحلته يهود يثرب على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى ، وقد كانوا أخذوا النصرانية عن رجل توجه إليهم من جهة آل جفنة ملوك الشام ، فسار من هناك إليهم ، وعرضهم على أخايد احتفرها في الأرض ، وأضرها نيرانا ، فكان يعرف فيها من أقام على النصرانية ، فأتى بهذا الصنيع على خلق كثير منهم ، وعدل منها إلى دار المملكة باليمن . ثم إن رجلا من اليمن يقال له ذو ثعلبان . عبر البحر إلى ملك الحبشة ، وكان يدين بالنصرانية ، فرفع إليه الخبر بما ارتكبه ذو نواس من النصارى ، فكاتب ملك الحبشة بذلك قيصر ملك الروم ، واستأذنه في أن يجرّد خيلا إلى اليمن ، فأمره أن يخلف ذا ثعلبان على مملكته ويخرج بمن معه إلى اليمن فيقيم بها ، فقصده ملك الحبشة اليمن في سبعين ألف فارس فانهمزم ذو نواس من بين يديه ، فبعث إلى الطلب في أثره . فمر صعدا حتى انتهى إلى البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به ، وكان ملكه عشرين سنة وهو أعلم بحقائق الامور .

فقام ذو جدن مكانه ، فهزموه أيضا وتبعوه ، فالتجأ إلى البحر واقتحمه .

فكان ملك ذى جدن وذى نواس ثمان وعشرين سنة . فجميع ملوك حمير ستة وعشرون ملكا فى مدة ألفى وعشرين سنة ... (١) .

مثال منه الكتابة على المنبرج الحولى (نقل من كتاب صلة تاريخ الطبرى) (٢)

و ثم دخلت سنة ٢٩٢ . ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس .
ففيها وجه صاحب البصرة إلى السلطان رجلا ذكر أنه أراد الخروج عليه ،
وصار إلى واسط مخالفا بها ، فأقصد إليه من يقبض عليه وعلى قوم ذكروا أنهم
بأيموه ، ووجه بهم إلى بغداد ، فحمل هذا الرجل على فالج وبين يديه ابن له صبي
على جل ومعه سبعة وثلاثون رجلا على جمال ، عليهم برانس الحرير ، وأكثرهم
يستغيت ويكي ويحلف إنه يرى . فأمر المكنتى بحبسهم . وفى هذه السنة أغارت
الروم على مرعش ونواحيها ، فنفر أهل المصيصة وطرسوس ، فأصيبت جماعة
من المسلمين ، فيهم أبو الرجال بن أبى بكار . وفيها انتهى محمد بن سليمان الكاتب
إلى أحواز مصر لحرب هارون ، ووجه إليه المكنتى فى البحر دميةاة ، وأمره
بدخول النيل ، وقطع المواد عن من يهر من الجند ، فمضى وقطع عن أهل مصر
الميرة ، وزحف إليهم محمد بن سليمان على الظهر حتى دنا من القسطنطين ، وكاتب
القواد الذين بها ، فخرج إليه بدر الحامى وكان رئيس القوم ، ثم تتابع قواد مصر
بالخروج إليه والاستئمان له ، فلما رأى ذلك هارون ومن بقى معه ، خرجوا
محاربين لمحمد بن سليمان وكانت بينهم وقعات ، ثم لأنها وقعت بين أصحاب هارون
فى بعض الأيام عصبية اقتتلوا فيها ، فخرج إليهم هارون ليسكنهم ، فرماه بعض

(١) حزة الأسفهانى ، ص ٨٨ ، ٨٩

(٢) تحقيق دى غوبه ، لين ١٨٩٧

المخاربة بسهم فقتله ، وبلغ محمد بن سليمان الخبر ، فدخل هو ومن معه الفسطاط ، واحتوا على دور آل طولون وأموالهم ، وقبض على جميعهم ، وهم بضعة عشر رجلا ، فقيدهم وحبسهم ، واستنصفى أموالهم ، وكتب بالفتح الى المكتفى ، وكانت هذه الواقعة في صفر . وكتب إلى محمد بن سليمان في إشخاص آل طولون الى بغداد ، وألا يبقى منهم أحدا بمصر ولا الشام . ففعل ذلك . ولثلك خلون من ربيع الأول سقط الحائط من الجسر الأول على جثة القرمطي وهو مصلوب فطحنه ، ولم يبق منه شيء . وفي شهر رمضان ورد الخبر على السلطان بأن قائدا من القواد المصريين يعرف بالخليجي ويسمى بإبراهيم تخلف عن محمد بن سليمان في آخر حدود مصر مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم ومضى إلى مصر مخالفا للسلطان ، وكان معه في طريقه جماعة أحبوا الفتنة ، حتى كثر جمعه ، فلما صار الى مصر أراد عيسى النوشري عماريته ، فعجز عن ذلك لكثرة من كان مع ابن الخليجي . فأنحاز عنه الى الاسكندرية ، وأخلى مصر ، فدخلها الخليجي ، وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجي وإصلاح أمر المقرب فانسكا مولى المعتضد ، وضم اليه بدرا الحامى وجعله مشيرا عليه فيما يعمل به ، وندب معه جماعة من القواد وجندا كثيرا وخلع على فاتك وعلى بدر الحامى لسبع خلون من شوال ، وأمره بسرعة الخروج وتمجيل السير ، فخرجا لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال ، والنصف من شوال دخل رستم مدينة طرسوس واليا عليها وعلى الثغور الشامية . وفيها كان القداء بين المسلمين والروم لست بقين من ذى القعدة ، ففودى من المسلمين ألف ومائتا نفس ، ثم غدر الروم وانصرفوا ، ورجع المسلمون بمن في أيديهم من أسارى الروم . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك ابن عبد الله بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة ٢٩٣ . ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس .

ففيها ورد الخبر بأن الخليجي المتغلب على مصر واقع أحمد بن كيخلف وجماعة من القواد بالقرب من المريش ، فهزمهم الخليجي أقبح هزيمة ، فندب السلطان للخروج إليه جماعة من القواد المقيمين بمدينة السلام فيهم ابراهيم بن كيخلف وغيره . وفي شهر ربيع الاول من هذا السنة ... ، (١) .

(٥)

ابن الأثير و بهاء الدين بن شداد

فصل في ملك أسد الديعة نهر الإسكندرية (نقلًا من التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لمر الدين ابن الأثير الجزري) (١) . وهذا الفصل مثال للكتابة في تاريخ الدول .

ولما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالباين سار إلى نهر الإسكندرية ، وجبى ما في طريقه من القرايا والسواد من الأموال ، ووصل إلى الإسكندرية ، فتسلها بدون قتال ، سلمها أهلها إليه . فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه ، وعاد إلى الصعيد ، فملكه ، وجبى أمواله ، وأقام بها حتى صار شهر رمضان . وأما المصريون والفرنج فانهم عادوا إلى القاهرة ، وجمعوا أصحابهم ، وأقاموا عوض من قتل منهم ، واستكثروا وحشدوا وساروا إلى الإسكندرية — وبها صلاح الدين — في عسكر ينعونها منهم ، فقد أغاثهم أهلها خوفاً من الفرنج ، فاشتد الحصار ، وقل الطعام بالبلد ، فصبر أهله على ذلك .

ثم إن أسد الدين سار من الصعيد نحوهم — وكان شاور قد أقصد بعض من معه من التركان — ووصلته رسل المصريين والفرنج يطلبون الصلح ، وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذ من البلاد ، فأجابهم إلى ذلك ، وشرط أن الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلطون منها قرية واحدة ، وأن الإسكندرية تعاد إلى المصريين ، فأجابوا إلى ذلك ، واصطلحوا ، وعاد إلى الشام ، فوصل دمشق

(١) تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد طليحات ، القاهرة ١٩٦٣

ثامن عشر ذى القعدة ، وتسلم المصريون الاسكندرية فى النصف من شوال .

وأما الفرنج فانهم استقريئهم وبين المصريين ، أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ليتمتع الملك العادل نور الدين من إنفاذ عسكر إليهم ، ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار . هذا جميعه يجرى بين الفرنج وشـاور . وأما المعاضد صاحب مصر ، فليس له من الأمر شيء ، ولا يعلم بشيء من ذلك ، قد حكم شاور عليه وحججه . وعاد الفرنج الى بلادهم ، وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهير أعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة .

ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل الملك العادل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارثى - وهو من أكابر أمراءه ، وخال صلاح الدين يوسف - بنى محبته وولائه ، ويسأله أن يأمره باصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته ، وبجمع كلمة الإسلام ، وبذل مالا يحمله كل سنة ، فأجابته الى ذلك ، وحلوا الى نور الدين مالا جزيلا ، فبقى الأمر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر لتملكها ، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى ، (١) .

فصل فى ذكر قصد الأفرنج نهر النيل - كندرية عرسها الله تعالى (نقلا من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (٢)) .

وذلك أن الأفرنج - خزلهم الله تعالى - لما علموا تغيرات الاحوال بالديار المصرية ، وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع فى البلاد ، وجردوا عساكرهم فى البحر ، وكانوا فى ستمائة قطعة مابين شينى وطراة وبطسة وغير ذلك ، وكانوا

(١) الباهر ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ (حوادث سنة ٥٦٢ هـ)

(٢) تحقيق الدكتور جمال الدين الشبال ، القاهرة ١٩٦٤

في ثلاثين ألفا على ماذكر ، ومازلوا الثغر المحروس ، وذلك في أثناء شهر صفر في السابع منه من هذه السنة ، وهي سنة سبعين ، فأمدّه السلطان بالعساكر المنصورة ، وتحرك ، وأدخل الله في قلوبهم من الخوف والرعب ما يمكنهم الصبر معه . وعادوا غائبين خاسرين بعد أن ضايقوا الثغر ، وزحفوا عليه ثلاثة أيام ، وقتلوه قتالا شديدا ، وعصمه الله منهم .

ولما أحسوا بحركة السلطان نحوهم بالبشوا أن خلفوا مناجيهم وراءهم وآآتهم ، فخرج أهل البلد الى نهبا وإحراقها . وكان من أعظم النعم من الله تعالى على المسلمين وأمانة كل سعادة ونجاح والله الحمد والمنة .

وأما نور الدين - رحمه الله - فإنه خلف ولده الملك الصالح إسماعيل وكان بدمشق ، وكان بقلعة حلب ابن الدية شمس الدين علي وشاذ بخت ، وكان علي قد حدث نفسه بأهور ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب . فوصل ظاهرها ثاني المحرم ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن للقائه ، فقبض عليه سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن ، وأودع الثلاثة السجن ، وفي ذلك اليوم قتل ابن الحشاش أبو الفضل لفتنة جرت بحلب ، ذكروا أنه قتل قبل إمساك أولاد الداية بيوم ، لأنهم تولوا ذلك^(١).

(٦)

الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن مجوس بن زيري

فصل في تعليم الأمير عبد الله ونهب أمواله
(من مذكرات الأمير عبد الله) (١)

« ولما لقيناه (أى يوسف بن تاشفين) سر بذلك ، وأقسم لنا على الأمان في أنفسنا وأهلنا ، ولنا منه المراجعة والكرامة ما بقي ، ثم أشار على قروور بالترقيب علينا إلى أن يثبت خبرنا ، ويقف على أموالنا .

فانتدب قبل ذلك أهل دولتنا ، يطلب كل واحد منهم أن تودع عنده شيئا ، فلم نعمل ، وقلت في نفسي : هؤلاء يطلبون ما يتزودون به ، وليس ذلك شفقة منهم على ، وليس نخلى من دفع ذلك إليهم من وجهين : إما فاسق يستأثر به دونه ، فتكون حسرتا في نفسي ، ولا نقيت بها عن وجهي ، وإما متبذل يبعضه ، يحمله إلى الأمير لينتهى به ما يبقى له ، وعند ذلك نفتضح عنده ، ولا يقبل لي صرفا ولا عدلا ، وربما يحرق على ، فيؤذني بعد الأمان ، مع جهم في الماز . وإنه لا شيء نرجو به بعد الله التقرب إليهم إلا بالأموال ، ولو أمكنني أن أزيد فيها ، فتملا أعينهم ، وأنا لا أبتغي إلا العيش لخاصة نفسي وأهلي . وقد خنف الله عني بقلة العيال ، ولاخير في القرو بال لأدرى إن بقي معي ، مع اختلاطه وكثرة شبهاته : وكثرة المال إنما يحتاج للملكة والأجناد . فالآن وقد أزاح الله ذلك عني ، ولم يبق الا طلب السلامة بحشاشة النفس ، وهى غنيمة في مثل هذا الوقت الحاد .

فخرجت إلى الرجل بعد ثقاف القصر ، ولا خوف عليه ذلك الوقت ، اذ

كان الناس بين يأس وطمع في الرجوع ، فلا جرة من أحد في اعتراض شيء من سافقتنا . ولما أنزلت بتولى قروور للأمر ، جعل الحرص على الحباء ، وأمر بطرد الداخل والخارج ، وحيل بيننا وبين عبيدنا وصنائعنا : كل يفتش عليه ويبحث على ماله من مال كسبه في ولايتنا . ثم أتانا الفقيه ابن سعدون من عند أمير المسلمين ، يقول : « أحضر الأموال والأزمنة بها ! فإن مؤملا قد أخبره أنه ليس عندك درهم إلا بزمام وذكر » . فقلت له : « نعم كان ذلك ، قد تركته في ذاري ، فإن أباح لي المسير بنفسى لاستخراج الكل ، وإلا فهذه أوى ، تتولى ذلك مع تقاته حتى لا يفادركم منه خيط » .

وكان ، عند خروجى ، قد وقع في نفسى من خوف الثقاف ما خشيت الفقرة منها إن تركتها في القصر ، فخرجت معها ، ولم التفت إلى ما سواها ، وأنا مع ذلك في حيرة لا أدرى لما يصير أمرى . قد أشرب قلبى من الخوف والجزع ما لم أعمده قط ، ولا كان فيه عزاء . فإن الأمور التى يبنى لها الاستبابت والصبر ما كان من أمر دون أمر ؛ وإن جل خطب ، يرجى في غيره الراحة ، وبعض الشر أهون من بعض ، وإنما هذه النصب لم يكن لها عزاء ولا استراحة إلى أهل ورجاء ليسر ، إلا بحيث يحسب . فأذهلتنى ذلك عن كل مالى فيه صلاح من تقدمه النظر فى مال أو غيره ، بل ، كانت نفسى آكد على ، لم تعمل حساب من يعيش ، لا سيما لم يجر عليه قبل ذلك محنة ، ولا أكره الدهر برزية . فجاءت جلة أبهت ، وغانت القياس ، وحادت عن سبيل المعبود .

وقد كان أرسل إلى قروور يطلب خط يمدى بإسلام المدينة وإخراج من لى فيها من الحشم . فبادرت على المقام ، إذ الاتواء عن ذلك مما لا ينفع ، ولو فعلت ، لكان ذلك زيادة فى الهوان ، ولم يند شيئا ، وأنا قد حصلت فى القبضنة^(١) .

(٧)

أبو مروان حياد بن خلف المعروف بابن حياد

ذكر قنطرة نهر قرطبة من أمدات سنة ٣٦٠ من سني خلافة الحكم المستنصر
(نقلا من كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس) (١).

« وفي يوم الأربعاء لخمس خلون من ذي القعدة منها ابتدئ بعمل سد محكم
الصناعة ، قريب المونة من منابت شجر الشعراء المجتلبة من شيوخ جبال قرطبة ،
مشتق بهم الجنادل والرمل ، ملأم بحر الطفل بحاشية النهر الأعظم بقرطبة ،
لصق الجسر ليدفع جرية الماء بالجبهة كما يكشف عن الأرجل هناك التي أثر فيها
الماء على تطاول الأمد ، فكشط جبسها وخوف من وهبها ، وتوكل نظر الخليفة
بتداركها وإعجال جلائها ، فتم حقن الماء عنها ، وشرع في رفعها وتسويتها . . . »

« وللنصف من ذي الحجة منها تم عمل سد المنعة المعقود أسفل نهر قرطبة وفي
الشرق منها الذي عوتى إقامته هناك لرفع جريان الماء عن أصول أرجل الحنايا
التي ظهر وهبها من أرجل القنطرة ، واقتلعت حجارة قننوات الرحي المصاوبة
لرصيف بغربي القنطرة كي يستحيل الماء عن الأرجل ، فيتمكن من التوصل إلى
اصلاح أسسها وتقوية ضعفها ، فشرعت في ذلك أيدي الفعلة في هذا الوقت في
تحصين تلك الأرجل وتقويتها بتوايت الخشب الجسام وأوتاد الحديد الثخان
الوثائق والصخر المجوب من المقطع في نهاية الصلابة ، الضخم المكثر له من ملاط
الكلس المظاهر بافتان الصنع ، وجعل الخليفة المستنصر بالله ينتاب مكانه في

(١) جزء من المقتبس يشمل على أحداث السنين الخمسة من ٣٦٠ إلى ٣٦١ من خلافة
الحكم المستنصر ، نشره الأستاذ عبد الرحمن طي المجبى ، بيروت ١٩٦٥

الأوقات بنفسه ، وينظر إليه بعينه مؤكدا على المتولين النظر فيه ، الخلفاء الأكابر ، خدمه ، ومن معهم من رؤساء كتابه ، وإذا لم يزل إلى المكان ارتقى إلى السطح فوق باب السدة من قصر قرطبة المشرف عليه ، فكان كالشاهد له لقربه منه ، فيتبلى القعود هناك متأملا للعمل ، مشيرا فيه برأيه ، مؤكدا على الفعلة في تعجيله قبل هجوم الشتاء ، نظراً للناس ، واهتبالا بمصالحهم ، فيزكو العمل وتبدو المعونة .

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة والنظر في فئرة قرطبة التي هي أم قرطبة المرضعة ، ومفضى سبلها المتشعبة ، وجماع معاشها المختلفة ، وفلاحة جيدها المزددهية ، وطيا مبانيها المعجزة ، قد زاد توكداً ، وتضاعف توقداً لاقتراب فصل الشتاء الذي قد أظلم ، واهتبال الخليفة بها الذي لا يمل ، فلم يزل يعلو ويستقل إلى أن كمل بناؤه ، واستوى تحصينه ، وآمنت عاديته ، وذلك يوم الأحد لاربع بقين من المحرم منها ، فركب نحوه الخليفة المستنصر بالله من قصر قرطبة ، وأجاز النهر ، فتأمله كاملاً ، وسر به وارتضاء وأعلى شكر الله على معونته عليه ، وجمعت الأيدي عليه ، بعد إزاحة علة الفئرة ، على جبر الحرم الذي بثق بسد الفئرة لتتمكن من البناء في أرجلها ، فمطل الرحي الرفيعة المائلة فوقه ، فانصل العمل فيها ، وفي توثق شداها ، إلى أن أحكم ذلك ، وأكمل في عقب صفر منها ، فانطلقت الرحي لطحنها ، وعادت إلى أولها ، بحمد الله تعالى ، (١) .

ثانيا - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

(١)

أخبار الصين والهند لجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري (١)

• وذكر سليمان التاجر أن يخافوه وهو مجتمع التجار رجلا مسلما يوليه صاحب الصين بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية بتوخي ملك الصين ذلك . وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين . وأن التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئا في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام .

فأما المواضع التي يردونها ويرفون إليها فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف ، وأن المتاع تحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف ، فيعبر في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه . والمسافة بين البصرة وسيراف في الماء مائة وعشرون فرسخا ، فإذا عبى المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا — وهذه لفظة يستعملها أهل البحر : يعنى يقلعون — إلى موضع يقال له مسقط ، وهو آخر عمل عمان : والمسافة من سيراف إليه نحو مائتي فرسخ . وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بنى الصفاق وجزيرة أبركاوان . وفي هذا البحر جبال عمان ، وفيها الموضع الذي يسمى الدردور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية . وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كبير وعوير وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير : فإذا جاوزا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان فنستعذب الماء من مسقط من بئر بها ، وهناك فئة غنم من

بلاد عمان ، فتختلف المراكب منها إلى بلاد الهند ، وتقصد إلى كولم على ، والمسافة من مسقط إلى كولم على شهر على اعتدال الريح . وفي كولم على مسلحة لبلاد كولم على تجبى السفن الصينية ، وبها ماء عذب من آبار ، فيؤخذ من الصينية ألف درهم ، ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير إلى (عشرين) دينار . وبين مسقط وكولم على وبين هر كند نحو من شهر ، وكولم على يستعذبون الماء . ثم تختلف المراكب — أى تطلع — إلى بحر هر كند ، فإذا جاوزوه صاروا إلى موضع يقال له لنجبالوس ، لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات . وهم قوم لا يلبسون الثياب بيض كواسج . وذكروا أنهم لم يروا منهم النساء وذلك أن رجالهم يخرجون إليهم من الجزيرة في زواريق منقورة من خشبة واحدة ، ومعهم النارجيل وقصب السكر والموز وشراب النارجيل : وهو شراب أبيض ، فإذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فإذا ترك ساعة صار شرابا ، وإن بنى أياما صار خلا . فيبيعون ذلك بالحديد ، وربما وقع إليهم العنبر اليسير فيبيعونه بقطع الحديد . وإنما يتبايعون بالإشارة يدا بيد إذ كانوا لا يفهمون اللغة . وهم حذاق بالسباحة ، وربما استلبوا من التجار الحديد ولا يعطونهم شيئا .

ثم تختلف المراكب إلى موضع يقال له كلاء بار : المملكة والساحل كل يقال له بار . وهى ملكة الزابج متباعدة عن بلاد الهند ، يجمعهم ملك ، ولباسهم القوط : يلبس السرى والدنى منهم القوطة الواحدة . ويستعذبون هناك الماء من آبار عذبة ، وهم يؤثرون ماء الآبار على مياه العيون والمطر (١) .

(٢)

كتاب فرمة النفس في تاريخ اليونان^(١) لمحمد بنه أيوب بن غالب

وصف كورة إشبيلية:

«وهي شرق من كورة لبلة وغرب من قرطبة ، كانت قاعدة من قواعد العجم ، اتخذت دار ملكة ومحلة اختيار أوفت على النهر الأعظم ، واستقرت من البحر ، وبانت بكل خصوصية . وفازت بكل فضيلة ، وقابلت معالم مدينتها المشرفة جبل الشرف أشرف بقعة وأكرم تربة ، المغترس بالزيتون الدائم عند اخضراره ، النادر عند اعتصاره ، لا يتغير به حال ولا يعتره اختلال ، قد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ ، ويبقى زيتها ورقته وعذوبته لا يتغير طعمه ولا يتغير بطول مكثه فاضلاً بخاصة بقمته على غيره من الزيت ، وكذلك يبقى غسلها لا يرمل وبجائه الأولى لا يتبدل ، وكذلك اليابس من تينها يبقى دهرًا طويلاً ، ومن فضائلها التي انفردت بها ما تنبت أرضها من عجيب قطنها الذي يحسن ويذكرها ويعم آفاق الدنيا منها ، ويجهز إلى القيروان وغيرها ، وكل ما استودع في أرضها واغترس في بقعتها نما وزكا في اختباره ، وفضل فضلها ينسا على غيره ، حازت البر بما استقبلته من جهاته ، والبحر بما اشتملت عليه خواص منافعه ، واحتوت على الزرع والضرع وكثرة الثمرات من كل الصفات ، وفضل الصيد في بر وبحر ، ولها مرافق كثيرة شتى ، ومرجها لا ينشم صيفاً ولا ينحطم ، ويتأدى كلؤه رطباً ، وبذلك يصلح تناجها وتدوم ألبان ماشيتها ، ولو كان يقصر عليها

(١) نشرت اطمة من هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٥ ، تحقيق الدكتور لطفي عبد الباق .

بالمسارح أهل الأندلس لانتست لهم ، وهى من السواحل التى يحسن فيها نصب
السكر ، وصافة ما بين اشيلية وقرطبة تمنحون ميلا ، ولكورة إشبيلية من
الأقاليم إقليم المدينة ، وإقليم أليه ، وإقليم البصل ، وإقليم طالق ، وإقليم الشرف
وإقليم الرادى ، وإقليم الفحص ، وإقليم طشانة ، وإقليم قطر سانية ، وإقليم المسير
الى غير ذلك ، (١) .

(١) قطعة من فرحة الأندلس ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢)

وصف مصر الفسطاط من كتاب سفرنامه للرمالنة مصر مصر وعلوى

« وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ، وسمعت من ثقات أن شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار وحمل إليها عجلارباء فيها حتى كبر ، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر . وزرع على هذا السطح شجر النارج والموز وغيرهما . وقد أثمرت كلها ، كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى . وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات للاستغلال أى للإيجار ومساحتها ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً ، وهناك أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائماً ، لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ، ويسير فيها الناس .

وفي مصر سبعة جوامع ، خير جوامع القاهرة ، والمدينتان متصلتان ، وفيهما معا خمسة عشرة جامعاً وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة في كل حى منهما ، وفي وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الجوامع » شيده عمرو بن العاص أيام إمارته على مصر من قبل عمر بن الخطاب . وهذا المسجد قائم على أربعمائة عمود من الرخام ، والجندار الذى عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض التى كتب القرآن عليها بخط جميل . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق ، وعليها تفتح أبوابه ، ويقام بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف ، من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحرمون الصكوك والمعقود وغيرها :

وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص ، وكانوا قد ذهبوا إليه وقالوا : نحن فقراء معوزون ، وقد بنى جدهنا هذا المسجد ، فإذا أذن السلطان نهدمه ونبيع أحجاره ولبناته ، فاشترى الحاكم بمائة ألف دينار وأشهد على ذلك كل أهل مصر ، ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبه منها ثريا فضية لها ستة عشر جانباً ، كل جانب منها ذراع ، ونصف دائرتها أربع وعشرون ذراعاً ... (١) .

(٤)

وصف مدينة سوسة مع رحلة النجاشي^(١)

ثم ارجعنا عن إهرقية يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ، فزلنا بسوسة وهي مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منبع من الصخر ينتهي البحر إليه ويضرب فيه ، وبها آثار الاول وإليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون يقصدونها من الآفاق ، وبها جامع للخطبة حسن كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة إذ ذاك قرية ، وأنى بعدد ابن أخيه أبو ابراهيم أحمد بن الأغلب ، فجدد سورها ، وألحقها بالمدن ، وكان تجديد سورها سنة تسع وأربعين ومائتين . وبها جامع جامعها المذكور بيت فكتب فيه بخط قديم نقشا في الحجر ، القرآن كلام الله ليس بخلق ، وكتب مثل ذلك أيضا في عهد الجامع ، وذلك كله نفيه على مذهب أهل السنة وثبت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد إفريقية في القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السني ثم ما كان بها منها في زمن ملك الروافض لها ثم في زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا إلى صقلية سنة اثنتي عشرة ومائتين ، فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ، ومات في العام الذي يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة في الزمن القديم في ثلاثين ألف مقاتل ، فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكوني ، وقيل التجيبي ، وقيل الكندي ،

(١) تحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨

قال أبو عمر بن عبد البر والصواب إن شاء الله السكوني . وخطأ الرشاطي ، وقال إذا كان سكونيا فهو تجيبي وكندى . وكان معاوية هذا واليا على إفريقية من قبل عمرو بن العاص . فبعث عبد الله بن الزبير إلى سوسة في جمع كثيف ليحميها . فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها . فلما علم الروم بوصوله دفعوا جميع سفنهم إلى شاطئ البحر وأزعموا الارتحال ، فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى إلى سور المدينة . ثم نزل عن فرسه . وقام يصلي بالناس بعض الصلوات الحاضرة . فجعل الروم يتعجبون من إقدامه وقلة أكرائه بهم ، فأخرجوا له جمعا من حماهم فزحفوا إليه وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك ، حتى إذا قضى صلاته ركب فرسه وحمل عليهم ، فانكشوا عنه وولوا أدبارهم ، فتمسكوا إلى مراكزهم . وأقلعوا إلى بلادهم ،^(١) .

مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

- ١ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفضاى): كتاب الحلة السبراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٢ - . . المعجم فى أصحاب الإمام أبى على الصدى ٦ مجلد ٤ من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٥ .
- ٣ - . . كتاب التكملة لكتاب الصلة . جزآن ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٧ - ١٨٨٩ .
- ٤ - إبراهيم (دكتور عبد الطيف) : وثيقة السلطان قايتباى ، من بحوث المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية بفاس ، القاهرة ، ١٩٦١
- ٥ - إبراهيم (الاستاذ محمد أبو الفضل) مقدمة كتاب « تاريخ الرسل والملوك » ل محمد بن جرير الطبرى ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٦ - أتكين (هيو) : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمود زايد ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ٧ - ابن الاثير (على بن أحمد بن أبى الكرم): كتاب الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، ١٣٤٨ .
- ٨ - . . التاريخ الباهر فى الدولة الانابكية ، تحقيق الاستاذ عبد القادر أحمد طليعات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٩ - أحمد (الاستاذ نفيس): جهود المسلمين فى الجغرافيا ، ترجمة الاستاذ فتحى عثمان ، مجموعة الآلف كتاب ، عدد ٢٧٢ .

- ١٠ — الإدريسي (الكريف أبو عبد الله محمد بن العزيز): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب تزهة المشتاق في اختراق الآفاق . نشره دوزي ودي غوية ، لندن ، ١٨٩٣ ،
والقسم الخاص بالشام ، تحقيق جيلد ميستر ، بون ، ١٨٨٥
- ١١ — الأذرق (أبو الوليد محمد بن عبد الله): كتاب أخبار مكة ، جزآن .
الاستاذ رشدي الصالح ملخص ، مكة ، ١٣٥٢ هـ
- ١٢ — أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر): كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور فيليب حتى ، برنستون ، ١٩٣٠ .
- ١٣ — الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي): المسالك والممالك ،
تحقيق الدكتور محمد جابر عبد المال الحيني ، القاهرة ، ١٩٦١
- ١٤ — الأصفهاني (عماد الدين أبو عبد الله محمد): كتاب الفتح القسي في الفتح
القدس ، تحقيق الكونت كارلو دي لاندبرج ، لندن ، ١٨٨٨ ،
وطبعة القاهرة ، تحقيق الاستاذ محمد محمود صبيح ، أصدرته
الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥
- ١٥ — الأصفهاني (حمزة بن حسن): تاريخ سني ملوك الارض والانبيا .
برلين ، ١٣٤٠ هـ
- ١٦ — الأصفهاني (أبو الفرج): كتاب الأغاني ، طبعة بيروت ، ١٩٥٦
- ١٧ — أغايوس (محبوب بن قسطنطين الرومي): كتاب العنوان ، تحقيق
فازيليف ، جزآن ، باريس ، ١٩٠٩

٢٧ — بالنشيا (آنخل جنثالك): تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور
حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥

٢٨ — Palencia (Angel Gonzalez): Los Mozarabes de Toledo en
los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid, 1926

٢٩ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد): كتاب الصلة في تاريخ أئمة
الأندلس وعلماهم ، تحقيق كوديره ، مدريد ١٨٨٢

٣٠ — ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي): رحلة ابن بطوطة ، طبعة
صادر ، بيروت ، ١٩٦٠

٣١ — de Perceval (Caussin): Essai sur l'histoire des Arabes,
3 vols. Paris, 1847.

٣٢ — البغدادى (الخطيب): تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزء)

٣٣ — البغدادى (عبد اللطيف): كتاب الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ١٨٧٠

٣٤ — البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) : معجم ما استعجم ،
تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥

٣٥ — : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب
المسالك والممالك تحقيق البارون دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ .
إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،
تحقيق البارون دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧

٣٦ — البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر): كتاب فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد ، ٢ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٧/١٩٥٦

٣٧ — : أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حيد الله .
القاهرة ، ١٩٥٩

٣٨ — بلسير : مادة وتاريخ ، بدائرة المعارف الإسلامية ، القسم العرب ،
مجلد ٤ ، عدد ٨ ، ص ٤٧٣

٣٩ — ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيري) : مذكرات الأمير عبد الله الزيري ،
المسماة بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ،
١٩٥٥ .

٤٠ — Pons Boigues (F.): Ensayo bio-bibliografico sobre los
historiadores y geografos arabigo espanoles,
Madrid, 1898.

٤١ — البيذق (أبو بكر الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق
الأستاذ ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ .

٤٢ — البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي) : الآثار الباقية عن
القرون الخالية ، تحقيق ادوارد شاو ، ليزج ، ١٩٢٣ .

٤٣ — البهسقي : كتاب المحاسن والمساوي ، القاهرة ١٩٢٥ .

٤٤ — التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد) : رحلة التجاني ، تحقيق الأستاذ
حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

٤٥ — الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد) : غرر أخبار ملوك الفرس
وسيرهم ، نشره زوتنبرج ، باريس ١٩٠٠ .

٤٦ — Gibb (H. A. R.) : Tarikh, in Enc. of Islam, Supplement ,
pp 233-245, Leiden-London, 1938.

والمقالة معرفة في الجزء المغرب من دائرة المعارف الإسلامية ،
المجلد ٤ ، العدد ٨ .

٤٧ — جب (هاملتون) : دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة الدكاترة إحسان عباس ومحمد نجم ومحمود زايد ، بيروت ، ١٩٦٤ .

٤٨ — ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسى) كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الاسفار ، تحقيق ولیم رایت ، لندن ، ١٩٠٧ .

٤٩ — جروهمان (أدولف) : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، الاسفار الأربعة ، ترجمة الاستاذ جروهمان بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٦٧ .

• • — Grohmann (A) : Arabic Papyri in Egyptian Library, 4 vols, Cairo, 1934 - 1938

٥١ — ابن جعفر (أبو الفرج قدامه) . كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق دى غوية ، الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ، ١٨٨٩ .

٥٢ — الجهمياري (أبو عبد الله محمد) . كتاب الوزراء والسكرتاب ، تحقيق الاسانذة مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلي ، القاهرة ١٩٣٨ .

٥٣ — ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزوغلى) : كتاب مرآة الزمان ، طبعة شيكاغو ، ١٩٠٧ . وطبعة حيدرآباد الدكن ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .

٥٤ — حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، طبعة أسطنبول ، ١٩٤١ .

٥٥ - ابن حزم (أبو محمد على بن سعيد) : جبهة أنساب العرب ، تحقيق لينى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ (مجموعة ذخائر العرب ، عدد ٢)

٥٦ - حسن (دكتور حسن ابراهيم) : النظم الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٥٧ - حسن (دكتور زكى محمد) : دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠

٥٨ - . . . : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٤٥

٥٩ - حسن (دكتور على ابراهيم) : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ المصرى الوسيط ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٦٠ - حسن (الأستاذ محمد عبد الغنى) . علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٦١ - حسين (دكتور طه) : فى الادب الجاهلى ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٦٢ - حسيى (مولوى) : الادارة العربية ، ترجمة الدكتور ابراهيم أحمد العدوى القاهرة ١٩٥٨ .

٦٣ - الحيدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : جذوة المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٦٤ - الميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعمار فى خبر الأقطار ، تحقيق لينى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧

٦٥ - . . . : القسم الخاص بوصف صقلية من كتاب الروض المعمار ، تحقيق الأستاذ أومبرتو ريتسينانو ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة

٦٦٦ — حوراني (الاستاذ جورج فاضل) : العرب والملاحة في المحيط الهندي ،
ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٦٧ — الحوفي (دكتور أحمد محمد) : الطبرى ، من سلسلة أعلام العرب ،
القاهرة ، ١٩٦٣ .

٦٨ — ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ١٩٦٣ .

٦٩ — ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) : قطعة من المقتبس في تاريخ
رجال الاندلس ، من عهد الأمير عبد الله ، نشرها الأب
ملشور أنطونيه ، باريس ، ١٩٣٧ ، وقطعة من المقتبس ، من
عهد الخليفة الحكم المستنصر ، تحقيق الاستاذ عبد الرحمن على
الحجى ، بيروت ١٩٦٥ . وقطعة من المقتبس من عهد الأمير
عبد الرحمن الاوسط ، تحقيق الدكتور محمود على مكي ،
(بيروت . ١٩٦٧ / ١٩٦٨)

٧٠ — ابن خاقان (الفتح) : كتاب مطمح الانفس ومشرح التائس في ملح أهل
الاندلس ، قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م)

٧١ — الخشنى (محمد بن حارث) : تاريخ قضاء قرطبة . تحقيق دون خليان
ريبيرا ، مدريد ، ١٩١٤

٧٢ — ابن الخطيب (لسان الدين) : كتاب أعمال الاعلام فيمن يبيع قبل
الاحتلام من ملوك الاسلام ، (القسم الخاص بالاندلس)
تحقيق ليني بروفنسال . طبعة بيروت ١٩٥٦ . (والقسم
الخاص بالمغرب) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى .
والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤

٧٣— ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، تحقيق الأستاذ محمد عبدالله

عنان، القاهرة ١٩٦٦. وطبعة مصر، ١٣١٩ هـ

٧٤— : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، بحرمة رسائله، جمعها

وحققها الدكتور أحمد مختار اليبادى، الاسكندرية، ١٩٥٨

٧٥— ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العمر، المقدمة، تحقيق الدكتور على

عبد الواحد وافي، ٤ أجزاء، القاهرة: ١٩٥٧

٧٦— : كتاب العمر، طبعة بيروت، ١٩٦٥

٧٧— : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تحقيق الأستاذ

محمد بن تاروت الطنجي، القاهرة: ١٩٥١

٧٨— Jimenez (Manuel Ocana) : La Inscripcion fundacional

de la Mezquita de Ibn Adabdas en Sevilla, al Andalus,

vol XII, fasc I, 1947

٧٩— ابن الدلائل (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العنزي): نصوص عن

الاندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان

في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق الدكتور

عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥

٨٠— الدميري: حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، ١٩٤٤

٨١— الدوري: (دكتور عبد العزيز): بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب،

بيروت، ١٩٦٠

٨٢ — ديموبين (جود فروا) : النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر ،
والدكتور صالح الشماخ ، بيروت ، ١٩٦١

٨٣ — ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الاعلاق النفيسة ، الجزء السابع من
المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غوية ، لندن ، ١٨٩٢

٨٤ — روزنتال (فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد
العلی ، بغداد ، ١٩٦٣

Recueil des Historiens des Croisades : Historiens — ٨٥
Orientaux, Paris, 1884

Rios (Amador de los.) Inscripciones arabes de Sevilla, — ٨٦
Madrid, 18٦5

• • : Inscripciones arabes de Cordoba, Madrid 1879

• • : Epigrafia Arabe : Capiteles con inscripciones — ٨٧
descubiertosen Cordoba, Revista de Archivos, 1898

٨٨ — ابن أبي زرع الفاسي : كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار
ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تور نبرج ، أبساله ،
• ١٨٤٣

٨٩ — الزبيرى (المصعب بن عبد الله) : نسب قريش ، تحقيق ليني بروفنسال ،
القاهرة، ١٩٥٣

٩٠ — زيادة (دكتور محمد مصطفى) : المأزخون في مصر في القرن الخامس
عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٤٩

- ٩١ — زيادة (دكتور نقولا): الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦
- ٩٢ — : الجغرافية والرحلات عند العرب. بيروت ١٩٦٢
- ٩٣ — سالم (دكتور السيد عبد العزيز): المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها، القاهرة ١٩٥٩.
- ٩٤ — : المغرب الكبير ، ج ٢ : المغرب الإسلامي، الاسكندرية ١٩٦٦
- ٩٥ — : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الاسكندرية ١٩٦١
- ٩٦ — : دراسات في تاريخ العرب ، ج ١ ، عصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٧ — : طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٨ — السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد): الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، نص نشره روزنثال ، في كتابه علم التاريخ عند المسلمين .
- ٩٩ — السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) : كندساب النبر المسبوك في ذيل السلوك . بولاق ١٨٩٦
- ١٠٠ — Sobernheim (M): Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, 1909
- ١٠١ — ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد): الطبقات الكبرى ، طبعة ليدن ،

تحقيق الدكتور ستر ستين ، ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥ م)

١٠٢ — ابن سعيد (أبو الحسن على الأندلسي): المغرب في حلى المغرب ، الجزء الاول من القسم الخاص بمصر ، تحقيق الدكتور زكى محمد حسن وشوقي ضيف وسيد كاشف ، القاهرة ، ١٩٥٢

١٠٣ — السموودى (جمال الدين أبو المحاسن عبد الله): كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، طبعة مصر ، جزآن ، ١٣٢٦ هـ

Sauvaget (Jean) : Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, Paris, 1923 — ١٠٤

Sauvaget (Jean) : Relation de la Chine et de l'Inde — ١٠٥
Paris, 1948.

١٠٦ — السيوطى (جلال الدين): المزهرة في علوم اللغة ، شرح الاستاذ محمد أحمد جاد المولى وآخرين .

١٠٧ — السيوطى (جلال الدين): بغية الوعاء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ

١٠٨ — ابن الشحنة الحلبي (أبو الوليد محمد الدين محمد): كتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، نشرة الأستاذ يوسف مركاتس ، بيروت ، ١٩٠٩

١٠٩ — ابن شداد الحلبي: الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، دمشق ١٩٦٢

١١٠ — ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة

- ١١١ — الشريف (الأستاذ أحمد إبراهيم) : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧
- ١١٢ — الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الأستاذ السيد البار العرينى ، القاهرة ، ١٩٤٦
- ١١٣ — شايلا (جوردون) : التاريخ ، ترجمة الأستاذ على برسوم عبد الملك ، القاهرة ١٩٥٨
- ١١٤ — الشيال (دكتور جمال الدين) : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، المكتبة التاريخية ، عدد ١ ، القاهرة ، ١٩٥٨
- ١١٥ — el-Shayyal (G) : a history of Egyptian historiography in the 19th Century, Alexandria, 1962
- ١١٦ — الصالح (دكتور صبحى) : مباحث في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢
- ١١٧ — صالح بن يحيى : تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البختريين من بني الغرب ، نشره الأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ، ١٨٩٨
- ١١٨ — ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن أحمد الباجى) : تاريخ المن بالإمانة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق الأستاذ عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤
- ١١٩ — الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكتاب ، تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى القاهرة ١٩٤١ •
- ١٢٠ — الضبي (أبو جعفر أحمد) : بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٥ •

١٢١ — ابن طباطبا (محمد بن علي) : كتاب الفخرى في الآداب السلطانية ، بيروت ،

١٩٦٠

١٢٢ — الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى غوية ،

لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢

١٢٣ — طليات (الأستاذ عبد القادر أحمد) : المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم

نيل درجة الدكتوراة في الآداب من جامعة عين شمس في

١٩٦٧/٧/٨

١٢٤ — العبادي (الأستاذ عبد الحميد) : التاريخ عند العرب ، فصل مضاف إلى

كتاب علم التاريخ لهرشو

١٢٥ — العبادي (دكتور أحمد مختار) . مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في

المغرب ، مقال في مجله هسبيريس ، عدد ٣ ، ٤ ، ١٩٥٩

١٢٦ — . . : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمديرية ، ١٩٥٧

١٢٧ — عبد البديع (دكتور أحمد لطفي) : الإسلام في إسبانيا ، المكتبة التاريخية ،

العدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٢٨ — ابن عبد الحق البغدادي (صفى الدين عبد المؤمن) : كتاب مراصد الإطلاع

في أسماء الأماكن والبقاع ، طبعة جوينبل ، ٤

أجزاء ، لندن ، ١٨٥٣

١٢٩ — ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله القرشي) : كتاب فتوح مصر

والمغرب والاندلس ، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر ،

القاهرة، ١٩٦١

١٣٠ — عبد الحميد (دكتور سعد زغلول) : فتح العرب للغرب بين الحقيقة

التاريخية والأسطورة الشعبية ، دراسة ونقد لمخطوط فتوح

مدينة إفريقية ، من مخطوطات الواقدي بالمتحف البريطاني ، مجلة

كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد ١٦ ، الاسكندرية ١٩٦٢

١٣١ — د د : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون

والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة

كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ١٩٥٤

١٣٢ — عبد الوهاب (الاستاذ حسن) : الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة

الكتاب ، يناير ، ١٩٤٧

١٣٣ — ابن العبري (أبو الفرج جريجوريوس بن هارون الملقب) : تاريخ مختصر

الدول ، تحقيق الاب أنطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ،

١٨٩٠

١٣٤ — ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو القاسم عمر) : كتاب زبدة الخلب من

تاريخ حلب ، الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١

١٣٥ — ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ٢ ، بيروت ،

١٩٥٠

١٣٦ — عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، تحقيق دى غوية ، لبنان ،

١٨٩٧

١٣٧ - علي (دكتور جواد) : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٨ أجزاء ،
بغداد ، ١٩٥٠ - ١٩٥٩

١٣٨ - عمارة البني (أبو الحسن نجم الدين) : كتاب النكت العصرية في أخبار
الوزارة المصرية ، طبعة درنبرج ، باريس ، ١٨٩٧

١٣٩ - العمري (شهاب الدين بن فضل الله) : كتاب مسالك الابصار في ممالك
الامصار ، قطعه في وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق
الاستاذ حسن حسني عبيد الوهاب ، نشره بتونس ، من
مطبوعات مجلة البدر

١٤٠ - عنان (الاستاذ محمد بن عبد الله) : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط
المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١

١٤١ - ابن غالب (محمد بن أيوب الاندلسي) : قطعة من كتاب فرحة الانفس في
تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور اطفى عبد البديع ، مجلة
المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦

١٤٢ - الفاسي (أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد) : كتاب شفاء الغرام
بأخبار البلد الحرام ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٥٦

١٤٣ - ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبد الرحيم) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق
الدكتور قسطنطين زريق ، مجلد ٩ ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٣٨

١٤٤ - ابن الفرضي (أبو الوليد عبدالله) : تاريخ علماء الاندلس ، جزآن ،
تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٩١ .

١٤٥ - فروخ (دكتور عمر) : تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤

١٤٦ — فشنل (واتر) : نشاط ابن خلدون في مصر المملوكية ، مقال في
دراسات اسلامية ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة وآخرين ،
بيروت ، ١٩٦٠ .

١٤٧ — فهمي (دكتور عبد الرحمن) : فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف
الفن الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٥

١٤٨ — : صنع السكة في فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٧

١٤٩ — : الشارات المسيحية والرموز القبطية علي السكة
الإسلامية ، محاضرة في المؤتمر الثالث الأثري في البلاد العربية بفاس ،
القاهرة ، ١٩٦١

١٥٠ — : النقود العربية ، ماضيها وحاضرها المكتبة الثقافية ،
عدد ١٠٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤

١٥١ — Fahmy (Dr. Aly Moh) : Muslim sea power in the
eastern Mediterranean, Cairo, 1966

١٥٢ — Van Berchem (Max) : Matériaux pour un Corpus
Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, t. 19, 1894.

١٥٣ — : Matériaux pour un C. I A :
La Syrie du Sud, 1922 .

١٥٤ — Edmond Fatio : Voyage en
Syrie, 2 Vols., dans Mémoires de l'Institut Français
d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37, le Caire
1914—1915.

Vielva (Ramon Revilla) Patio arabe del Museo Arqueologico nacional de Madrid, Madrid, 1932 ١٥٥

weil : Les bois à Epigraphes, jusqu a' l'époque mame - — ١٥٦
louke, catalogue général du Musée arabe de Caire, 2
vois. 1931 - 1936

Wiet (Gaston) : Une inscription d'un prince de Tripoli — ١٥٧
de la dynastie des Banu Ammar, Memorial H.Basset,
Pub. I H. E M., t XVIII.

١٥٨ — ابن قتيبة الدينوري : كتاب المعارف، القاهرة، ١٣٠٠ هـ

١٥٩ — القرآن الكريم .

١٦٠ — القزويني (زكريا بن محمد) : آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ،

١٨٤٨

١٦١ — ابن الفلاني (أبو يعلى حمزة) : ذيل تاريخ دمشق . بيروت ، ١٩٠٨

١٦٢ — القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى فى صناعة الانشا

١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٤

١٦٢ — كاشف (دكتور ه سيدة) : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث

فيه ، القاهرة ١٩٦٠

١٦٤ — : مصر فى عصر الولاة ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٦٥ — : الوليد بن عبد الملك ، سلسلة أعلام العرب ، عدد ١٧

Casto Maria del Rivero : La Moneda arabigo espanola, — ١٦٦
Madrid, 1833.

١٦٧ — الكافيحي (محي الدين محمد بن سليمان) : المختصر في علم التاريخ ، ٢ مج
نشره فرانز روزنثال ، في كتاب علم التاريخ عند المسلمين

١٦٨ — Cahen (Claude) : La Syrie du Nord à l'époque des
Croisades et la Principauté franque d'Antioche, paris
1940.

١٦٩ — الكتاب المقدس (العهد القديم)

١٧٠ — ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) : البدايه والنهاية ،
طبعة مصر ، ١٣٥٨

١٧١ — الكلبي (هشام بن محمد بن السائب) : كتاب الاصنام ، نشره الاستاذ
أحمد زكي ، بولاق ، ١٢٣٢ هـ ، وصورته الدار القومية في ١٩٦٥

١٧٢ — : كتاب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها ،
تحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

١٧٣ — Combe, Sauvaget, Wiet : Repertoire Chronologique
d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931-1944.

١٧٤ — الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) : كتاب الولاة وكتاب القضاء ، تحقيق
رفن جست ، بيروت ، ١٩٠٨ .

١٧٥ — Lavoix (H) : Catalogue des monnaies musulmanes
de la Bibliothèque Nationale, 3 vols , Paris, 1887

١٧٦ — Lévi della Vida : La traduzione arabe della Storie
de Orosio, al Andalus, vol. XIX, 19.4

Lévi - Provençal (E) : Les Historiens des Chorfa — ١٧٧
Paris, 1922

• • : Documents inédits d'histoire — ١٧٨
almohade, Paris, 1928

• • : La Description de l'Espagne — ١٧٩
d'Ahmad al Razi, al-Andalus, vol. XVIII, fasc I, 1953.

• • : Un document Sur la vie urbaine — ١٨٠
et le corps des métiers de Séville au début du XIe
Siècle, dans, Journal Asiatique, Avril Juin, 1934

• • : Inscriptions arabes d'Espagne, — ١٨١
2 vols., Paris 1931.

١٨٢ — ليفى بروفنسال : الإسلام في المغرب والاندلس ، تعريب الدكتور
السيد عبد العزيز سالم ، والأستاذ محمد صلاح الدين حلى ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

١٨٣ — لويس (برنارد) : العرب في التاريخ ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ،
والدكتور محمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ .

١٨٤ — ماجد (دكتور عبد المنعم) : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

١٨٥ — • • : النقود الفاطمية ، مقال بحوليات كلية
الآداب جامعة عين شمس ، مايو ١٩٥٣ .

١٨٦ — • • : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ،
القاهرة ، ١٩٦٣ .

١٨٧ — • • : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ،
القاهرة . ١٩٦٧ .

١٨٨ — الماوردى (أبو الحسن على بن محمد) : الأحكام السلطانية ، القاهرة

١٣٢٨ هـ .

١٨٩ — مجهول : أخبار الصين والهند ، تحقيق جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨ .

١٩٠ — المراكشى (محيى الدين عبد الواحد) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ،

تحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلى ،

القاهرة ، ١٩٤٩ .

١٩٠ — المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن

الجواهر ، طبعة الأستاذ محيى الدين عبد الحيد ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٩١ — مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) : كتاب تجارب الأمم ، تحقيق

آمدروز ، القاهرة ، ١٩١٤ — ١٩١٥

١٩٢ — Margoliouth (D. S.) : Lectures on Arabic Historians ,

(delivered before the University of Calcutta, February

1929) , University of Calcutta, 1930

١٩٣ — المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم فى معرفة

الأقاليم ، طبعة دى غوية ، لندن ، ١٩٠٦ .

١٩٤ — المقدسى (مطار بن طاهر) : كتاب البدء والتاريخ ، نشره كلبان هوار ،

باريس ١٨٩٩ .

١٩٥ — المقرئ (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق

الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحيد ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩ .

١٩٦ — المقرئ (تقى الدين أحمد) : لغانة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور

جمال الدين الشيبان ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ،
القاهرة، ١٩٥٧ .

١٩٧ - . . . شذور المقود في ذكر القود القديمة والاسلامية ، تحقيق الطباطباني
النجف ، ١٣٥٦ .

١٩٨ - . . : كتاب المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٣ مجلدات ،
طبعة بيروت ، بيروت ، ١٩٥٦ .

١٩٩ - مكي (دكتور محمود علي) : الذئيع في الاندلس ، مقال بصحيفة معهد
الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٣ ، ١٩٥٤

٢٠٠ - Mekki (Dr Mahmud Ali) : Egipto y los origines dela
historiografia arabe espanola , Revista del Insti-
tuto Egiptio de Estudios Islamicos de Madrid,
vol. V , fasc 1-2, Madrid, 1957 .

٢٠١ - ابن عثاني (شرف الدين أبو المكارم) : كتاب قوانين الدواوين ، جمع
وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣

٢٠٢ - ابن منبه (وهب) : كتاب النيجان في ملوك حمير . طبعة حيدر آباد
الندكن ، ١٣٤٧ هـ

٢٠٣ - مومل (ألويس) : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ،
الاسكندرية ١٩٥٣

٢٠٤ - مؤنس (الدكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس من
البداية إلى الحجازي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في
مدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

- ٢٠٥ — مؤنس (دكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون في الأندلس: الشريف
الإدريسى قوة علم الجغرافية عند المسلمين، صحيفة معهد الدراسات
الإسلامية، مدريد، المجلدان ٩، ١٠، مدريد ١٩٦١ - ١٩٦٢
- ٢٠٦ — ناصري خسرو علوى : سفرنامه ، تمريب الدكتور يحيى الخشاب ،
القاهرة ، ١٩٤٥
- ٢٠٧ — النجار (محمد بن محمود) : كتاب الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، نشر
كلحق ثاب بالجزة الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد
الحرام ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
- ٢٠٨ — النقشبندى (ناصر السيد محمود) : الدينار الاسلامى في المتحف العراقى ،
ج ١ ، الدينار الاموى والعباسى ، بغداد ١٩٥٣ .
- ٢٠٩ — النويرى (شهاب الدين أحمد) : نهاية الارب في فنون الادب ، السفر
الاول ، مجموعة تراثنا ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية
- ٢١٠ — النويرى السكندرى (محمد بن قاسم) : الإلمام بالإعلام فيما جرت به
الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية ، مخطوطة رقم
١٤٤٩ بدار الكتب المصرية .
- ٢١١ — الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد) : كتاب الإكليل ، ج ٨ ، تحقيق
الدكتور نبيه أمين فارس ، برنستن ، ١٩٤٠ ، والجزء العاشر ،
تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٦٨ هـ
- ٢١٢ — د د : صفة جزيرة العرب ، نشره محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ،
القاهرة ١٩٥٣

٢١٣ - هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادي . القاهرة ١٩٣٧

٢١٤ - الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر) : كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل جومين ، دمشق ، ١٩٥٣

٢١٥ - الواقدي : مغازي رسول الله ، القاهرة ، ١٩٤٨

٢١٦ - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) : كتاب إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ، طبعة مرجليوث ، القاهرة ١٩١٣

٢١٧ - . : معجم البلدان ، خمسة مجلدات ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥

٢١٨ - اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) : كتاب البلدان ، نثره دى غويج مع الأعلام النفيسة لابن رسته ، في الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ، ١٨٩٢ .

٢١٩ - اليماني (عبد الواسع بن يحيى الواسعي) : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ

٢٢٠ - يرتيخوس (سعيد بن بطريرن) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٥ - ١٩٠٦ .

فهرس موصنوعات الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

٣

المقدمة

الباب الاول

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

- ١ — التقويم الهجرى ١٧
- ١ — لفظة « تاريخ » لغة واصطلاحاً ١٧
- ب — ادخال التقويم الهجرى ٢٠
- ٢ — آراء مؤرخي العرب في التاريخ ٢٦
- ١ — فائدة التاريخ ٢٦
- ب — أخطاء المؤرخين العرب في رأى ابن خلدون ٢٤
- ج — الشروط اللازمة لتوفرها في الكتابة التاريخية ٣٩

الفصل الثاني

نمأة علم التاريخ عند العرب

- ١ — أخبار العرب في الجاهلية ٤١
- عبيد بن شربة الجرهمى البنى ٤٥
- وهب بن منبه ٤٦

الصفحة

٤٨	هشام بن محمد بن السائب الكلبي
٥٠	أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي
٥١	أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني
٥٢	٢ — كتاب السيرة والمغازي وبداية الكتابة التاريخية عند العرب
٥٢	١ — مدرسة التاريخ في المدينة
٥٥	الطبقة الأولى
٥٧	الطبقة الثانية
٦٠	الطبقة الثالثة
٦٦	ب — مدرسة التاريخ في البصرة
٦٧	كتاب المغازي
٦٧	كتاب التاريخ (الأخباريون)
٧١	كتاب الأنساب

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي

٧٥	١ — منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين
٨٢	١ — التاريخ الحول أو حسب السنين
٩١	ب — التاريخ حسب الموضوعات
٩١	التاريخ للدول
٩٥	التاريخ حسب الطبقات
٩٥	التاريخ حسب الأنساب

الصفحة

٩٧	٢ — تنوع صور المادة التاريخية
٩٧	١ — التأريخ العالمى
١٠٤	ب — التأريخ المحلى
١٠٧	التأريخ المحلى الدينى
١١٩	التأريخ المحلى الدينى
١٢٤	التأريخ المعاصر والمذكرات

الباب الثانى

مصادر التاريخ الاسلامى

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

١٣٣	١ — الوثائق الرسمية والأوراق البريدية والوقفيات
١٣٣	الوثائق الرسمية
١٣٦	البرديات
١٣٩	الوقفيات
١٤١	أمثلة من الوثائق الرسمية
١٥١	٢ — الكتابات الأثرية أو النقوش
١٥٦	٣ — العملات أو النيات أو المسكوكات
١٦٢	٤ — الآثار المعمارية والتحف

الصفحة

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

- ١ — القرآن الكريم والحديث والتفسير ١٦٩
- ٢ — كتب الطبقات والانساب ١٧٧
- ٣ — كتب الجغرافية ١٨٣
- مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان ١٨٥
- مدرسة الجغرافية العربية ١٨٨
- ١ — وصف أقطار العالم الاسلامي (البلخي - الاصطخري - ابن حوقل المقدسي - الادريسي) ١٨٩
- ب - الجغرافيون المتخصصون في قطر واحد (الهمداني - البكري - المهلبى - البيروني) ١٩٤
- ج - المعاجم الجغرافية (البكري - ياقوت - الحميري) ١٩٦
- د - الموسوعات العامة (النويري - العمري - القلقشندي) ١٩٧
- كتب الجغرافية في الأندلس والمغرب ٢٠٠
- ٤ — كتب الرحلات ٢١١
- أولا - الرحالة المشاركة ومصنفاتهم ٢١٦
- (١) ناصر خسرو علوي ٢١٦
- (٢) الهروي ٢١٨
- (٣) عبد اللطيف البغدادي ٢١٩
- ثانيا - الرحالة المغاربة ومصنفاتهم ٢٢٠

الصفحة

٢١٠	(١) ابن جبير
٢٢٢	(٢) ابن سعيد المغربي
٢٢٥	(٣) العبدري
٢٢٨	(٤) النوشريشي
٢٢٩	(٥) ابن رشيد السبكي الفهري
٢٢٩	(٦) البلوي
٢٣١	(٧) أبو حامد الفرناطي
٢٣٢	(٨) ابن بطوطة
٢٣٣	(٩) التجاني
٢٣٥	٥ - الشعر العربي وكتب الادب
٢٣٩	٦ - كتب الخراج والحسبة والخطوط
٢٤٧	ملحقات
٢٤٧	أولا - مقتطفات من الكتابات التاريخية
٢٧٠	ثانيا - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

تم بحمد الله وتوفيقه

